





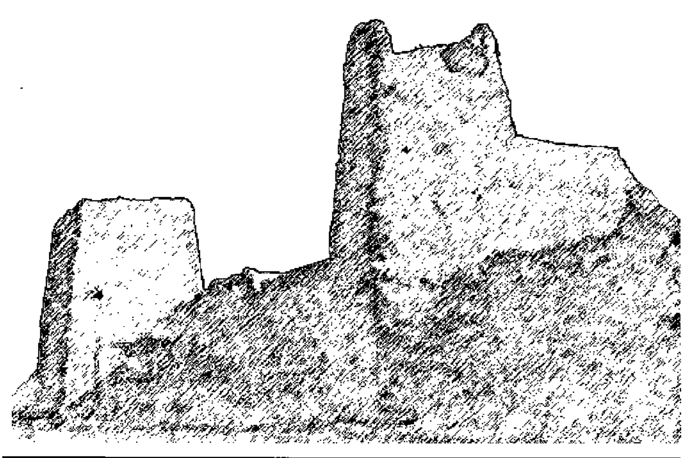
# خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية

## (منطقة نجد)

د. محمد بن عبد الله النويصر

صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية
( ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م )

بسم الله الرحمن الرحيم



# خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية

(منطقة نجد)

ⓒ دارة الملك عبدالعزيز
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النويصر، محمد بن عبدالله
خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية: منطقة نجد.-
الرياض
٢٠٠ ص ؛ ٢٠×٢٧ سم.
ردمك: ٢-٢٥-٦٩٣-٩٩٦٠
١-المباني التاريخية- السعودية أ- العنوان.
ديوي ٧٦٢,٢١ ١٩/٢٥٣٩

رقم الإيداع:١٩/٢٥٣٩
ردمك:٢-٢٥-٦٩٣-٩٩٦٠



# تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن الإسلام أكبر نعمة أنعمها الله على الأمة، واستحضار هذه الحقيقة في كل عمل مخلص هو قمة الوعي بها، ومن ثم الدفاع عن مقوماتها . ولقد أدرك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله - عظمة هذه النعمة الإلهية، وعمل على تمثلها في نفسه ، فجعل الإسلام نبراساً له في كل أعماله، وحقق أهدافه السامية المتمثلة في التمسك بالعقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية والدفاع عنها ونشر الأمن، وتأسيس مجتمع مُوحَّد يسوده الرخاء والاستقرار .

ولقد كان استرداد الملك عبدالعزيز الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م هو اللبنة الأولى في تأسيس المملكة العربية السعودية، في حين تعود جذور هذا التأسيس إلى مائتين واثنين وستين عاماً، عندما تم اللقاء التاريخي بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب-رحمهما الله-عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، فقامت بذلك الدولة السعودية الأولى على أساس الالتزام بمبادئ العقيدة الإسلامية، ثم جاءت الدولة السعودية الثانية التي سارت على الأسس والمبادئ ذاتها.

وعندما بدأ الملك عبدالعزيز في مشروع البناء الحضاري لدولة قوية الأركان، كان يضع نصب عينيه السير على منهج آبائه، فأسس دولة حديثة قوية، استطاعت أن تنشر الأمن في أرجائها المترامية الأطراف، وأن تحفظ حقوق الرعية، بفضل التمسك بكتاب الله - عز وجل - وبسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. وامتد عطاؤها إلى معظم أرجاء العالمين العربي والإسلامي، وكان لها أثر بارز في السياسة الدولية بوجه عام ، بسبب مواقفها العادلة والثابتة، وسعيها إلى السلام العالمي المبني على تحقيق العدل بين شعوب العالم .

وجاءت عهود بنيه من بعده : سعود وفيصل وخالد - رحمهم الله -، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - امتداداً لذلك المنهج القويم.

وفي الخامس من شهر شوال عام ١٤١٩هـ / ٢٣ يناير ١٩٩٩م يشهد التاريخ مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الرياض، وانطلاق تأسيس المملكة

العربية السعودية، عبر جهود متواصلة من الكفاح والبناء، نقلت هذا الوطن وأبناءه من حال إلى حال. وصنعت بتوفيق الله تعالى وحدة حقيقية على أساس الإسلام، ملأت القلوب إيماناً وولاءً، وجسدت معاني التلاحم التاريخي بين الشعب وقيادته في مسيرة تاريخية .

إن استحضار أحداث ذلك اليوم في نفوس أبناء المملكة عونٌ على شكر الله على نعمه، وتذكير بأن هذه البلاد التي قامت فيها الدعوة والدولة معاً لا تزال وفية لعهد أجيال التأسيس والتوحيد، مستمدة منهجها في الحياة من كتاب الله وسنة نبيه.

ومن أجل رصد الجهود المباركة التي قام بها المؤسس - رحمه الله- وأبناؤه من بعده ؛ عرفاناً بفضلهم، ووفاء لحقهم، وإيضاحاً لمنهجهم القويم، فقد قامت دارة الملك عبدالعزيز بإعداد الكثير من الدراسات والإصدارات التي تتناول بعض تلك الجهود، في منجزات علمية موثقة؛ لتدلل بذلك على ما أسبغه الله - عز وجل - على هذه البلاد وأهلها، من تقدم علمي ، ومن نهضة زاهرة . وهذا الكتاب ما هو إلا جزء من سلسلة " مجموعة المكتبة المئوية " التي تقوم دارة الملك عبدالعزيز بإصدارها بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، وهي سلسلة علمية تهدف إلى خدمة تاريخ هذه البلاد ومصادره المتعددة .

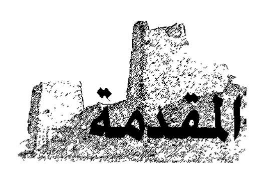
وفي الختام أسأل الله القدير أن يديم علينا نعمه ، وأن يوزعنا شكرها. والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سلمان بن عبدالعزيز

رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز

# ١

# المقدمة




تتألف البيئات العمرانية من عناصر حيازية متنوعة ذات وظائف ومدلولات، وهي تتفاوت في مقدرتها ومرونتها على استيعاب أنشطة معينة والتأثير في سلوك وإحساس وتصور الأفراد والجماعات. ومؤثرات البيئة المبنية، منها: الطبيعي، والثابت كالمناخ والتكوين الجغرافي، ومنها ما يكون من صنع الإنسان ومتغيراً كالنظم الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية .

إن المكان هوية فريدة للفضاء المستمد من الوحدة المعنوية المحسوسة المرتبطة بالإنسان مادةً وإحساساً، فالإنسان يتكيف ويتحد مادياً وعاطفياً مع المكان الذي منه يستمد هويته، كما أن المكان يوفر للإنسان مقومات حياته من مأكل ومشرب وراحة. وتتبلور هوية المكان عند الإنسان في التكوين الطبيعي والعمراني للمكان، والأنشطة التي تُمارس فيه، والدلالات والمعاني التي يتصف بها .

والمفهوم الثقافي الشعبي للمكان في المملكة العربية السعودية يتجاوز مجرد الحدود المكانية إلى ما يكتسب من هوية خاصة بما يُمارس فيه من أنشطة وما تولده من صور وإيحاءات إيجابية أو سلبية . وفي المجتمع السعودي التقليدي خاصة يحمل المكان في طياته معاني مشتركة لصيقة بالقيم الاجتماعية النابعة من المبادئ الدينية والمفاهيم الثقافية .

والعناصر والتكوين الفراغي في البيئات التقليدية مبني أيضاً على أسس جوهرية ومعبرة عن طبيعة سكانها، ومن دلالات ذلك أنها ضاربة في جذور ثقافية من قيم دينية واجتماعية خصبة ومتأقلمة مع العوامل البيئية كالمناخ والتكوين الطبوغرافي. كذلك يُعبر النسيج التقليدي عن هوية متحدة وحسية ومحتضنة لسلوكيات السكان المختلفة ، لذا فقد أسهمت سيادة الروح الجماعية في هذه البيئات في تخطيط وتصميم متحد الهوية المتميزة. فلقد كان التطابق واضحاً بين النسيج الاجتماعي والعمراني حيث العلاقة الفطرية الإيكولوجية، فمثلاً نجد أن المستوطنة التقليدية تهيء العدالة للفراغات المناسبة للرجال والنساء والأطفال وكبار السن، وتوجه وتنسق علاقة بعضهم ببعض لحماية أنشطتهم وخصوصيتهم .

يُعبر النسيج الفراغي للعمران التقليدي عن طبيعة حياة سكانها وأنشطتهم، حيث تمتزج مع الطقس والتضاريس والنظم الاجتماعية والتعاليم الدينية والعادات والتقاليد والهاجس الأمني. وكل عنصر من البيئة المبنية، بما في ذلك مبنى أو ساحة أو شارع ضيق أو مسدود أو قبة أو تصميم مميز، ظهر وتطور مع الوقت، يتجاوب مع احتياج سلوكي معين، أو تعبيراً عن العادات والتقاليد. وتعمل صيغة العمران على الحماية الطقسية والأمنية والخصوصية ومراعاة حركة المشاة وتحفيزها من خلال النظام العضوي للشوارع. هذا النوع من نظام الفراغات يحاكي طموحات الإنسان واستمتاعه في البحث عن المجهول من جراء انتقاله بين الأماكن المختلفة وعدم الملل الذي يحدث في المخططات الحديثة في المملكة، حيث إن تكرار وتشابه العناصر الفراغية يقضي على الخاصية التي سبق ذكرها. فلقد ذكر كل من (Berlyne,1958) و (Cullen, 1971) في بحوثهم عن أنواع النُسج العمرانية أن هذا النوع العضوي وغير المنتظم يولد الإحساس بالاستكشاف والمعرفة .

لذا فالبيئة العمرانية تؤثر في المستوى المعيشي لسكانها بدرجات متفاوتة، وكلما تلاءمت المفردات والأنظمة الفراغية مع حياة السكان كان تأثيرها أقوى وأشمل. فبالإمكان أن يكون للبيئة المبنية دور كبير في التأثير في نوعية أنشطة الإنسان الفراغية وكميتها كما في البيئات العمرانية التقليدية، فعناصرها المكانية تشكل المسرح والمحيط الذي تترعرع وتتشكل فيه مبادئ وعادات وتقاليد توجه، بالاشتراك مع عناصر أخرى معقدة، حياة السكان .

إن ظهور وتطور العمران التقليدي النجدي وتقسيمه إلى جيرات وأحياء، لم يُبن غالباً على أحكام عرقية أو مهنية أو وحدة عائلية مسبقة، لكن متطلبات المعيشة تحت ظروف طبيعية قاسية، من ندرة مصادر وارتفاع درجة حرارة وضعف الوضع الأمني، بالإضافة إلى دور المبادئ الدينية الإسلامية والعادات والتقاليد في تنسيق الحياة اليومية للسكان، جعلت فكرة الجيرة وقيمها من تعاون ومشاركة وتكامل ممكناً وضرورة للتعايش .

وكل من هذه التكوينات العمرانية في نجد غالباً تشترك في العناصر نفسها التي أثرت في تكوينها، كالطقس الصحراوي الجاف، والدين، والعادات، والمصادر الطبيعية

والمادية، والدافع الأمني، وغيرها. كل ذلك جعل من نسيجها العمراني مكتنزاً (متلاصق ومتلازم) ومترابطاً ومندمجاً لدرجة صعوبة تمييز الحدود بين المساكن، للحصول على أعلى درجة من بيئة أمنية، ولتقوية ميثاق التكافل والترابط الاجتماعي.

هذا التكوين يخفض درجة حرارة البيئة الصحراوية. وأسلوب الشوارع وخلايا الجيرات، وتصميم المساكن يركز على التقليل والتحكم في الاتصال بهذه الأماكن، خاصة من قبل الغرباء، لإضفاء النواحي الأمنية وتقليل فرص السطو. وتمتزج هذه أيضاً بالتوجيه الفراغي لحماية الحرمات والخصوصيات مع المحافظة على روابط الجيرة .

وتتسم المدن والقرى والأحياء التقليدية بكونها مغلقة على نفسها، وذلك عن طريق تقليل المداخل والمخارج المتصلة بها من الخارج. كذلك تعتمد على نفسها من حيث المصادر والخدمات والمرافق والحماية الأمنية، فمثلاً نجد أن المواد الغذائية والملابس وأدوات المعيشة والبناء والألعاب وغيرها تنّتج وتُصنّع ذاتياً في كل قرية أو مستوطنة .

لقد عاش المجتمع السعودي في هذه البيئات التقليدية طبقاً لنظم وعادات اجتماعية تكونت وتطورت عبر أجيال مختلفة، بناءً على خبرة إنسانية متوارثة من حصيلة اجتهادات ومن تجارب ذاتية مشتركة، بناءً على الإحساس الفطري بالاحتياج والوعي البيئي الاجتماعي. وهذا خلق شمولية التفكير بناءً على توجيه عقائدي متحد بالظروف البيئية. هذا التواتر والاستمرارية انعكس على سبل حياة الناس بما في ذلك البيئة العمرانية الشاملة، والتي تُعبر عن مقدرات الإنسان هُنا في خلق البيئة المناسبة لظروفه المعيشية بالرغم من الظروف المحيطية الصعبة .

تركّز هذه الدراسة على وصف وتحليل النسيج العمراني التقليدي في نجد من المملكة العربية السعودية، ويشمل ذلك تغطية شريحة من البيئات التقليدية، والتي تُمثلها نجد. وللحصول على تكامل وشمولية أفضل للتعريف بالبيئات التقليدية في المنطقة الوسطى فإننا سنتّبع الأسلوب الوصفي (Descriptive)، ولن يكون هناك

تركيز على حالات خاصة ومحددة التحليل (Prescriptive). ويشمل ذلك العناصر والمبادئ التي شكلت البيئة التقليدية، وتحليل النسيج العمراني، ووصف مفرداته، ودور كل منها في حياة سكانها، وتغطية أمثلة لبعض العناصر المعمارية التقليدية، وكذلك تفصيل المسكن التقليدي من حيث التصميم والاستخدام والبناء، ولا يسعني إلا أن أشكر دارة الملك عبدالعزيز على دعمها ومساندتها لنشر هذاالكتاب ضمن اصداراتها، والقيام بمراجعته وتد قيقه. كما أشكر أمين عام الدارة الدكتور فهد السماري على ما أبداه من ملاحظات تاريخية على الكتاب أسهمت في تعديل كثير من جوانبه .

والله الموفق

المؤلف



# البيئة الطبيعية لمنطقة الدراسة

# البيئـة الطبيعيـة لمنطقـة الدراسـة

تضم نجد منطقتي الرياض والقصيم، وتقع ما بين درجتي عرض ١٩ درجة و ٨ دقائق و ٣٧ درجة شمالاً، وما بين خطي طول ٤٢ درجة و ٢٦ دقيقة و ٢٧ درجة شرقاً، ويبلغ طول نجـد من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها ١١٠٠كم، أما أقصى اتساع لها من الشرق إلى الغرب فيصل إلى ٨٥٠كم، وتصل مساحة نجـد إلى نحو ٤٢٠ ألف كم٢ أي ما يمثل ١٩٪ من مساحة المملكة العربية السعودية، وتضم نجـد سبعاً وثلاثين مدينة، ونحو ١٢٠٠ قريـة على أسـاس أن المدينـة هي المركز العمراني الذي يوجد به بلدية. وتشتهر نجـد باسم هضبـة نجـد، ومن أهم مظاهرها التضاريسية امتداد جبال طويق لمسافة تزيد على ١١٠٠كم، ويزيد ارتفاعها في بعض المناطق على ١٠٠٠متر، وتنحدر جبال طويق بشدة جهة الغرب وبالتدريج جهة الشرق، وتنتشر مجموعة الأودية المهمة بالمنطقة الوسطى، منها وادي الرُّمّة الذي يخترق منطقة القصيم من الغرب إلى الشرق، ووادي حنيفة، ووادي الدواسر وغيرها من الأودية[١]. (شكل ١)

ونجـد بصفة عامة هضبة رسوبية أغلب تكويناتها من الحجر الجيري والحجر الرملي، يتخللها كثير من الانحدارات الصدعية الظاهرة، والتي غالباً ما تكون محاورها ذات اتجاه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي أو العكس. وفي أقصى الشرق من نجـد توجد الدهناء، وهي أبرز معلم جغرافي، فهي تمتد على هيئة قوس كبير فتحته جهة الغرب وطوله ١٣٠٠كم يصل ما بين رمال الربع الخالي في الجنوب والنفود الكبير في المنطقة الشمالية، وقد سُميت بالدهناء؛ لأن رمالها حمراء اللون بسبب أكسيد الحديد، ولا يزيد اتساع الدهناء على ٢٠-٣٠ كيلومتر[٢].

أما بالنسبة إلى مناخ نجـد فهو بصفة عامة حار جاف صيفاً، ويصل معدل درجة الحرارة في فصل الصيف (في شهري يوليو وأغسطس) إلى ٤٥ درجة، وفي فصل الشتاء يصل أحياناً في بعض السنوات إلى درجة الصفر في شهري ديسمبر ويناير. وتتركز أمطار نجـد في نصف السنة الشتوي (في الفترة من ديسمبر إلى أبريـل)،

(١) جامعة الملك سعود، ١٩٨١م، وزارة الزراعة، ١٩٨٨م، وزارة الشؤون البلدية والقروية ١٤٠٧هـ .

(٢) المرجع السابق.

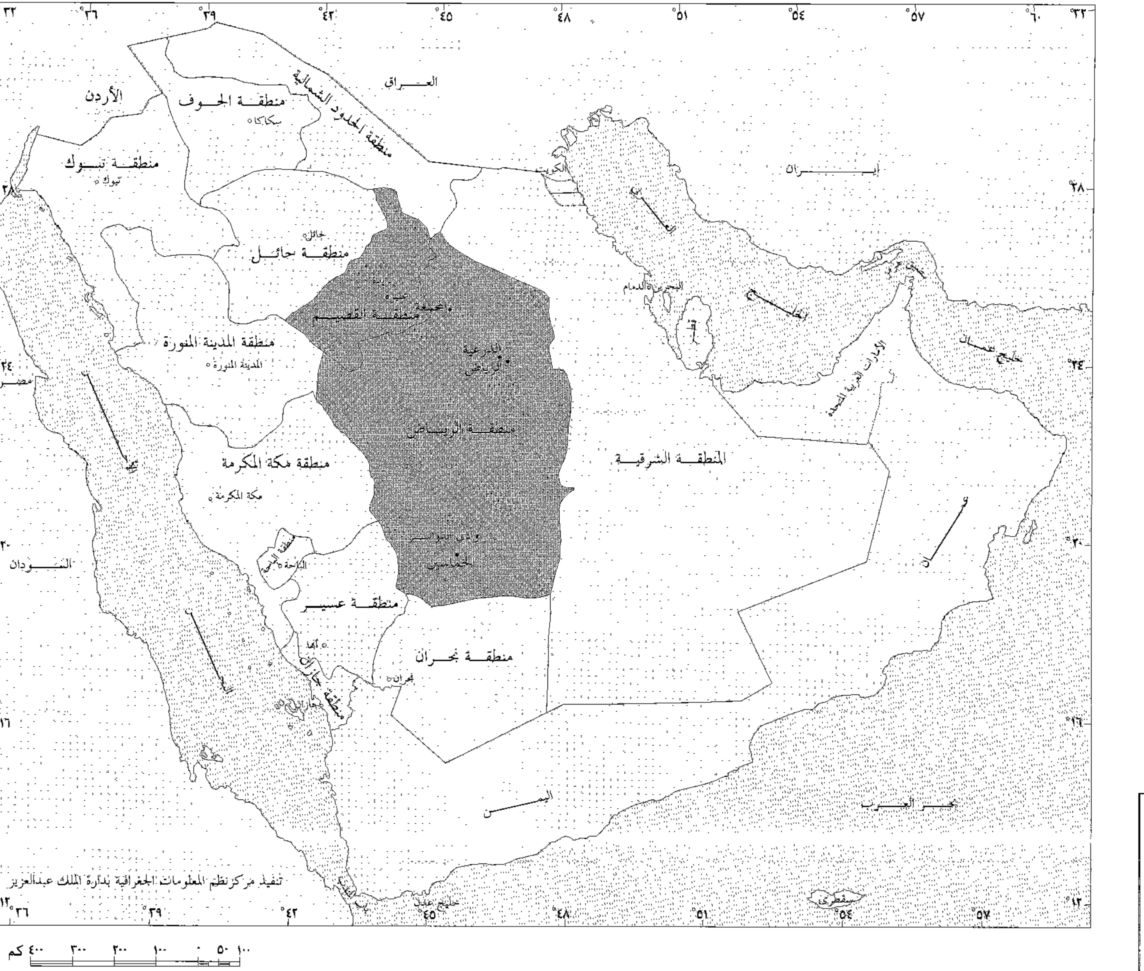
وتتفاوت كميات المطر من عام إلى آخر، وعلى سبيل المثال يصل المتوسط السنوي للأمطار على مدينة الرياض إلى ٨٦ مليمتر، لكنه أحياناً يزيد إلى أكثر من ١٦٠مليمتر، وفي بعض الأحيان لا تتعدى كمية المطر السنوي على مدينة الرياض ٣٠ مليمتر، ويصل متوسط كمية المطر السنوي على مدينة عنيزة إلى ١٢٤مليمتر، لكنه يصل أحياناً إلى ٢٠٠مليمتر، ويقل أحياناً أخرى إلى ٦٠مليمتر [١] .

تُؤمن مزارع الأودية وبعض المواقع الصحراوية الأخرى مواد البناء، خاصة المادة الرئيسة والسائدة الاستعمال وهي الطين. كذلك توفر هذه الطبيعة موارد الطعام والترفيه للسكان، فمثلاً يتفاعل السكان مع البيئة الصحراوية عن طريق استخدام ما توفره من خضار برية كالبسباس، والبقير، والعراجين، والفقع، والعنصل، وبعض الطيور والحيوانات كالجراد، والضبان، والغزلان، والأرانب. كذلك يقوم الناس بالرحلات البرية (الكشتات) خاصة في فترات الشتاء والربيع، حيث الاستمتاع باخضرار الصحراء الموسمي، ونزول الأمطار، والتي لها وقع كبير في نفوس الناس، فيعمُّهم الفرح، ويحدث الاجتماع. ويعتمد السكان أيضاً على الحيوانات الأليفة كالماعز، والخراف، والجمال، مصدراً للغذاء الأساس كاللحم، والحليب، واللبن، والزبدة، وغيرها. ويقوم الرعاة يومياً، وفي أغلب أشهر السنة، بتجميع أغنام سكان المستوطنة التقليدية في الصباح الباكر والخروج بها إلى المراعي والعودة بها مع غروب الشمس، حيث يخرج كثير من السكان خاصة الأطفال والشباب، لاستقبال أغنامهم يومياً، ويصاحب ذلك اللعب والتسلية فيما بينهم، وهذا يزودهم بالمتعة والسرور .

وغالباً ما تنشأ البيئات العمرانية التقليدية بمواقع تقاطع الطرق التجارية أو طرق الحجاج المتصلة بالأماكن المقدسة وبالقرب من الأودية والرياض (الروضات أو الفيضات) . وتتوفر في هذه المواقع المختارة مصادر المياه ومواد البناء والتربة الصالحة للزراعة، حيث يتم حفر الآبار وإنشاء المزارع والبيئات العمرانية. ويبدأ تكوين البيئات التقليدية من نوايا (نواة) عادة ما تكون مزارع أو قرى صغيرة جداً، تنمو تدريجياً لتصبح بيئة متكاملة العناصر من حيث المركز (السوق)، والمساجد، والشوارع، والساحات، والقباب، وغيرها .

---

(١) المرجع السابق.




**شكل (١):**

خريطة للمنطقة التي تغطيها الدراسة، والحالات الخاصة التي تم التركيز عليها، لتمثل منطقة نجد.



# عناصر ومبادئ التراث العمراني

المناخ
العادات والتقاليد وانعكاساتها الفراغية
الأمان
التأثير البيئي الحسي
التلازم المعيشي
النطاقية الفراغية

# عناصر ومبادئ التراث العمراني

تشمل العناصر الرئيسة التي أثرت في البنية العمرانية التقليدية: المناخ، والطبوغرافية الصحراوية، والمصادر الاقتصادية والطبيعية، والعادات، والتقاليد، والتواصل الاجتماعي، والخصوصية، والتكافل، والكرم، والأمان، والتأثر البيئي والحسي.

## ٣-١- المنـــــاخ

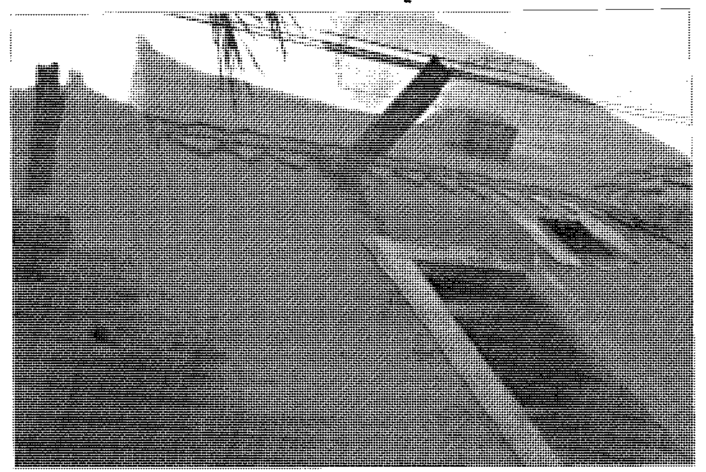
يتميز مناخ نجد بتفاوت يومي وموسمي كبير في درجات الحرارة، لذلك كان ينبغي أن يشيّد البيت والحي السكني والأماكن العامة في هذه المنطقة بطريقة تخفّض درجة الحرارة لإيجاد طقس ملطّف، لتسهيل المعيشة في الصحراء. ففي هذه المناطق تقل السحب صيفاً ولفترات طويلة، وبذلك تسقط على سطح الأرض كميات كبيرة من أشعة الشمس في النهار وتنعكس على السماء ليلاً. وأسلوب بناء النسيج العمراني التقليدي يقوم بتلطيف هذا التبادل الحراري عن طريق تأخير دخول حرارة النهار المرتفعة إلى المنزل، وفي الوقت نفسه يحتفظ بكمية كافية منها لتدفئته في الليالي الباردة. ومن المعروف أن الجدران المشيدة من اللبن الطيني المجفف بالشمس هي إحدى أفقر الموصلات الحرارية، ويعود ذلك جزئياً إلى خاصية التوصيل الطبيعية المنخفضة جداً للطين، لذا فقد أصبح معروفاً أن الغرف التي تُبنى بالطين في المناطق الحارة تكون أكثر برودة من تلك المشيدة من مواد أخرى [١].

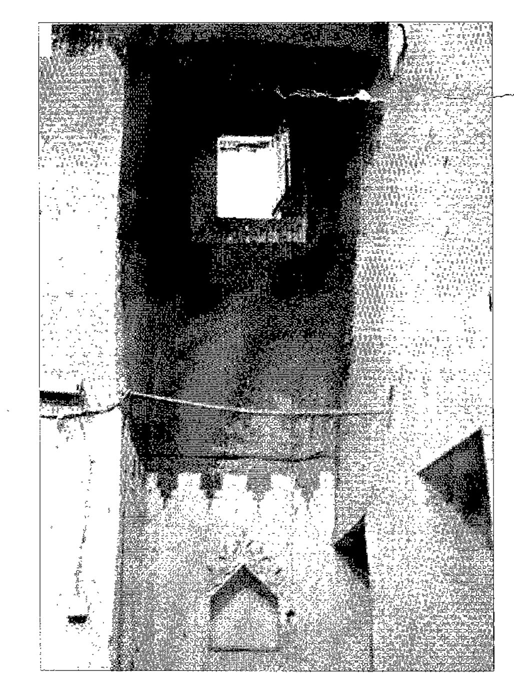
وقد اضطر الناس الذين يعيشون في مثل هذه البيوت الطينية إلى إيجاد سبل لحث حركة الهواء وتلطيف الحرارة. وقد تجسدت الحلول الرئيسة لتلطيف المناخ السكني الجاف في صحاري المملكة في توجيه فتحات المساكن، وفي نوعية مواد البناء المستخدمة. وساعد استخدام المواد ذات الخاصية المنخفضة للتوصيل الحراري، والأسطح العاكسة، وأنظمة التهوية، والأفنية، والتظليل، في المحافظة على مناخ داخلي مريح للمسكن.

---

(١) فتحي (١٩٨٨م)، Alnowaiser,1977

واعتاد الناس في البيئات التقليدية على شغل أماكن مختلفة حسب التغيرات في درجات الحرارة اليومية والموسمية، فتستخدم المناطق المغطاة مثل الغرف، والصالات، في الصباح الباكر والأوقات المتأخرة من الليل في فصل الصيف، وفي الليل ينتقلون إلى السطح للنوم حيث إنه أبرد من الأماكن الأخرى في المسكن. ويوفر السطح المقسّم بفواصل جدارية غرفاً للنوم سقفها السماء والنجوم. وفي وقت الشتاء يبقى الناس عادة تحت الشمس المشرقة في الأفنية خلال النهار وينتقلون إلى الغرف للنوم أو إلى القبو عندما يشتد البرد. وتوضع النوافذ على عمق في الجدران لتجنب ضوء الشمس المباشر من جهتي الشرق والغرب (شكل٢) .

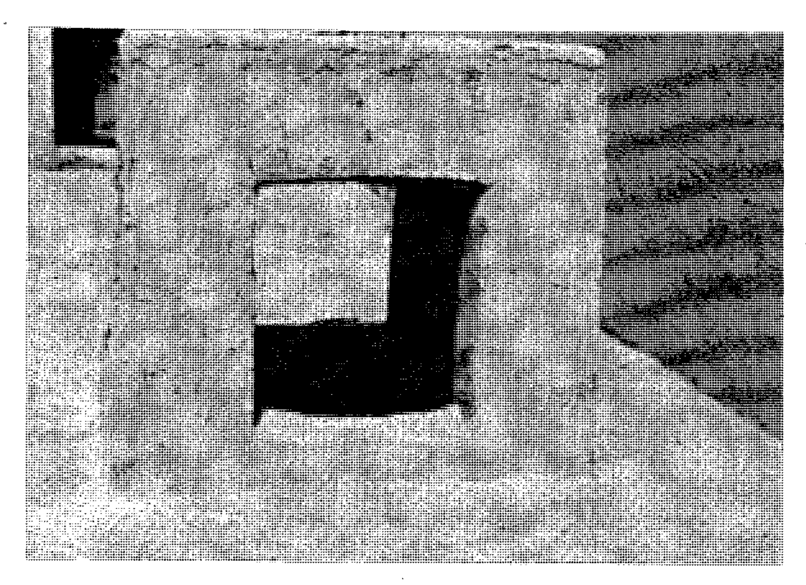


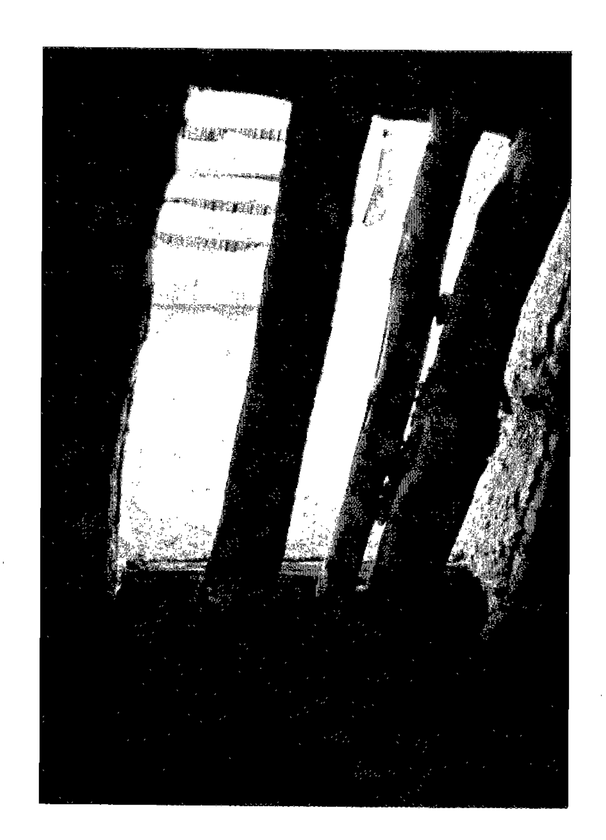


**شكل(٢)**:

تظهر النوافذ وقد عملت على عمق الجدار لتجنب ضوء الشمس المباشر.

وتحوي بعض البيوت على سوامات (مناور)، وهي عبارة عن فتحات في السقف تسمى (الكشافات) أو (سماوات من السماء) خاصة في مجالس الضيوف والمطابخ، يتم فتحها صيفاً لتسمح بخروج الهواء الساخن، وتغلق في الشتاء، وتوضع فوق الأوجار لخروج دخان الوقود (الخشب والفحم) (شكل٣) .





**شكل (٣):**

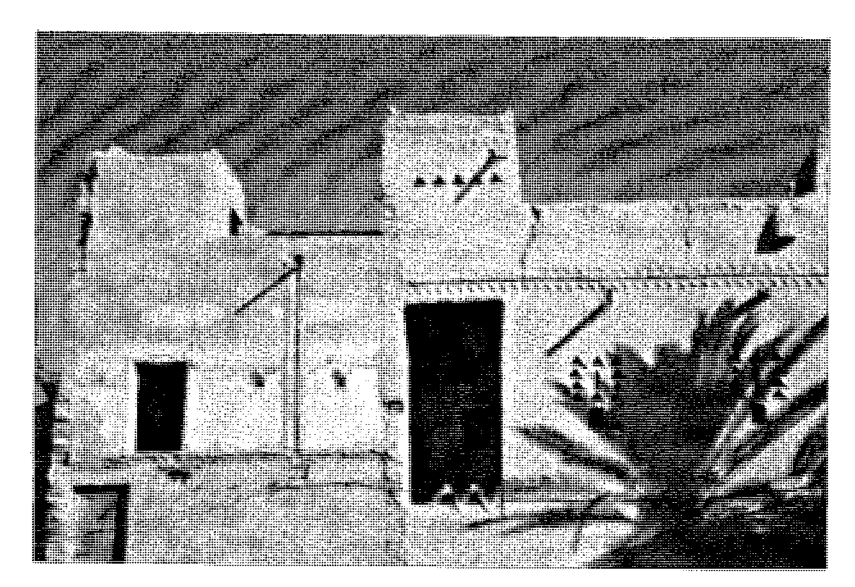
الكشافة أو السماوة، وهي فتحة في سقف القهوة (مجلس الرجال) فوق الوجار (الموقد)، لخروج الهواء الساخن والدخان.

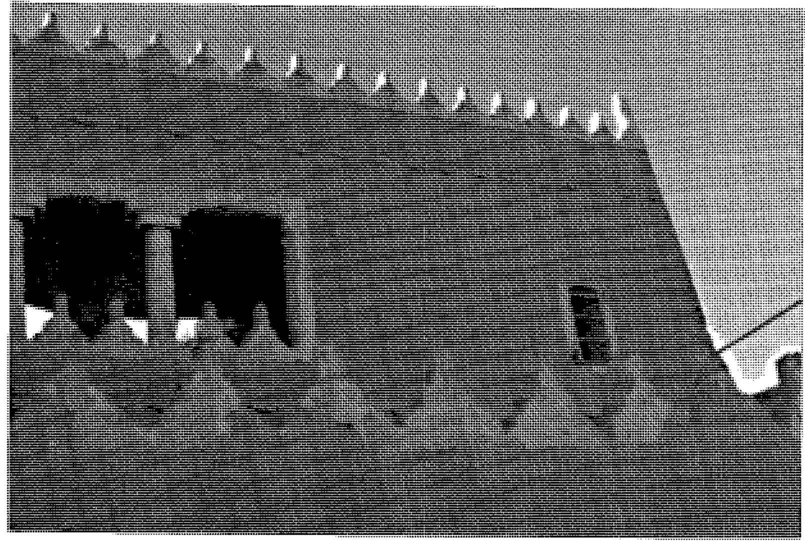
كما يمكن استخدام دورة الهواء في بعض الأساليب لحفز إحلال الهواء الساخن بآخر بارد. فعندما تُسخن أشعة الشمس الفراغات، يميل الهواء الحار إلى الارتفاع ليحل محله هواء أبرد، وهذه العملية الطبيعية تظل فعّالة حتى لو لم تكن هناك رياح في الخارج. يُستخدم هذا الأسلوب بشكل شائع في معظم البيوت في البيئات التقليدية في الجزيرة العربية. وتُستخدم هذه الطريقة عادة لصنع تيار هوائي بين الفتحات العالية والمنخفضة في جدران الغرف ذات الأسقف المرتفعة، ومن خلال فتحات أخرى كالأبواب والنوافذ، بحيث ينزل الهواء البارد الأثقل على الفناء، ويتحرك إلى داخل صالة الجلوس عن طريق الشبابيك السفلية، وهذا يدفع الهواء الساخن الأخف إلى الأعلى ليخرج من الشبابيك العلوية (شكل٤) .

**شكل (٤):**

منظر للشبابيك، وهي تصمم، على مستويين، علوية صغيرة وسفلية كبيرة - وخاصة في مجلس الرجال - بحيث يدخل الهواء البارد عن طريق الشبابيك السفلية من خلال الفناء، والذي بدوره يدفع الهواء الساخن خارج المجلس عن طريق الشبابيك العلوية.

ويُعتبر (الفاو) أسلوب تبريد تقليدي آخر وجد في بعض مباني المنطقة، خاصة في القصيم(عُنيزة)، وهو عبارة عن ملقف للرياح على شكل فتحة مرتفعة واسعة في الجدار الخلفي للرواق الرئيس للمسكن وتفتح على الفناء، يلتقط هذا الأسلوب التقليدي الرياح من ارتفاع أعلى حيث تكون قوية وصافية. (شكل٥) .

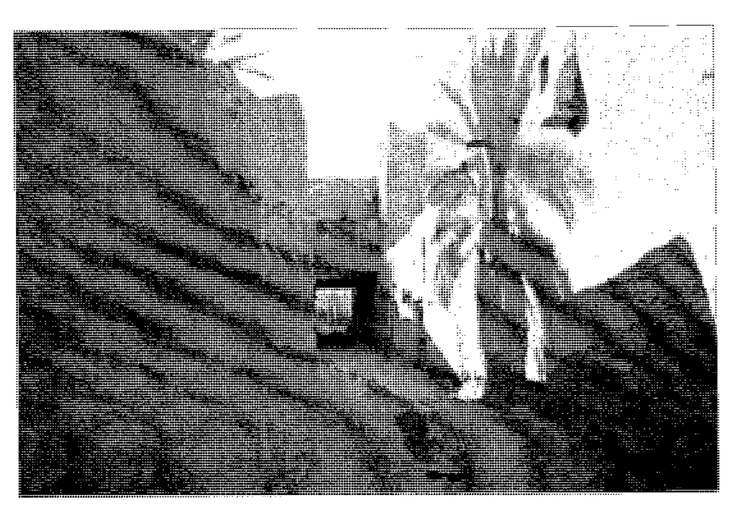


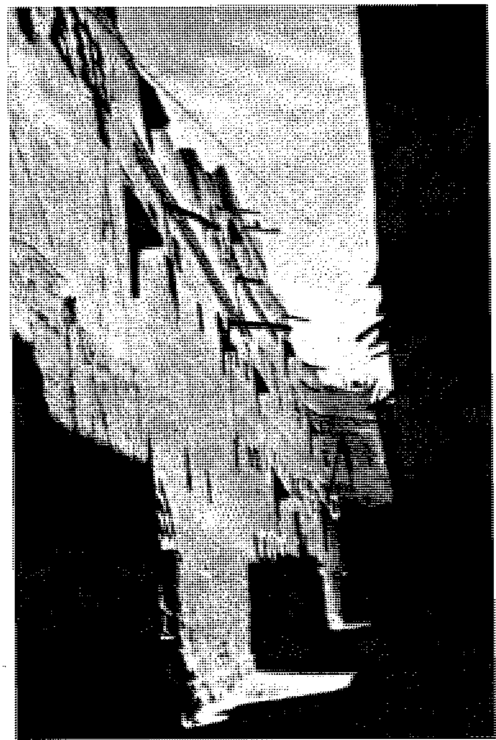


**شكل (٥):**

يعتبر « الفاو» أحد أنماط الملاقف الهوائية، التي تحض على دخول الهواء البارد من خلال الفتحة الكبيرة المواجهة للرياح المحببة (النسيم) والتي تنزل إلى فناء المنزل وبعدها تتوزع داخل الغرف.

ويمثل التظليل إحدى أهم الوسائل لحماية أغلبية المنازل والفراغات الخارجية من أشعة الشمس، كما يوفر تلاصق المباني ميزة إيجاد الظل لأماكن الأنشطة والجلوس، ويمنحها مظهراً جمالياً جذاباً (شكل٦) .





**شكل (٦):**

يوضح توجيه الكتل العمرانية بحيث تكون مناطق مظللة للأنشطة الخارجية، ولتظلل بعضها الكتل العمرانية الأخرى.

يُعد الشمال الغربي أو الشمال الشرقي أفضل الاتجاهات لتوجيه المسكن، وبذلك فإن معظم المساكن تُبنى في مواجهة أحد هذين الاتجاهين، وعلى هذه المواضع يمكن أن يتدفق الهواء البارد القادم من الاتجاه الشمالي الغربي في الصيف خلال الملاقف والأفنية، ومن ثم إلى داخل الغرف من خلال نوافذها وأبوابها، بينما توفر الواجهة الشمالية أشعة الشمس والدفء شتاءً. وعادة ما تضم الواجهات الخلفية للبيت نوافذ قليلة من أجل حماية المنزل من الرياح الجنوبية الشرقية الباردة .

## ٣ - ٢-العـادات والتقاليـــد وانعكاساتهـا الفراغيـــة

السلوكيات البيئيـة هـي الأنـواع التي تتأثـر جزئيـاً بتحفيـز البيئـة المبنيـة وتؤثـر فيهـا. وهي تشمل الاتصـال الاجتماعي والخصوصية والنطاقيـة والتكافل والكرم وبعض العـادات المتصلة بالفـراغ، لـذا فإن التدعيم الفراغي للأعـراف الاجتماعية يعمل على الاتصـال الإيجابي بين السكان ونشـر الاطمئنـان، والصحـة النفسيـة، والإحسـاس بالأمـن .

## ٣ - ٢ - ١-التواصـل والتكافـل الاجتماعـــي

منذ بدء الخليقـة وجد الإنسان كثرة المخاطر التي تهدده عندما يعيش بمفرده، فيصبح فريسة سهلة للحيوانات المفترسة، وعوامل الطقس ، ومن أبناء جنسه؛ لذلك اكتشف الإنسان أن الانتماء إلى مجموعة معينة والعيش معها يكوِّن الحماية والأمان بمقابل مشاركته للبقية وضم جهوده إليهم ليخلق بيئة متكاملة، تكون قوية يصعب اختراقها والاعتداء على أفرادها. لقد عرف علماء العرب وفلاسفتهم الأوائل مثل: ابن خلدون في القرن السابع، ومحمد أبي النصر في القرن الرابع الهجري أهمية الاتصال الاجتماعي، حيث ذكر الأخير في كتابه «المدينة الفاضلة» (١) ما يأتي:

**«كل فـرد من الجنس البشري متأثر في حوافزه وبواعثـه الفطرية ويصبو إلى أن يصل إلى مستوى رفيـع من الاكتفـاء المادي والاحتياجات والرغبات النفسية الروحية. هذا لن يسهل الحصول عليه من قبل الفرد بحد ذاتـه. لذلك فهو يحتـاج إلى الاتصال بـأفـراد المجتمـع الآخـريـن والـتـعـاون معـهم، فكـل فـرد يشـارك بما لـديـه ويـحـتـاجـه الآخرون مقابل ما يحصل عليـه منهم، والـذي يحتاجه ولا يملكه».**

لذلك كلما زاد التكافل الاجتماعي والاتصال والتفاهم، ارتفع مستوى المردود على الفرد، حيث إن هذا يهيئ ويؤصل جواً من المحبـة والطمأنينة والأمان من جراء إزالـة العـوازل والفجوات المصطنعـة، وهـذا بـدوره يشـجـع علـى تكوين علاقـات نـاضجـة ومتطورة، لـذا فإن تعميق الاتصـال في البيئـة السكنية يقلل من الإحساس بالخوف

---

(١) وافي، ١٩٧٣م.

والشد النفسي والرهاب الاجتماعي الذي ينتج عن الخوف من عدم رضا الآخرين والتصورات الخاطئة عنهم، ويزيل الشكوك بين أفراد المجموعة، ويحررهم من سجن الوحدانية الذي يقيد حياتهم .

والمجتمع السعودي مجتمع تقليدي، ومن أكثر المجتمعات التصاقاً بمبادئ التكافل والتعاون والاتصال، فالدين والعادات والتقاليد تحكم وتنسق العلاقات العائلية والاجتماعية، ابتداءً من مرحلة الطفولة، حيث يُعلم الأبناء أن يتبعوا بعض الأعراف السلوكية التي ترتبط بجميع مستويات الاتصال مع بقية المجتمع؛ لذا يتربى الأبناء على معرفة وتمييز أنماط سلوكية محددة ومرتبطة لكل حالة وتشكل نظماً متعارفاً عليها من الجميع. فمثلاً: أحد هذه النظم ما يمكن أن يُعرف بمفهوم «الآداب» الذي ينسق التعاملات والتربية الصالحة واللباقة واللياقة وحسن العشرة وتأصيل الأخلاق النبيلة. فالآداب وحقوق الفرد والآخرين توجه التعامل حسب درجة القرابة والعمر، بحيث يحترم الصغير الكبير، ويعطف الكبير على الصغير، مع أهمية المحافظة على حقوق الوالدين، فالأفراد منذ الطفولة يُعودون على طاعة الوالدين، واحترام الجار، حيث إن الدين يوصي بهما، وحدد موضوع الاتصال والسلام بحيث يكون من الصغير إلى الكبير، والماشي على الجالس، والراكب على الماشي.

يُعتبر التكافل الاجتماعي من أهم خصائص التعاليم الإسلامية في حياة الفرد والأمن أو الجيرة، فأعضاء المجتمع الإسلامي التقليدي يتعاونون فيما بينهم للاستزادة من المصادر، وتبادل المهارات، وسد حاجة المحتاج عن طريق الزكاة والصدقة، وزيارة المريض وغيرها . كل ذلك يشكل مظلة يحتمي بها أبناء المجتمع من جور الزمان وحماية بعضهم بعضاً من الجوع والمرض والجهل، وخلق بيئة اجتماعية متكاملة انعكست على نسيج الأحياء العمرانية، حيث نلحظ التنوع والاختلاط في منازل ذوي الدخول المختلفة، بحيث يمكن أن يتجاور الغني والفقير، ويساعد الأول الثاني في الماديات عن طريق إخراج الزكاة، والتي لا يحس الثاني أنها هبة من الأول، إنما هي من الله. فنُظم التكافل واحترام الخصوصية والتعامل بالآداب تكوِّن مبدأ الجيرة، والتي بحد ذاتها توجه تصميم المنزل .

## ٣ - ٢ - ٢-الخصوصية

تُعرَّف الخصوصية على أنها تحكُّم الإنسان الاختياري في السبيل إلى النفس عن طريق سيطرة فرد أو مجموعة على جزء من البيئة وتشخيصها والدفاع عنها(١) . وتختلف وتتنوع الخصوصية، بحيث تحوي الخصوصية البصرية، والصوتية، والصحية، والسلوكية، والحسية، والممتنعة، والمجهولة، وغيرها. فللخصوصية أهمية كبيرة في المجتمع الإسلامي كما روي في كثير من الأحاديث، فلقد روى أبو داود «حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين، قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبدالرحمن عن عبدالرحمن عن عبدالله بن بشر قال: كان رسول الله- ﷺ - إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (٢) ، وفي الصحيحين قال أبو القاسم: عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : لو أن امرءاً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك من جُناح » . أخرجه البخاري(٣) .

فالمسكن التقليدي يُعبر عن هذه الأبعاد الإنسانية والدينية في الخصوصية. وخصوصية المسكن عادة تحترم من قبل أفراد المجتمع الآخرين عند التعامل معه أو البناء حوله. وهذا مرتبط بشكل كبير وخاص بحماية المرأة وخصوصيتها لدرجة التطابق في الاسم بينهما. فكلمة حرمة « اصطلاح متعارف عليه ليعبر عن عمق مفهوم الخصوصية حول المرأة على أنها محور الحياة داخل المنزل، والذي يستقي كنيته منها كما في مسماه «حرمة الدار». وهذا يجعل الخصوصية في هذه البيئة أقوى وأهم من غيرها في البيئات الأخرى. كذلك انتقال النساء من منزل إلى آخر بين الجيران يحدث بدون تحفظ، حيث إن المرأة تدخل إلى داخل منزل الجيران بمجرد طلب إذن رمزي بالتصفيق باليدين، وهذه عادة تتم تهيئتها بتوجيه أجزاء المنازل الخاصة بالنساء باتجاه بعضها من حيث الموقع وفتحات الأبواب وخصوصيتها، بينما يكون اتصال الرجال بالجيران عن طريق الشارع المفتوح والباب الخاص بهم من

(١) Altman 1975, Alnowaiser ١٩٨٥.

(٢) الإمام أبو داود الأزدي، ص ٢٣٥، كتاب الآداب، ١٩٩٨م .

(٣) الإمام أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب المديات، ١٩٩٨م، ص ١٤٤٨.

المسكن، والذي عادة ما يكون مفتوحاً ومتصلاً بمجلس الضيوف. لذا نجد طبيعة توجيه أجزاء المسكن الرئيسة وعلاقتها بالجيران، بحيث تحاول أن توازن بين خصوصية المنزل وعموميته واتصاله بالجيران .

كذلك نجد فتحات المنزل موجهة إلى الداخل، حيث تطل على الفناء الداخلي لحماية خصوصيته من سكان المنازل الأخرى وحمايتهم منه. وكذلك طبيعة الشوارع فإنها صممت لخدمة المصلحة المشتركة من حيث الخصوصية لسكانها واحترام حقوقهم، كما أشار الهذلول إلى أحد أحكام البناء في الإسلام، حيث قال: **«يحق للشخص الذي يمتلك مسكناً قائماً أن يقول لشخص آخر يريد أن يبني ويجعل باب منزله مواجهاً لباب مسكنه القائم: أنا أستفيد من الفراغ الذي أمام مسكني والذي تنوي أن تفتح عليه بابك. إنني أستطيع الآن فتح باب منزلي دون أن يتدخل أحد في خصوصيتي واستخدامه لإحضار وتحميل وتنزيل احتياجاتي دون أن أزعج أحداً؛ لذلك لن أدعك تفتح بابك أمام بابي أو بالقرب منه، حيث إنك ستستعمله للاستقبال والترفيه أو لاغراض مشابهة»** (1).

## ٣ - ٢ - ٣-الكـرم

يحضّ الدين الإسلامي العباد أن يكونوا كرماء فيما بينهم بالمادة والشعور الإيجابي. وقد ورد في الأثر أن الكرم والشجاعة وزيران لهذا الدين، فالكرم أحد الصفات النبيلة التي يتحلى بها ويشتهر بها أفراد المجتمع، ومن خلاله تكون أهم الاتصالات الاجتماعية، حيث إن الشخص الكريم يكون عنصراً فعّالاً، فهناك حكم شعبية تحثّ على الكرم كقولهم: «البيت الذي لا يدخله الضيوف لا تدخله الملائكة». ومن الرموز والصفات التاريخية/ الاجتماعية قولهم في امتداح بعض الأشخاص الكرماء «حاتمي» إشارة إلى أهم أسماء مشاهير العرب بالكرم في الجزيرة العربية وهو حاتم الطائي .

(١) AL-hathloul, 1981, p. 112

لذلك نجد أن هذا العُرف وعادة الكرم تنعكس على جزء مهم من تصميم المنزل للتعبير عن ذلك كما في مدخل المنزل الرئيس (مدخل الضيوف)، كذلك في مجلس الضيوف، حيث نجد أن باب المدخل يكون كبيراً وجذاباً، ويُعبر عن ذلك بالنقوش والألوان الزاهية والجميلة وما يحيط به من برواز جبسي ناصع البياض بنقوش مختلفة وكتابات دينية وحِكم، بعضها يرحب بالضيف. كل هذا التكوين الجمالي يوحي بالترحيب بالضيوف والأصدقاء وبرغبة صاحب المنزل في إ متاعهم .

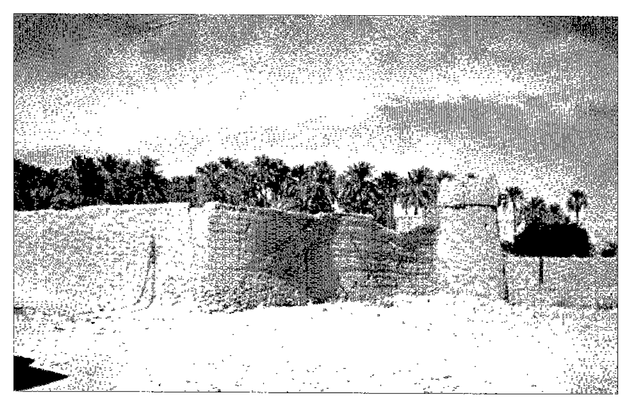
ويستمر هذا التعبير الفراغي إلى داخل المنزل لمجلس الضيوف الذي عادة ما يتصل بالمدخل الرئيس عن طريق الإيوان (الليوان) . ويتصف مجلس الضيوف بالسعة وارتفاع السقف وكثرة النوافذ للحصول على النور الطبيعي والتهوية، وكل ذلك يُعطي شعوراً بالرحابة.كذلك وجود العناصر الأخرى فيه مثال الكمر (رفوف أواني القهوة والشاي) والأوجار (موقد النار) في أحد أركان المجلس، تبرز الاستعداد والترحيب في استقبال الضيوف. كما أن طبيعة تكوين الجلسة العربية حول الوجار تكون موقعاً مغناطيسياً وجذاباً وتشعر بالألفة والتقارب وإزالة الكلفة. أما الزخارف التي تغطي الكمر والجدران والنوافذ وألوانها فإنها تضفي جمالاً ورونقاً على مسطحات غرفة الضيوف .

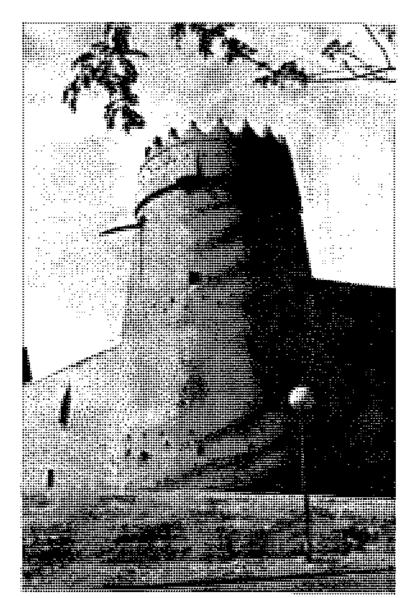
## ٣ - ٣-الأمان

تتدرج الحماية الأمنية في البيئات العمرانية المختلفة على عدة مستويات، تبدأ من مستوى البلدة إلى الحي والجيرة والمسكن، ويشمل ذلك عناصر الحماية من غارات الحروب الأهلية والحنشل (اللصوص)، كالأسوار، والبوابات، والشوارع غير النافذة والخاصة، وغيرها .

سور البلدة عنصر أمني ساعد في الدفاع وحماية السكان في البيئات التقليدية في زمن ندرة المصادر وسيادة الفقر والجوع وانعدام الأمن وكثرة النزاعات القبلية على مصادر المياه والمواد الغذائية الأخرى. واستمر استخدام السور كعنصر أمني إلى يومنا هذا، لكن بأسلوب مصغّر حول القصور والمساكن والمباني العامة. وتتنوع أسوار البيئات التقليدية باختلاف مواقعها وأهميتها وحجمها، فمنها المعقّد وهو المزدوج

الذي تتخلله بوابات ضخمة وأبراج للمراقبة وإطلاق النار حول المدن، ومنها المبسّط والفردي الذي يوجد في أغلبية القرى. وتتراوح سماكة السور بين ٥ر٢م عند القاعدة و٥ر٠م في أعلاه، ومعدل ارتفاعه بين ٥ - ٦ أمتار. وهذه الأسوار التي تحيط بالبيئات التقليدية من جميع جهاتها مبنية من الحجارة والطين أو من الطين. وهذه الأسوار عادة تهدم كلياً أو جزئياً بعد كل فترة زمنية طويلة تتراوح بين٣٠-٧٠ سنة حسب درجة حاجة البلدة إلى التمدد، حيث يُبنى سور جديد يتلاءم مع الاحتياج المتغير. ويتخللها بوابات أو دراويز وأبراج غالباً على مسافات متساوية بعضها دائري وبعضها الآخر مربع. وتستخدم هذه الأبراج لمراقبة البلدة وحراستها، وترقّب القوافل التجارية والحجاج وأسراب الجراد ورعاة الغنم، حيث إن الاعتداءات على الأرواح والممتلكات يكون مصدرها من خارج البلدة (شكل٧) .



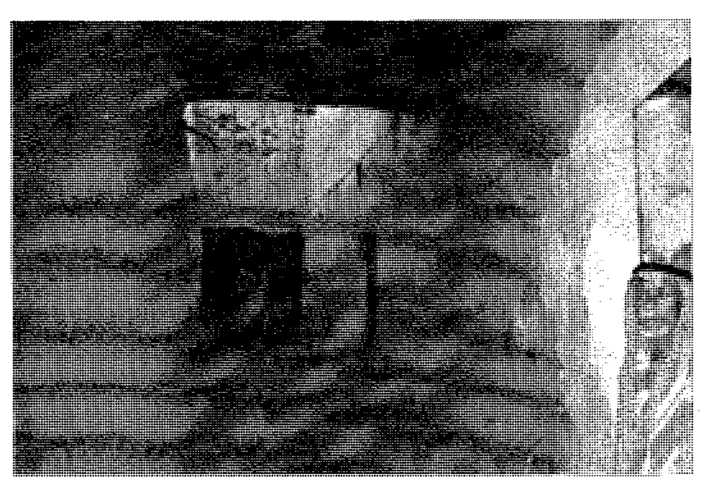


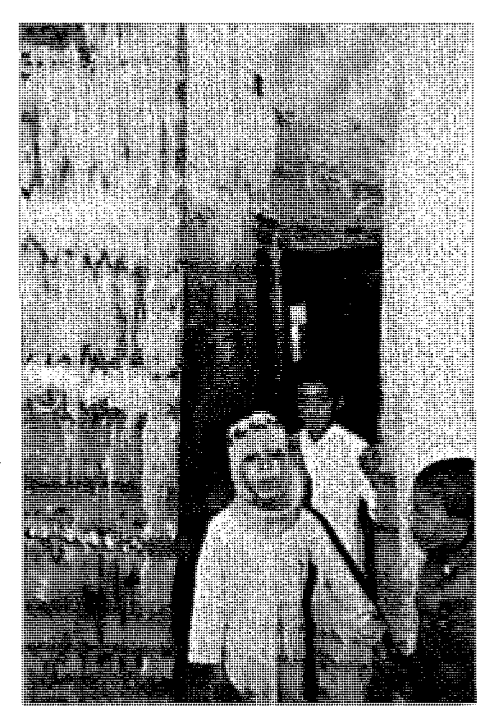
**شكل (٧):**

منظر للأبراج التي تستخدم وسائل دفاعية أمنية، للمراقبة والحراسة وترقب قدوم القوافل التجارية والحجاج وأسراب الجراد والأغنام والإبل وغيرها.

كان لتخطيط البلدة والأحياء وتصميم المباني والفراغات الخارجية الدور الرئيس في العنصر الأمني. فأسلوب تقسيم البلدة إلى أحياء وجيرات وشوارع غير نافذة يُعبر عن الحماية الأمنية لسكانها، حيث إن هذه الأحياء والجيرات تكون مغلقة وخاصة بسكانها .

والإغلاق يكون إما بالحد من الشوارع المتصلة بالحي وعدم السماح بنفاذ أي شارع، أو بإغلاق مدخل الحي الوحيد ببوابة. أيضا تقوم مجموعة من سكان الحي بالتناوب ليلاً لمراقبة وحراسة أحيائهم ويُسمّون «العَسَس» (شكل٨) .





**شكل (٨):**

يعد تقليل سبل الاتصال الفراغي بالمساكن من أهم وسائل الحماية الأمنية للسكان، وذلك عن طريق استخدام الشوارع غير النافذة، أو بوابات تغلق ليلاً لكامل الجيرة، بالإضافة إلى تلاصق المساكن.

لـذا يلحظ أن توجيه البلـدة والحـي والمنـزل إلى الداخل حـول ساحـات وأفنيـة لتأكيد الأسلوب الدفاعي لها بالإضافة إلى الخصوصية. كذلك تـدرُّج الفراغـات (النطاقيـة) والشـوارع غير النافذة، وتوجيه فتحـات المسكن إلى الفنـاء وتصغير الفتحـات الخارجيـة تعمل على دعـم الحماية الأمنيـة .

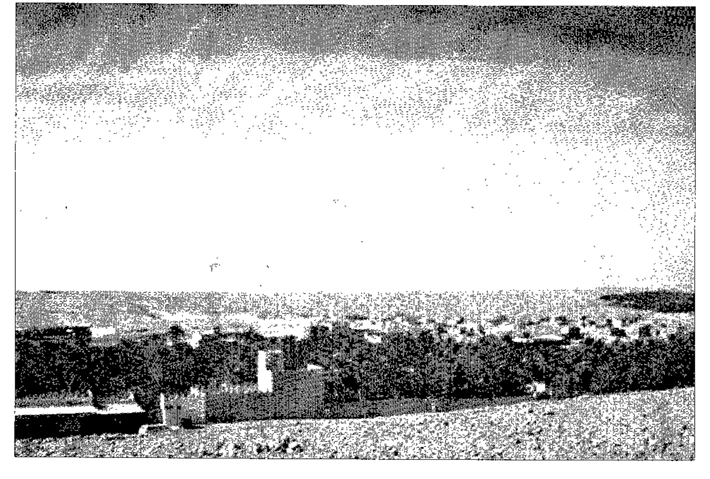
وعلى ذلك فالهاجس الأمني في الماضي لـه أثر قوي وكبير في توجيه طبيعة النسيـج العمراني للبلـدات التقليديـة.

## ٣ - ٤-التأثيـر البيئـي الحســـي

تُعتبـر السمـاء الزرقـاء والقمـر والنجـوم وأشجـار النخيـل من أهـم العناصـر البيئيـة التي تؤثـر بشكـل مباشـر في حيـاة السكـان وفي تصميـم مساكنهـم وتعبيراتهـا الفراغيـة. والسمـاء من أحـد أهـم العناصـر التي تكوِّن التصور الحسي لبيئـة السكـان، فمنهـا ينبع إحساسهـم الدينـي بأن الإلـه متربـع على عرشـه في السمـاء التي رُفعـت بـدون عمـد، وقـد ذكـر اللـه تعالـى في آيـات كثيـرة السمـاء ومـا يكـون فيهـا وينـزل منهـا ومـا يعـرج إليهـا، وجـاء في كتابـه الكريـم :﴿هـو الـذي خلـق السماوات والأرض في ستـة أيـام ثـم استوى على العـرش يعلـم مـا يلـج في الأرض ومـا يخـرج منهـا ومـا ينـزل من السمـاء ومـا يعـرج فيـهـا وهـو معـكـم أينـمـا كـنـتـم والـلـه بمـا تـعـمـلـون بصيـر﴾. سـورة الحديـد الآيـة(٤). ولتجسيـد ذلـك يكـون توجيـه الانفتـاح عـادة إلى الأفـق والفضـاء من خـلال فنـاء المنـزل والساحـات وغيـره، فيحسـون بالتقـرب والاتصـال الروحـي بالـرب، لذلـك فإن الفنـاء هـو مصـدر الشعـور بالحريـة، والاتصـال بالطبيعـة، والحصـول على الهـواء والنـور الطبيعـي، ومتنفس لجميـع أنشطـة المنـزل فهـو يشكـل الرئـة للغـرف، ويمتـد ذلـك إلى تعلـق أبنـاء هـذه البيئـة في الفضـاء وتفضيلهـم التنـزه في الصحـراء على التنـزه في المدينـة حتـى وقتنـا الحاضـر. وارتبـاط السكـان بالفضـاء والسمـاء واضـح أيضـاً من معرفتهـم بـه، حيث إن أغلبيـة السكـان لديهـم أسمـاء معينـة لبعض النجـوم وتحركهـا ومـا تتخـذه من مواقـع، ودرجـة سطوعهـا وعلاقتهـا بالنجـوم الأخـرى. كذلـك يتابـع السكـان بشكـل دقيـق دورة القمـر الذي لـه مكانـة لديهـم، حيث كـان مصـدر النـور لأنشطتهـم المسائيـة في الماضـي. ولقـد تعلقـوا بـه كثيـراً، وحاكـوا حولـه كثيـراً من الأشعـار والحكايـات.

وقد شكّلت شجرة النخيل، تاريخياً، عنصراً مهماً لحياة السكان في البيئات التقليدية، حيث كانت مصدر الغذاء الرئيس ومواد البناء، وكانت عنصراً جمالياً. وتمتاز هذه الشجرة بقدرتها على البقاء بمقدار قليل من المياه في إقليم تشح فيه المياه، وغالباً ما تكون بهذه المياه بعض الأملاح. وتُمثل أشجار النخيل مشهداً شائعاً في البيئة التقليدية بكاملها، فهي تنتشر في الساحات العامة، وفي داخل المساكن والمزارع لتؤكد الحياة في البيئة الصحراوية .

ومن هنا نلحظ أن السكان تأثروا حسياً بهذه العناصر، السماء والقمر والنجوم والنخيل، وحاولوا التعبير عنها تجريدياً عن طريق نقشها أو رسمها أو حياكتها على أسطح الجدران الطينية والجبسية والمداخل والحوائط الداخلية لمجلس الضيوف والأفنية والكمر (وحدة أرفف القهوة) والأثاث ودلال القهوة والمباخر، وحتى فناجيل القهوة والفتحات (شكل٩) .



**شكل(٩):**

يلحظ تأثر السكان الحسي ببيئتهم المحيطة وانعكاس ذلك على النقوش المستخدمة في حوائط المجالس ورفوف الأواني (الوجار) والأغطية الخشبية والأبواب والأثاث وأواني القهوة والشاي والمباخر، وتمثل هذه النقوش القمر والنجوم والنخل.

## ٣ - ٥-التلازم المعيشـــــــي

يُعبِّر النسيج الاجتماعي والعمراني المتكامل عن التنمية، والمعيشة المتلازمة والمستديمة (Sustainability)، ويشمل ذلك أساسيات الحياة الاقتصادية، والأمنية، والاجتماعية، والمصادر المعيشية، والبيئية، والخدمية، وغيرها .

ويعتمد التلازم البيئي السلوكي غالباً على الأداء الذاتي والمترابط بعلاقة تبادلية إكيولوجية بين الإنسان وبيئته الطبيعية والعمرانية، ويرتكز ذلك على المصادر والكوادر المحلية على مستوى البلدة والحي والمسكن، فمثلاً هناك نظام مترابط بين العناصر والتكوينات الاجتماعية، حيث إن الفرد يعيش ويسلك داخل إطار الأسرة، والأسرة داخل نطاق الجيرة (المجتمع)، والجيرة داخل نطاق البلدة. وهناك اندماج متكامل ومنصهر داخل تلك المنظومة الاجتماعية التي تحكمها أعراف توجه الممارسات والأنشطة المختلفة. حيث تُبنى العلاقات الاجتماعية على أسس العمر ونوعية القرابة والمنزلة الاجتماعية، وهذا بدوره ينعكس على وضوح وتلقائية الأدوار المختلفة للأفراد والجماعات داخل العائلة والجيرة وتكويناتها المتماسكة والمتعاضدة. وجميع تلك الاتصالات تكون مبنية على التشريعات الإسلامية والأعراف الاجتماعية ومتطلبات العيش الصحراوية، وبذلك يتلازم النسيج الفراغي مع كل هذه الوظائف. ويلحظ أن الخدمات متوفرة ومستقلة عن أي مصادر خارجية ومؤمنة من مصادر وإمكانات محلية. ويمكن أن نصنّف هذه الخدمات تقريباً إلى ثلاثة مستويات تشمل تلك التي تعمل وتهيئ على مستوى المسكن والحي والبلدة من مواد غذائية وملابس وأواني وغيرها. فهناك تكامل بين المزارع والبلدة من ناحية الاكتفاء الذاتي في الحصول على المصادر الغذائية ومواد البناء. أيضاً يُعتمد على البيئة المحيطة في رعي الماشية والحصول على مواد البناء والترفيه، حيث إن الرحلات البرية تقليدياً كانت وما زالت من أهم وأحب أنواع الترفيه لسكان هذه الصحراء. أيضاً يوجد في البلدة صُنّاع وحرفيون يقومون بعمل وتوفير احتياجات السكان من الملابس والأحذية والأواني المنزلية وحتى ألعاب الأطفال.

وأما المرافق فمواقعها تكون على مستوى الحي أو الجيرة أو داخل المنازل الكبيرة، فالآبار تُشكّل المصادر الرئيسة للمياه، حيث تكون أحياناً مرتبطة

بالمسجد والساحة ومحلات جلوس خارجية، وبذلك تساعد في تشكيل مركز ديني واجتماعي. أما نظام الصرف للسوائل فهو عادة مستقل لكل مسكن، وأحياناً يوجه إلى مناطق مشجرة بالأثل خاصة في الخدمات العامة كالمساجد والمدارس وغيرها .

كذلك يدعم التكوين والنسيج العمراني العلاقة المتلازمة بين الأبعاد الاجتماعية والبيئية والقاعدة الاقتصادية للسكان، حيث إنه من ناحية التخطيط والتصميم والمواد يعمل على تقليل درجة الحرارة وإعاقة انتقالها إلى داخل المباني، وبالتالي تتهيأ البيئة المعيشية المريحة، وبطرق طبيعية وصحية. كما أن اكتناز المباني وتراصها وتكتلها وتلاصقها، وأسلوب الأفنية والشوارع والفتحات، يُكوّن نظاماً مترابطاً للحماية الأمنية والخصوصية والتظليل والتهوية والحفاظ على الطاقة. بالإضافة إلى ذلك يمكن توظيف استخدام الطاقة المتجددة والمتكاملة ومصدرها الطاقة الشمسية الهائلة .

وكما ذُكر سابقاً فهناك تلازم واضح بين النسيج العمراني والعادات والتقاليد والأنشطة الاجتماعية، عن طريق إيجاد أماكن للأنشطة الدينية والتعليمية والاجتماعية والترفيهية، للأعمار والأجناس المختلفة، فالفراغات الخارجية تعمل على تكامل ودعم نمو واستمرارية العلاقة والترابط بين أفراد المجتمع، بأسلوب فطري وعفوي وصحي وطبيعي مقارنة بما يحدث في البيئات العمرانية الحديثة الحالية .

ومن المهم ملاحظة أن جميع الأوعية الجسمانية من ملابس وأواني وأثاث وألعاب ومساكن وشوارع وأحياء وغيرها معبّرة ومتلازمة ومتكاملة مع احتياجات وطبيعة السكان المعيشية والسلوكية .

يقوم المسكن بدور جوهري في حياة سكانه من ناحية توفير الأمان والأمن والخصوصية والطاقة والمصادر الغذائية والخدمات المختلفة والتلازم في دورة حياة أفراد الأسرة؛ حيث إن توجيه تصميمه إلى الداخل يُعطي أقوى تكوين دفاعي لحماية الأرواح والخصوصية، وكذلك التعامل مع الطقس الصحراوي. كذلك تحدث في

المسكن عملية إنتاج المواد الغذائية وتصنيعها وتخزينها عن طريق عناصره المرتبطة بتلك الوظائف كالحديقة المنزلية وحظيرة الحيوانات والدواجن ومخازن الصفة والجصة .

والغالب أن يتعايش في المسكن الواحد ثلاثة أجيال متلازمة متمثلة في العائلة المركبة، وهم: الأجداد والآباء والأبناء المتزوجون والأطفال، وكل له دوره في التربية والحصول على المصادر المعيشية وإعداد المواد الغذائية والملابس وغيرها. وفي تكوين التكامل المعيشي .

يُصمم المسكن بحيث يهيىء المعيشة المريحة للسكان بالنسبة للتعامل مع الأوقات المختلفة لليوم الواحد، وكذلك الفصول المتتالية من حيث الصباح والمساء والصيف والشتاء والربيع عن طريق وجود الأفنية والسطوح والخَلّوه (غرفة تحت الأرض) وبقية أجزاء المسكن. ويلحظ أن أغلبية أشهر السنة في هذه البيئة الصحراوية معتدلة ومريحة حيث تتراوح أشهر الصيف ذات الحرارة المرتفعة بين ٢ - ٣ أشهر .

وبناء المساكن يكون غالباً بدون تكلفة تذكر، حيث إن المواد تتوفر محلياً وتُجلب مجاناً من البيئة المحيطة، وعملية البناء تتم بالتعاون مع الأقارب والجيران، مما يجعل عملية البناء والتملك سهلة ومتاحةً للجميع، ومفهوم الاستئجار شبه معدوم في تلك البيئات .

## ٣ - ٦-النطاقية الفراغية

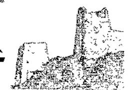
استمراراً للأنظمة الفراغية المذكورة سابقاً تبدأ العلاقة الحساسة بين بيئة المنزل وفراغات الجيرة، فمدخل المنزل هو الخط البارز والمحسوس في الانتقال من الفراغات الخارجية العامة إلى الفراغات الداخلية الخاصة، وهو نقطة التحول من العالم الخارجي إلى الحياة الخاصة المخفية. هذا الاتصال يحدث بالتدرج حيث إن المنزل عادة ينقسم إلى ثلاثة أو أربعة أقسام هي قسم الرجال، وقسم العائلة والنساء، وقسم النوم، وقسم الخدمات. فنجد أن قسم الرجال المكوّن من غرفة

الضيوف وفنائه يكون في المقدمة من المنزل، وشبه معزول عن بقية الأقسام، حيث يُشكل واجهة الاتصال مع الجيران بسبب انفتاحه وتوجيهه الفراغي/ الوظيفي كما ذكر سابقاً في قسم الكرم. بعد ذلك يأتي قسم العائلة، الذي يحتوي على القبة والإيوان ومجلس النساء، وهو مطل على فناء المنزل الداخلي بحيث يكون جزؤه الخلفي عازلاً بينه وبين قسم الرجال. أما قسم النوم والمخازن فيكون في الطوابق العلوية من المنزل. كذلك يوجد قسم آخر معزول فراغياً، وهو مجموعة الخدمات كالمطبخ والحمامات ومكان الماشية .

تُعبر غرف المنزل وعناصر الاتصال عن الأنشطة التي تحدث فيها، حيث نجد أن الأبعاد الفراغية والتصميم والفتحات والموقع والتوجيه يختلف من غرفة إلى أخرى. فنجد أن مجلس الضيوف للرجال يختلف كلياً عن مجلس العائلة، وكذلك الحال في المطبخ وغرف النوم والمخازن .

يتضح من التحليل السابق لأنماط الأنظمة الفراغية/ السلوكية أنها متسلسلة حسب وجود تدرجات نطاقية. ويُقصد بالنطاقية هُنا إيجاد ربط بين مجموعات معينة من السكان وسلوكياتهم مع صفات ومقاييس فراغية، لتكوين مناطق متعارف عليها وتهيمن عليها مجموعة معينة. هذا النظام النطاقي الذي يشمل جميع الأنظمة المذكورة سابقاً يتجلى في مستويات نطاق المسكن ونطاق الجيرة ونطاق الحي ونطاق المستوطنة، حيث إن هذه المستويات الفراغية ترتبط بمجموعات معينة تُعبر عن سلوكياتهم بناءً على صفاتهم المشتركة من ناحية العمر والجنس وأحياناً المستوى الاقتصادي، وتتدرج من أماكن أنشطة فردية خاصة جداً إلى أماكن جماعية عامة؛ لذا فإن التدرج الفراغي في المستوطنات التقليدية يدعم الدورة الأيكلوجية للإنسان (شكل١٠) .

ترتبط البيئة الفراغية بسلوكيات معينة حسب تصنيفات اجتماعية وأعراف متعارف عليها، وتتكون من مستويات تقريبية من آداب وأخلاقيات تخص التدرجات البيئية الاجتماعية بشكل نطاقات فراغية، تتكون من نطاق العائلة و « نطاق الجيرة» و « النطاق العام»، ففي كل واحد من هذه النطاقات السلوكية الثلاثة يُتوقع أن يسلك الفرد سلوكاً مختلفاً. تُعبّر هذه النطاقات فراغياً عن توقعات مختلفة من





مستخدميها، وهي بدورها توجه وتحفّز أنشطة معينة خاصة بكل منها؛ لذلك يتوقع حدوث سلوكيات معينة في نطاق العائلة تختلف عنها في نطاق الجيرة، وكلاهما يختلف عن النطاق العام. هذا التطابق بين مستويات البيئة المبنية ومستويات الأنشطة الاجتماعية متوارث ومُتبع تقليدياً بطريقة فطرية وحسية. وتتمثل هذه النطاقات في المنزل وفي الجيرة (شارع سد، ساحة،...إلخ). وفي الأماكن العامة (السوق، المسجد، الجامع، الشارع العام ... )، وتُكوِّن معاً محيطاً تدريجياً يرتبط بدورة حياة الفرد ونموه وكذلك جنسه .





شكل (١٠):
يوضح الترابط القوي بين النظام الإيكولوجي لنمو الإنسان وأنشطته في مراحله العمرية المختلفة من جهة والنسيج العمراني للحي والمستوطنة التقليدية من جهة أخرى.

يُزاول الفرد أو المجموعة نشاطاً أو عُرفاً معيناً في أحد هذه النطاقات، بينما يحجبه في الأخرى، وهذا مرتبط كذلك في بُعد «الخصوصية الحسية» وذلك

باستخدام أقنعة وهمية لإعطاء شخصيات مختلفة ومرتبطة بكل نطاق مختلف لتتمشى مع السلوكيات الخاصة المتوقعة لكل منها، فمثلاً الشخص يحس بالمرونة والراحة داخل نطاق العائلة أو الأصدقاء المقربين، بحيث يكون مرناً ومفتوحاً معهم فيُعبر عن ذلك بدون تحفظ، بينما يحجب سلوكه الخاص في نطاق المجموعة، ويحاول المشاركة في أمور عامة مع وجود تدرج في هذا التعبير بين الخاص جداً والعام جداً وهو شبه الخاص أو في نطاق الجيرة، حيث إنه عندما تشترك مجموعات معينة في فراغات داخل الجيرة فإنها ترتفع درجة التعارف بينهم، وتقل الكلفة، ويُصبح الاتصال مرغوباً فيه .

لكل ما سبق يبدأ الجيران في الاشتراك في تكوين شخصية تربطهم بأعلى مستوى لجمع المعلومات التي تهمهم، وتؤثر في حياتهم، وتكون مظلة لحياتهم وحماية مصالحهم المشتركة. لكن في «النطاق العام» يتردد الفرد في الاختلاط مع الآخرين بالدرجة نفسها التي تكون مع الجيران لقلة الاهتمامات التي تجمعه معهم في هذا النطاق؛ لذا فهو يتحفظ بلباس القناع العام والاتصال السطحي خوفاً من ردود فعل الآخرين المجهولة بالنسبة له. فالشخص في نطاق العامة-كما في الأسواق أحياناً- لا يكترث للآخرين وطبيعة تعامله معهم، حيث إنه غير معروف، فهو لا يُعير الأهمية نفسها لشخصيته كما هو الحال في بيئة الجيرة، ويحس بالمنافسة في بعض السلوكيات مثل حق الطريق أو استخدامات أخرى .

# ٤

# النسيج العمراني

التكوين العام
المركز العمراني
المساجد
الشوارع
الساحات
القباب الخارجية
الحبوس والمشاريق
ملاعب الأطفال
أماكن النساء




## ٤ - ١-التكوين العام

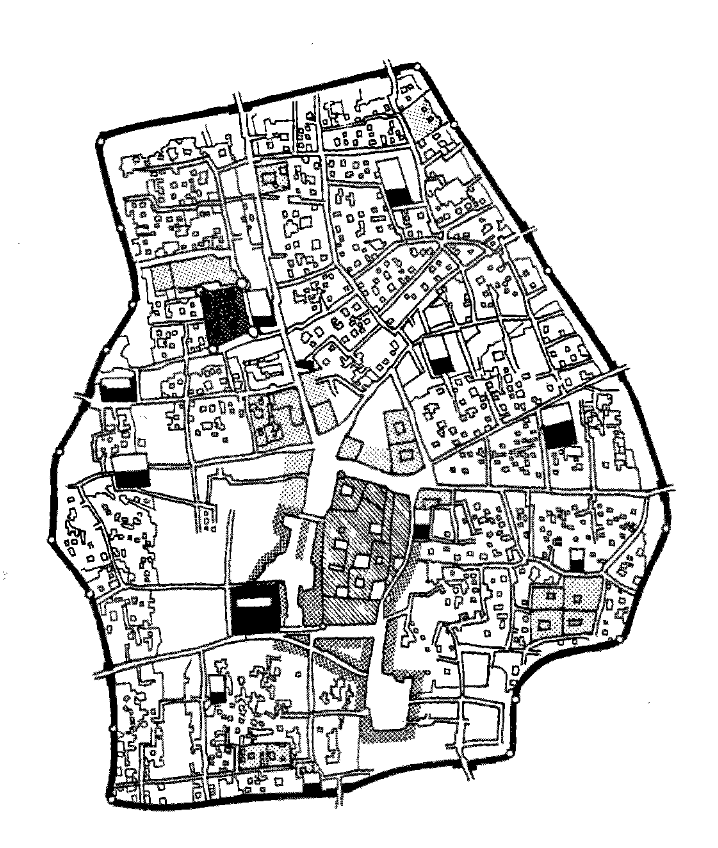
يركِّز التصنيف الفراغي التقليدي على البُعد الإنساني للسكان من جراء توفير الأنظمة والعناصر الفراغية المرتبطة بطبيعة أنشطتهم وحمايتهم من العوامل الطقسية؛ لذلك فهو يدعم أنشطة حيوية مهمة، وينمو مختلف السكان عن طريق الاتصال والاحتكاك وتبادل الخبرات والمعلومات لضمان تطور الحياة واستمراريتها، وإيجاد الحوافز المطلوبة لها كتقوية العلاقات ونشر الإحساس الأمني .

يتداخل النسيج العمراني بالنسيج الفطري السلوكي للإنسان بتدرج تحولي من المكان العام إلى المكان الخاص جداً، فالمحيط الفراغي العام في هذا النظام هو مركز البلدة، والمكون من الجامع الكبير والسوق والساحة الرئيسة وعناصر مركزية أخرى، وكل هذه مجتمعة تكوّن الرابط الروحي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري بين سكان أحياء البلدة، والقادمين من الخارج. يتبع ذلك تسلسل من أنظمة فراغية مختلفة تتدرج من المركز حيث تقل في الحجم مع تحولها إلى خصوصية أكثر، ومن أهمها الشوارع والساحات والقباب والمساجد. كل نظام من هذه الأنظمة يكوّن مجموعات مختلفة ذات تعبيرات سلوكية خاصة في كل منها، وكلها معاً تتكافل لتشكل تعبيراً فراغياً لاحتواء النسيج الاجتماعي في البيئة العمرانية. هذا التدرج الفراغي لمجموعات من العناصر يبدو أنه يُعبِّر عن نمط من النطاقية التي سبق ذكرها والتي تتجلى في التكوين العام للبلدة. ويتضح الإحساس النطاقي في الصيغ الفراغية وإيحاءاتها المختلفة وتوجيه عناصرها والتعبير عن ذلك في مواقع أبواب وفتحات المباني .

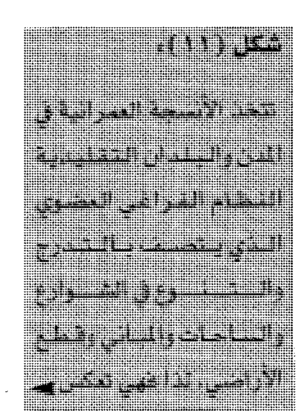
لذا يلحظ أن عناصر النطاق الفراغي - السلوكي ترتبط وتتجاوب مع دورة حياة الإنسان وطبيعته من حيث العمر والجنس، وتحتوي أنماط السلوكيات من خاصة جداً إلى عامة جداً .

هذه التصنيفات الفراغية ونظمها تعمل على تقوية الاتصال الاجتماعي والاحتكاك الحضاري وإزالة الأمراض الاجتماعية، وإضفاء العنصر الأمني من جراء وجود الأنشطة المختلفة في الفراغات الخارجية، التي تعمل بدورها على تلاحم الجيران .

تتخذ الأنسجة العمرانية في البيئات التقليدية النظام الفراغي العضوي الذي يتصف بالتدرجات الفراغية وخطوط الشوارع والفراغات والمباني المنحنية بشكل دائري، وتقاطعها بزوايا منفرجة أو حادة. وحيث إن أغلبية الطرق خُطِّطت لحركة المشاة، فإن التقاطعات صُممت حسب كثافة خطوط الحركة والتي تتراوح بين تقاطع عدة طرق وتقابلها قد تصل إلى خمسة أو أكثر و عدم وجود أي تقاطع والانتهاء بطريق غير نافذ. وعادة ما يكون هناك شوارع رئيسة تتراوح ما بين واحد إلى خمسة أمتار، تتصل مباشرة وباستقامة من الخارج إلى وسط البلدة. ونادراً ما يوجد شارع مستقيم يقطع البلدة أو الأحياء السكنية. وتتشكل الكتلة العمرانية للبلدة حول قلبها الاقتصادي والاجتماعي، وهو المركز الذي تنطلق منه أنواع الطرقات والممرات التي تتصل بالخارج (للتجارة والمزارع) والطرقات والممرات الأخرى الخاصة التي تؤدي إلى الأحياء (شكل١١) .

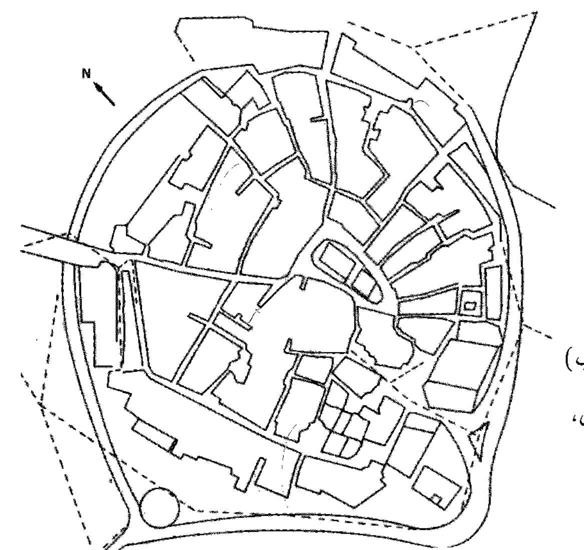


النسيج العمراني لمدينة الرياض (أ)



شكل (١١):

تتخذ الأنسجة العمرانية في المدن والبلدان التقليدية النظام الفراغي العضوي الذي يتصف بالتدرج والتنوع في الشوارع والساحات والمباني وقطع الأراضي، تداخلي تكتل◄




**شكل (١١)،**
الطبيعة الفطرية للإنسان وتعقيداتها عندما يشارك في تخطيط بيئته المعيشية

النسيج العمراني لمستوطنة الخبراء- القصيم (ب)

المصدر: الحصين ١٤١٧هـ (أ)، بلدية الخبراء والسحابين، ١٤٠٢هـ (ب).

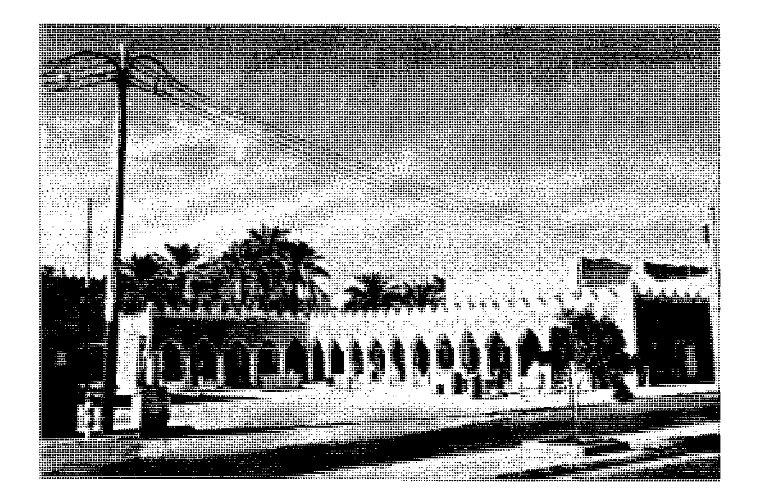
لم يكن ظهور البلدة التقليدية وتقسيمها إلى أحياء وجيرات مبنياً -في الغالب- على الخلفية العرقية أو العائلية، إنما تحكمه الحاجة إلى التعايش والتكافل في بيئة صحراوية قاسية ومعزولة وشحيحة المصادر والخدمات. كما أن المبادئ الإسلامية والعادات والتقاليد لها تأثير مهم، حيث جعلت النظم الفراغية وعلاقتها في حياة السكان وأنشطتهم اليومية، تدعم قيَم التكافل والتعاون والتعايش، فتصبح مظلة حامية وحافزاً يعمل على رفاهية المجتمع واستمرارية تطوره .

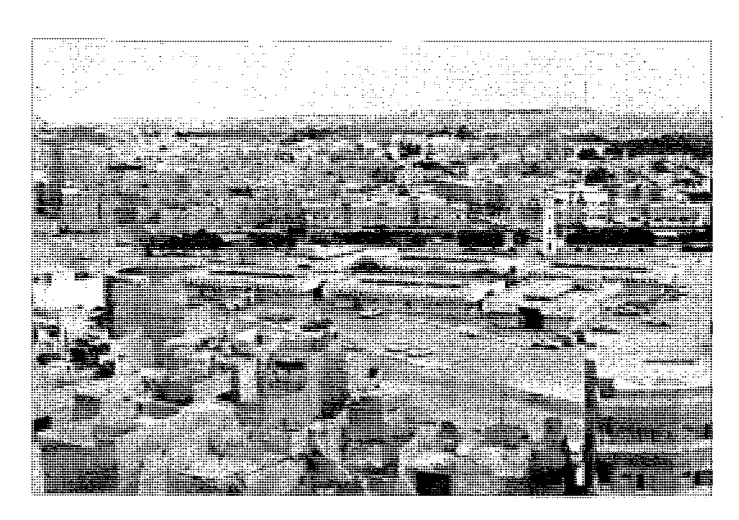
تشمل مكونات النسيج العمراني التقليدي (استعمالات الأراضي) والمراكز التجارية والاجتماعية والشوارع والساحات والقباب، وبعض الاستعمالات الصناعية اليدوية الخفيفة والحرفية والمساجد والقصور والدور (المساكن) والأسوار والقلاع. وتوجد كل هذه العناصر أو بعضها في البلدات المختلفة حسب حجمها وأهميتها وموقعها .

## ٤ - ٢-المركز العمراني

يُعتبر مركز البلدة قلبها النابض الذي يضخ الحياة فيها، والوعاء الذي تمتزج فيه الأنشطة الاقتصادية والروحانية والاجتماعية والثقافية والترفيهية؛ لذا فهو يهيىء ويدعم التمازج بين أقطاب ومحاور النمو والأنشطة المختلفة، مما يساعد على

انصهارها والتعبير عنها بقالب حضاري يعكس شخصية سكانها وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم. فهو يُعطي انطباعاً عن السكان ومستوى وعيهم ومدى ارتباطهم الوطني وتعاونهم، وهذا يؤثر بدوره في الناحية المعنوية لهم. فلقد ثبت تاريخياً، لدى جميع الحضارات، أن مراكز المدن تُشكّل المحيط الفراغي المطلوب لازدهار الحضارة الإنسانية واستمرارها بحكم تجمع مقومات الحياة الرئيسة فيها. (شكل١٢) .





**شكل (١٢):**

يعبر مركز البلدة التقليدية بكل وضوح عن طبيعة السكان الاقتصادية والاجتماعية والحضارية وحياتهم، وله دور كبير في الحياة اليومية للسكان وفي أحاسيسهم.

فالمراكز التقليدية مرآة حقيقية لشخصية سكانها واهتماماتهم وأنشطتهم التجارية والاجتماعية والحضارية. ولقد مرّ كثير من مراكز المدن بمراحل وظواهر مرتبطة ومتأثرة بأنماط من موجات التغير على المدى البعيد. وقد عاصرت المراكز

تطور المجتمع السعودي، ومرّ نموها بمراحل وعصور تحوّل من أسواق زراعية إلى حرفية، وإلى تجارية ثم إلى دوائر حكومية (بلدية، محكمة ... إلخ) .

نشأ كثير من المراكز كنواة أولية للبيئات التقليدية المختلفة، وتنوعت حسب الحقب الزمنية والعوامل المؤثرة فيها من دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ لذا ينطبق على هذه البلدات مُسمى المدن السوقية "Market Towns"؛ نظراً لاعتماد حياة السكان على السوق.

وتطور كثير من البلدات الصحراوية التقليدية بأسلوب مبسط يتبع النظرية الإيكلوجية من ناحية وجود عنصر مركزي واحد، مع تمدد متشابه للأحياء السكنية من جميع الجهات. لكنها كانت تختلف من ناحية نوعية الحلقات التخطيطية وعددها وحجمها ومضمونها، حيث تكونت هذه المستوطنات من أقل حلقات، خلاف ماهو موجود في بعض المدن العالمية، وخاصة الغربية منها، حيث إنها في الغالب تحوي حلقتين هما المنطقة المركزية والسكنية المحيطة بها مع عدم وجود الطبقية بشكل حلقات سكنية، وهذا يعكس مبدأ المساواة في الشريعة الإسلامية في الاختلاط بين ذوي الدخول والمجموعات العرقية المختلفة .

فالمركز هو العنصر الرئيس في أي بلدة، وهو الذي يعكس ويدعم الصبغة الإنسانية من حيث كونه بيئة لأكبر تجمع عفوي يومي، ولوحة تعبيرية لجميع طبقات المجتمع. فهو يحوي ألواناً منوعة من الحياة والأنشطة، ويكون مقياساً كبيراً من الاختلاط، يُعطي فرصة للتعبير عن رغبات المتسوقين من جراء الشعور بالاغتراب والبهجة والإحساس بالوجود والاستعراض لتأكيد الذات ومشاهدة الآخرين، وتكوين العلاقات السطحية والتنزه. وبهذا يبرز وسط المدينة عنصراً من أهم العناصر العمرانية، فهو جزء لا يتجزأ من شخصية مستعمليه، وله ارتباطاته وتعبيراته ومعانيه التي تربطه بالمستعملين حسياً ومعنوياً .

وهناك أنواع متعددة من المراكز منها المتخصص مثل المركز التجاري، أو الديني، أو الحكومي، أو الحضاري، أو الاجتماعي. ومنها المختلط الذي يجمع بين بعض الاستخدامات السابقة أو كلها. ويتراوح الجمع والخلط بين هذه الاستخدامات الرئيسة من مجتمع إلى آخر بناء على خلفيته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والحضارية وغيرها. وتُعتبر المراكز أكثر عناصر المدينة تحركاً وتغيراً في الحجم والنوعية، حيث إنها تعكس تفاعل القوى المؤثرة فيها باستمرار، والتي يبرز فيها عنصر أو أكثر في مراحل زمنية معينة من النمو حسب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية، فمثلاً من الأهمية في البيئة السعودية الجمع بين بعض الاستخدامات كالاستخدام التجاري والديني والاجتماعي والترفيهي والحضاري بشكل عام، حيث إن الحياة اليومية للمجتمع مستمدة من المبادئ الإسلامية، وهي بدورها تحكم النسيج الاجتماعي والنظم التجارية والنواحي الترفيهية والحضارية .

والبيئة الصحراوية القاسية التي تحيط بكثير من البلدات التقليدية، حدّت من توفر العناصر الطبيعية للمتطلبات الترويحية خارج البلدة، مما حدا بكثير من السكان إلى التركيز على إشباع هذا الاحتياج عن طريق إيجاد جاذبية لتلك العناصر في مراكز بلداتهم .

كل ما سبق يُشكل قوة وحيوية وأهمية لدور مراكز البلدات التقليدية في المنطقة الوسطى، والدليل على ذلك أن أغلبية عناصر البيئات العمرانية التقليدية هُجرت ما عدا مراكزها التي لا تزال تنبض بالحياة بالرغم من المشاكل المحيطة بها .

يتدرج وسط البلدة غالباً ليشكّل ثلاثة مقاييس من حيث الحجم وهي:منطقة الوسط، والمركز، والعنصر الرئيس. تشتمل منطقة الوسط على العنصر التجاري وتمدداته، والمرافق الحكومية والمكاتب الرئيسة للأعمال الخاصة والمناطق السكنية التقليدية. أما المركز فهو مكوّن من العنصر التجاري بتخصصاته المختلفة والخدمات التابعة له. ويبقى العنصر الرئيس الذي هو بمثابة ساحة أو شارع تجاري مركزي أو عدة شوارع تؤدي الدور المغناطيسي لجذب حركة العناصر وأنشطته المذكورة سابقاً .

يتخذ المركز شكلاً شبه دائري أو شبه رباعي، ويتكون من محلات تجارية وساحة مفتوحة وأماكن جلوس (حبوس) وسط البلدة. المحلات التجارية ذات مساحات صغيرة (٣×٤م تقريباً) وتتكون من جزأين متلاصقين؛ مستودع في الخلف وعرض بضائع في المقدمة. ويربط بين هذه المحلات عادة حبوس (أماكن جلوس) أو ممرات مشاة مغطاة. كذلك تتكون مبانيها غالباً من دور واحد، ويعلو بعضها دور علوي سكني لا تفتح أبوابه أو أي شبابيك على السوق، وأبوابها تفتح على الشارع الخلفي .

كذلك توجد بعض محلات الخدمات إما في السوق المركزي أو موزعة على الشوارع الرئيسة في البلدة. وتشمل هذه الخدمات: النجارة والحدادة وصناعة الجلود والصباغة والنسيج، حيث تقوم بتصنيع وسد حاجة السكان من أواني الطبخ ودلال القهوة والملابس وكذلك الأحذية وغيرها .

تُعد الساحة المركزية الرئيسة أكبر فراغ عمراني مفتوح، وتحدث فيها كثير من المناسبات الدينية والوطنية كالأعياد والاحتفالات بقدوم شخصيات كبيرة، وكذلك التعاملات التجارية كالحراج والتبادل التجاري مع المزارعين وسكان البادية والمناطق الأخرى .

وللمسجد الجامع دور كبير ومهم أيضاً في حيوية السوق، وربط أواصر التآخي بين السكان في البلدة والمزارع المحيطة وسكان البادية، حيث إن الاتجاه أسبوعياً إلى المسجد الجامع في مركز البلدة خبرة إنسانية يستعد لها السكان بشوق من صباح الجمعة بالنظافة والاستحمام ولبس الملابس النظيفة والتبخر (التطيب). وتُعتبر هذه المناسبة مصدراً للخبرة الروحانية والإحساس بالجماعة والتقارب والتجمعات للرجال والنساء والأطفال. وتشمل شعائر الصلاة التحضير والحضور للجامع والاستماع إلى خطبة الإمام والتي تتعلق بشؤون السكان الحياتية والدينية. وبعد الصلاة تبدأ سلسلة متنوعة من الأنشطة الاجتماعية والتجارية بين الأعمار والأجناس المختلفة، وقد تمتد إلى دعوة للمشاركة في تناول طعام الغداء بين الأصحاب أو المتاجرين أو الزوار؛ لذا تكون ذروة السوق بعد الصلاة مباشرة؛ نظراً لوجود أكبر عدد ممكن من الناس في الساحة الرئيسة، ويُستغل ذلك من قبل تجار وحرفيي البلدة والمزارعين وأهل البادية لعرض جميع أنواع المواد الغذائية والملابس والمنتجات الزراعية والأغنام والإبل والدواجن ومنتجاتها من حليب ولحوم وبيض. ويكون هذا اليوم مهماً ترويحياً وتثقيفياً أيضاً بالنسبة للأطفال والنساء الذين يتجولون ويشاهدون المعروضات والأنشطة التجارية والاجتماعية وما يصاحبها من عفويات السوق من أحاديث وقصص ونكات .

وسوق وسط البلدة مركز تجاري وحِرفي يتداخل مع العنصر الاجتماعي، حيث يتكون من نطاقات تجارية متخصصة. إنه المركز الحضاري والثقافي والاجتماعي الذي

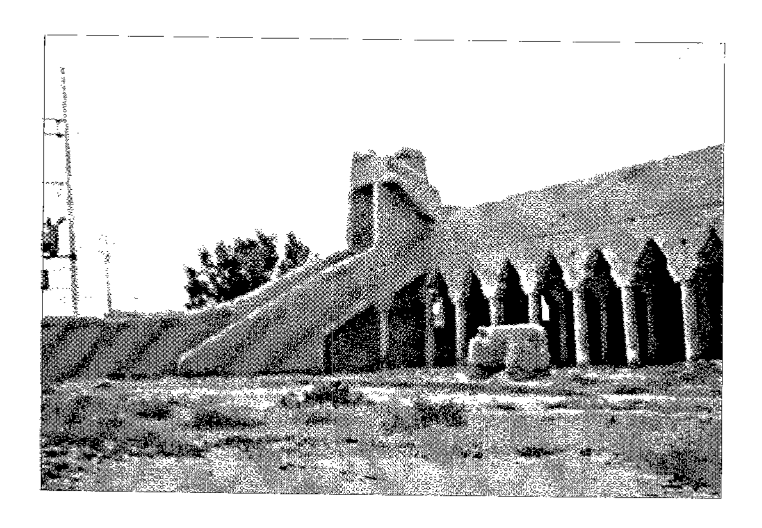
تتقابل فيه جميع الأعمار والأجناس والرجال والنساء وجميع طبقات المجتمع من سكان البلدة وزوارها؛ لذا نجد كثيراً من أصحاب المحلات التجارية يعملون بالسوق ليس بهدف الربح فقط، وإنما كذلك للترويح عن النفس بلقاء الأصحاب مع القناعة بالرزق البسيط. فنرى في السوق كثيراً من تبادل التحيات والمصافحات والابتسام وتبادل الحكايات والنكات والاختلاط العفوي والاستمتاع بمشاهدة الآخرين والرغبة في إثبات الذات بين الآخرين والتمشي ومراقبة الأنشطة المختلفة برفقة الأصحاب. كذلك يلحظ أن المحلات التجارية تُشكل نقاط لقاء، حيث إن عدداً من القادمين إليها من الزوار يجلسون ويتناولون الشاي مع صاحب المحل و يراقبون الحركة. بالإضافة إلى أنّ السوق الرئيس يقع عادة بالقرب منه سوق النساء والذي يهيئ الغرض نفسه للقاء النساء والترويح عنهن، فالسوق بشكل عام هو المكان الوحيد الذي يتواجد فيه الرجال والنساء بشكل عفوي، حيث يجهل كل منهم الآخر .

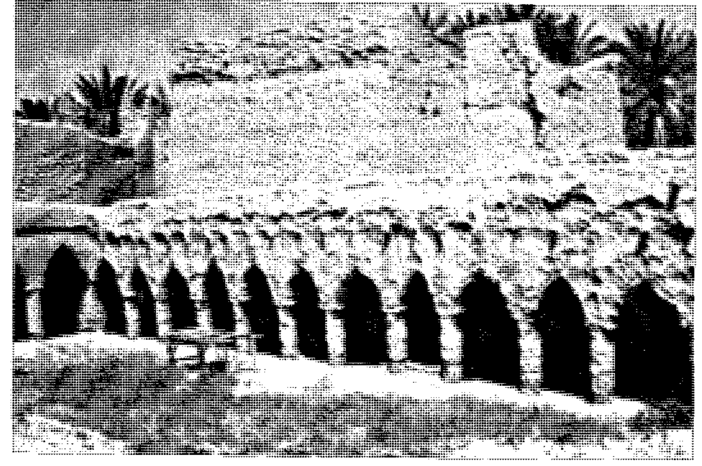
## ٤ - ٣-المساجد

ويدعم نظام المساجد تدرج الاتصال الاجتماعي، حيث إن مسجدَ الجيرة يعمل على جمع الجيران خمس مرات يومياً لأداء الصلاة. كما أن سكان الحي يلتقون أسبوعياً لأداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة. يُمثّل السوق والمسجد الجامع والساحة الكبرى قلب البيئة العمرانية الذي يضخ الحياة في شرايينها وأعضاء جسمها من شوارع وعناصر فراغية، فالمسجد يُشكّل بُعداً مهماً في بيئة السوق، حيث إن منارته بارتفاعها وتدرج حجمها توحي بالروحانية، وهيئتها تهيمن على الإحساس العام في المركز، حيث إن شكلها المخروطي يرمز إلى قاعدتها المتينة المتصلة بالأرض، وتدريجياً يقل حجمها مع الارتفاع حتى تختفي في السماء. بل إن اسمها «المنارة» حرفياً يعني مصدر الإشعاع والنور الروحاني، وترمز المئذنة إلى «بيت الله»، وتوحي للناس بالإحساس بالسلام والألفة والأمان من المجهول (شكل١٣).

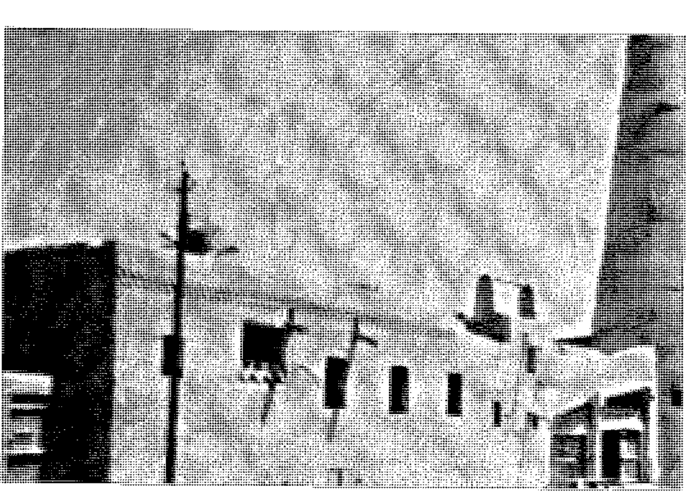
**شكل (١٣):**

يشكل المسجد العنصر الرئيس في تقوية الروابط الاجتماعية والتكامل بين الجيران كما يكوّن المسجد الجامع مع العنصر التجاري قلب المستوطنة الحيوي.









من هُنا نرى دور المسجد وتدرجه في حياة الإنسان المسلم وربطه فراغياً بنسيج اجتماعي تدرجي وفي فترات معينة، حيث يحتل المسجد مكانة خاصة في نفوس السكان وروحانياتهم وترابطهم واتصالهم؛ فالعادة أن يتقابل المصلون خارج المسجد بعد الانتهاء من الفترة الروحانية حيث يكون الإحساس بالمحبة والإخاء والطمأنينة .

بعد ذلك يأتي في نهاية تدرج المساجد في البيئة العمرانية مسجد العيد الذي يقع خارج أسوار البلدة، حيث يجتمع جميع سكان البلدة في مكان واحد مرتين في السنة للصلاة معاً وسماع خطب التوعية. ويستمر التدرج متمثلاً في التقاء المسلمين مرة في العمر أو أكثر في المسجد الحرام في مكة المكرمة لأداء فريضة الحج والعمرة ، فيجتمعون مع بقية المسلمين من جميع بلدان العالم .

لكل ما تقدم فإن منظومة المساجد وبُعدها الروحاني والجسماني والفراغي تُشكّل رابطاً حسياً وسلوكياً بين أفراد المجتمع على مقاييس ونطاقات متدرجة ومرتبطة بدورة حياة الإنسان المسلم وعلاقته بإخوانه المسلمين داخل نطاقه المحلي والوطني والعالمي .

## ٤ - ٤-الشوارع

تتفرع من مركز البلدة شوارع رئيسة تربطه بالخارج مباشرة بطرق أكبر، متصلة بالبلدات الأخرى. هذه الطرق تعمل كالشرايين لإيصال البضائع إلى السوق، وعادة يكون على جوانبها محلات خدمات متفرقة من صنّاع وخياطين وخرازين وخبازين وجزارين وغيرهم. تتصل هذه الطرق الرئيسة بشوارع سكنية ضيقة ومتعرجة تتفرع داخل الأحياء المختلفة حيث تمر بساحات الحي والجيرة والشوارع المسدودة (غير النافذة). هذه الفراغات عادة تواكب تدرجات في الاستخدام من حيث الكثافة والخصوصية، فكلما اتجهنا من السوق والطرق الرئيسة إلى داخل الأحياء زادت درجة الخصوصية والمسؤولية وقل عدد المستخدمين. أيضاً تقوم على هذه الشوارع الضيقة بعض المحلات التجارية النسائية مما يدعم فرص المرأة الفراغية حيث يزداد نطاقها الفراغي، بالإضافة إلى المنزل والسوق المركزي، ويكون لها فرصة اللقاء بنساء الحي في هذه الأماكن (شكل١٤أ) .

كذلك توجد بعض الأماكن المشتركة داخل الجيرة الواحدة، وهذه تُعتبر شبه خاصة لعدد قليل من المساكن مثل السد (الشارع غير النافذ) الذي تفتح عليه الأبواب الخاصة بالنساء ، ويتصل بساحة الجيرة أو شارع ضيق أو ثانوي. فالسد هو المكان المغناطيسي والمقياس الوجداني للقاء نساء الجيرة الواحدة خاصة في ساعات الصباح المتأخر (الضحى)، وهو الوقت الذي نادراً ما يوجد فيه الرجال والأبناء، حيث يذهبون إلى أعمالهم ومدارسهم، وهو أيضاً المكان الأول الذي يحتك فيه الأطفال الصغار والرضع، ويبدؤون بتعلم أنواع اللعب والاتصال ببعضهم تحت مراقبة الأمهات (شكل١٤ب) .

**شكل (١٤أ):**

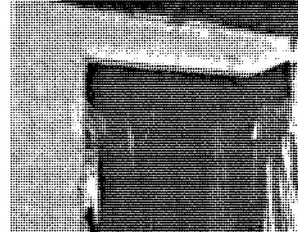
يوفر النسيج الفراغي للبلدة نطاقات نسائية تسمح بتمدد أنشطتهن خارج المسكن إلى المحلات التجارية النسائية وآبار المياه وغيرها، مما يوفر فرصاً متنوعة ومتعددة للقائهن، ويسمح غالباً بصحبة الأطفال الصغار.



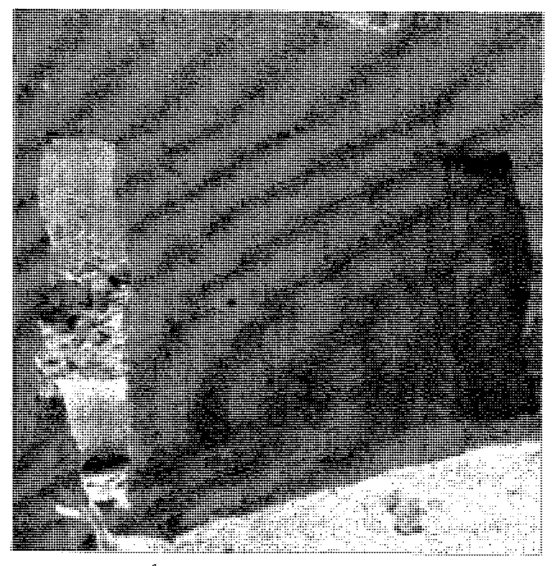
متجر نسائي

مركز حي تقليدي





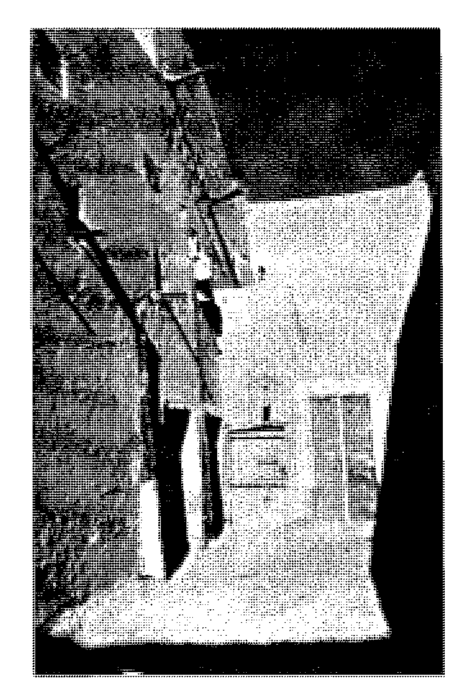
متجر نسائي

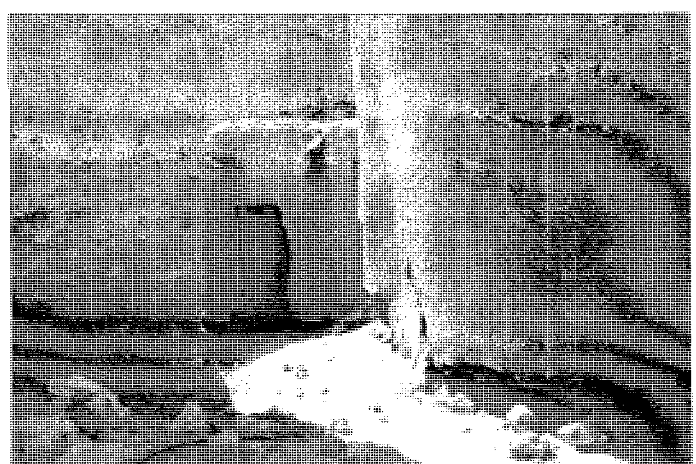


فراغ خاص للنساء يفتحن علية أبوابهن

**شكل (١٤ب):**

منظر للشوارع والساحات الصغيرة غير النافذة التي تعمل على تكوين مواقع للقاء نساء الجيران وأطفالهن الصغار.







من أهم أهداف تصميم الشارع المحافظة على التوازن المطلوب من قبل ساكنيه بين الخصوصية والعمومية، حيث إن الدين الحنيف يدعم ذلك في الدعوة إلى الحفاظ على حرمة الدار الخاصة مع التواصل والتعاون والتكافل مع الجيران، فالرسول - ﷺ - أوصى بالجار وأكد على ذلك. كذلك يُتوخى في الشارع السكني المحافظة على خصوصيات الجيرة والهدوء والطمأنينة والحماية الأمنية والراحة الجسمانية والنفسية والجاذبية والنظافة والتحكم بالمخاطر وربط أواصر الجيرة، التي يدعو إليها الدين والعُرف الإنساني والعادات والتقاليد .

وتوجد عدة أنماط من الشوارع، منها: التجاري والترفيهي والشرياني والثقافي والسكني، وهو الذي ركّزنا عليه هُنا لأهميته في احتواء البيئة المدعّمة لحياة المنزل وتهيئتها.

يُعتبر الشارع السكني من أهم العناصر العمرانية الخارجية التي تؤثر في حياة الإنسان ونشاطه بعد المنزل، حيث إنه - تقليدياً - مكمّل لأنشطة المنزل ومكان حيوي خاصة لأنشطة الأطفال والنساء وكبار السن. والشارع -أيضاً -هو المكان الذي ينسّق بين الحياة داخل المنزل والعالم الخارجي، ويحافظ على التدرج المطلوب بين الخاص والعام، ويُشكّل البيئة الأولى لنمو الإنسان واحتكاكه بالآخرين. هذه البيئة عادة تُشكّل جزءاً مهماً في تاريخ حياة الإنسان وترسم بعض الذكريات والمعاني، التي يُخزّن بعضها في الذاكرة ويصبح مصدراً ومرجعاً في حياتنا. فالشارع هو - غالباً - البيئة الفراغية للانتقال من عنصر إلى آخر؛ لذا فهو عنصر اتصال يحوي كثيراً من أنشطة سكان الجيرة ويحافظ على مصلحة الساكنين فيه واهتماماتهم مع المحافظة على المصلحة العامة. كذلك يلحظ اختلاف دور الشارع السكني في حياة السكان من زمن إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، بناء على درجة التشابه بين سكانه من حيث العادات والتقاليد والعمر والجنس والمستوى الاقتصادي والثقافي والعرقي، وأغلبية مستخدميه - عندما يوجه بطريقة مناسبة- هم الأطفال والنساء .

## ٤ - ٥-الساحـــــــات

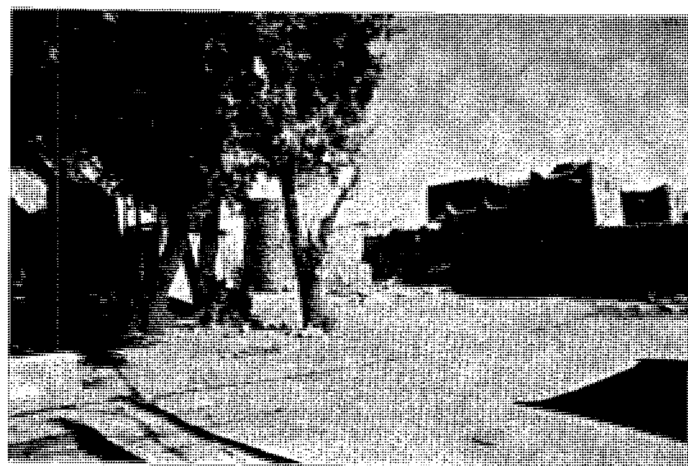
يبدأ نظام الساحات بالساحة المركزية ( المجلس الكبير )، والتي يُطلّ عليها المسجد الجامع الكبير والسوق ، وفيها يلتقي سكان الأحياء المختلفة.

يلي ذلك ساحة الحي المسماة أحياناً «البرحة» أو «البراحة» أي المكان الرحب والواسع والتي عادة ما تصب فيها بعض الشوارع الضيقة المتصلة بالجيرات المختلفة. هذه البراحات تستخدم من قبل سكان الحي عامة كأماكن لقاء لكبار السن ومزاولة بعض الألعاب للمراهقين والصبيان. كذلك تقوم هذه الساحات بدور مراكز الأحياء، حيث إنه أحياناً يكون في جزء جانبي منها متجر وبئر الماء التي تتقابل فيها النساء لإحضار الماء إلى المنزل. وهي أيضاً المكان لاحتفالات أهل الحي في الأعياد والزواجات ومناسبات أخرى، فمثلاً يقوم سكان الحي المكون من بعض الجيرات في إعداد احتفال في مناسبة عيدَي الفطر والأضحى، بحيث يُحضر صاحب كل منزل وجبة معينة فتتكون مأدبة كبيرة ومتنوعة تجمع جميع السكان من الذكور الكبار والأطفال في جوٍ من الفرح وتجديد العلاقات، (شكل ١٥) .

وتوجد أحياناً ساحة الجيرة وهي أصغر من ساحة الحي، وتكون مكاناً للعب الأطفال وبعض جلسات النساء. ويمكن تصنيف الساحات حسب وظائفها وأحجامها ومواقعها، التي تشمل التجاري والترفيهي والاجتماعي ... وغيرها.

واستمرارية لذلك تأتي ساحة المنزل والتي تقع في وسطه، وتُعتبر من أهم عناصره البيئية والعائلية. فهي المكان لجلسات العائلة والضيوف ولعب الأطفال والترويح النفسي ومزاولة الطبخ في الخارج والمناسبات العائلية وزراعة الأشجار المثمرة وتربية المواشي. كما تقوم بدور بيئي بتوفير التهوية والدفء والإضاءة الطبيعية والمنظر لبقية أجزاء المسكن، وتزويد المنزل ببعض الخدمات الأخرى، حيث إنها تُشكّل المتنفس الذي يعتمد عليه الساكنون؛ لذا يكون حجمها كبيراً لتستوعب كل هذه الوظائف (راجع شكل ٦٧) .





**شكل (١٥):**

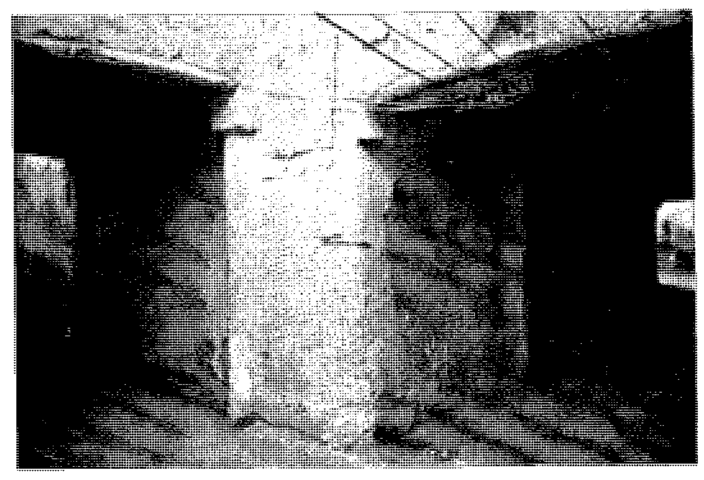
تشكل الساحات منظومة فراغية متسلسلة وذات وظائف مختلفة ترتبط بالنظام الإيكلوجي للإنسان، وتتدرج من داخل المسكن إلى الجيرة والحي ومركز المستوطنة.

## ٤ - ٦-القبـــاب الخارجيـــة

القبـاب هي أنماط من شوارع مغطاة بأحجـام مختلفـة تُشكّل أحياناً نظاماً فراغياً آخر متكاملاً مع الشوارع، بالإضافة إلى الساحات والمساجد، ونجدها تغطي شارعاً ثـانـويـاً أو تُطل علـى سـاحة الحي لتستوعب أنشطة الشبـاب والمراهقين الصيفية لتحميهم من حرارة الطقس. كذلك تتدرج القبـاب في الحجم والوظيفة بين قبة الحي وقبة الجيرة وقبة المنزل الداخلية، وكل هذه أيضاً تقوم بتزويد المستخدمين بفراغات خارجية محمية بيئياً. وتتكون أغلبيـة القباب من تمدد الدور الأول لبعض المنازل إلى الجهة الأخرى من الشارع وتسقيفه مكونـة قبـة الجيرة شبـه الخاصة، وهي تنتشر على مسافات متباعدة على الشوارع الرئيسة، بينما تتقارب أكثر على الشوارع الخاصة وغير النافذة والذي يرتبط بطبيعة استخدامها. هـذا النـوع يُكوّن عنصراً إضافياً إلى

فراغات السد ليظلل أنشطة الأطفال وجلسات النساء. ينتهي نظام القباب في أصغر حجم فيها وهي القبة العائلية الخاصة داخل المنزل والتي تكون واجهتها مفتوحة ومطلة على الفناء الداخلي، حيث يمر منها نسيم الصيف العليل إلى بعض الغرف؛ لذا فهي تُشكّل مكان جلسة العائلة الرئيسة واستقبال الضيوف المقربين لها. تتصل القبة بفناء المنزل عن طريق السيب، وهو فراغ مسقوف محمول على بعض الأعمدة، ومفتوح على الفناء، ويُكوِّن حلقة الوصل بين الغُرف المختلفة والفناء (شكل١٦) .





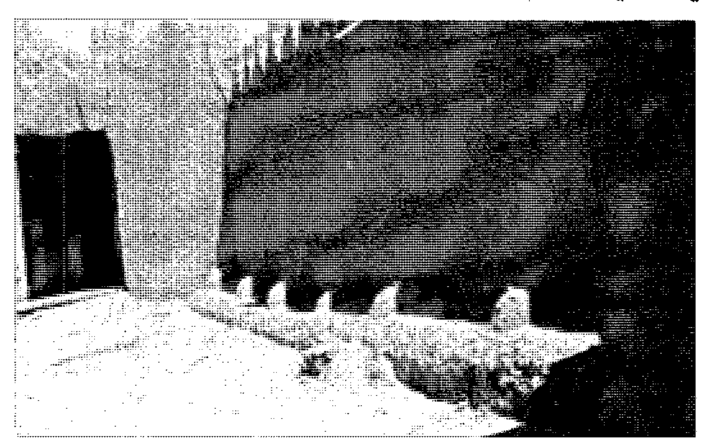
**شكل (١٦):**

تبدو القباب الخارجية، وهي أجزاء مغطاة من بعض الشوارع نتيجة تمدد الدور العلوي لبعض المنازل إلى الجهة الأخرى من الشارع حيث إنها تلطف ممرات المشاة وتساعد على مرور التيارات الهوائية. وهذه توفر أماكن مظللة للأنشطة التجارية والاجتماعية والترفيهية خاصة للأطفال والشباب.

## ٤ - ٧-الحبوس والمشاريق

الحبوس والمشاريق عناصر فراغية اجتماعية صغيرة للجلوس منتشرة في الأماكن العامة، مثل السوق المركزي وساحات الأحياء وعند مداخل بعض المنازل، وتستخدم بصفتها نقاط لقاء بين كبار السن. فالحبوس هي مقاعد طينية أو صخرية

(مصاطب) ممتدة من جدران المحلات التجارية، حيث يستخدمها أصحاب المحلات التجارية وروادها للجلوس، وهي تُمثّل أقدم صيغة كرسي استخدم في المستوطنات التقليدية . أمّا المشاريق فهي عبارة عن فراغات صغيرة وبسيطة، ويمكن أن تكون في أي مكان تطرقه شمس الشتاء. توجد المشاريق أحياناً في أركان الساحات أو بالقرب من أماكن الحركة، حيث يتمتع كبار السن بالحصول على الدفء، ويستمتعون كذلك بمراقبة الأنشطة التي تجري حولهم (شكل١٧) .





**شكل (١٧):**

تمثل الحبوس والمشاريق عناصر فراغية اجتماعية صغيرة يستغلها كبار السن من الرجال للجلوس فيها، وتنتشر في الأسواق والساحات وأمام بعض المساكن.

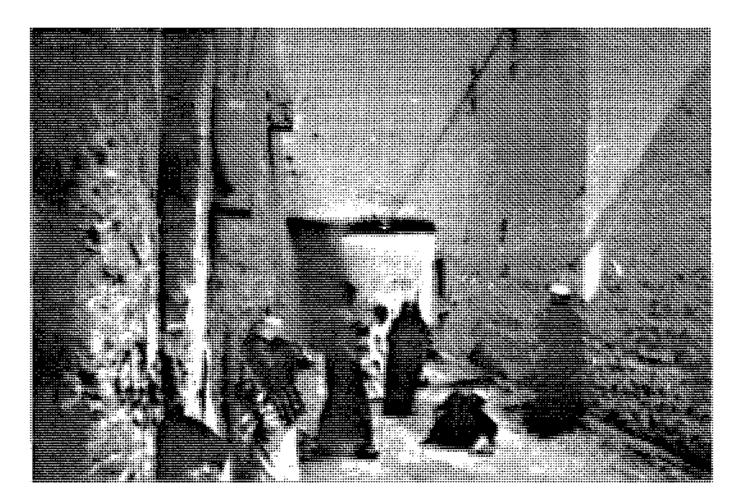
## ٤ - ٨- ملاعب الأطفال

تتخلل فراغات الجيرة والأحياء كثير من أماكن ألعاب الأطفال التي يزاولون فيها ألعاباً جماعية تقليدية منظمة، مثل الكعابة(١) والخطة (٢) وغيرها، حيث

(١) الكعابة: نوع من ألعاب الرماية عن طريق التصويب باليد بدون سلاح، ويستخدم فيها عظام مفاصل قوائم الأغنام مع صب أحدها بالرصاص لاستعماله للتصويب.

(٢) الخطة: هي طريقة تحريك حجر مستوٍ بأحد الأقدام مع رفع الأخرى من مربع إلى آخر مخطوطة على الرمل دون لمس الخطوط.

تساعدهم على التركيز والتنافس الشريف. تعمل هذه الفراغات على تكوين بيئات احتكاك بين مختلف الأعمار والخلفيات من الأطفال، حيث يتعلم بعضهم من بعض أساليب التعامل وأوجه الحياة المختلفة أكثر مما يتعلمون من أهاليهم. بالإضافة إلى تداول الألعاب الشعبية للتسلية والثقافة العامة، يشترك الأطفال في تبادل القصص والحكايات الشعبية والنكت التي غالباً ما يسمعونها من أهاليهم أو من كبار السن من الجيران. وبناء على بعض دراسات ميدانية في الأحياء التقليدية من مدينة عنيزة وجد المؤلف أن هذه الأماكن الفراغية من ساحات وشوارع مسدودة وقباب وغيرها تكون بيئات مهمة جداً لنمو الأطفال الفكري والاجتماعي من جراء الاتصال والتداخل، بعضها مع بعض، حيث يحصلون على خبرة ثقافية ويتعلمون كثيراً من العادات والتقاليد المكتسبة، التي يتوارثونها عبر الأجيال والأعمار المختلفة، فكل طفل يتعلمها



**شكل (١٨):**

تشجع بعض أماكن اللعب على الاحتكاك والتعلم بين مختلف الأعمار، حيث يلحظ أن الأطفال الصغار يراقبون سلوكيات الكبار ومهاراتهم، وتدريجياً ينسجمون ويمارسون تلك السلوكيات المتوارثة، المبنية على العادات والتقاليد والأعراف المحلية.

ممّن هم أكبر منه، وهكذا حتى تصل إلى كبار السن، فمثلاً نرى كيف أن الطفل الصغير في المجموعة يراقب ويتعلم من الذين يكبرونه، وتدريجياً يشاركهم حسب تقدم عمره، ويستمر اتصاله من مجموعة إلى أخرى حسب نموه، وكل هذا يحدث برعاية الأهالي من بعد[١] (شكل ١٨).

## ٤ - ٩-أماكـــن النســـــاء

تُعتبر المرأة أساس المجتمع، حيث إنها الأم والزوج والأخت التي تعمل على استقرار بقية أفراد العائلة والحفاظ على صحتهم؛ لذا كان لها مكانة في البيئة الفراغية التقليدية. فبالإضافة إلى ماذُكر سابقاً عن تأثيرها في توجيه تصميم المنزل، فنطاقها الفراغي يتمدد إلى الفراغات الخارجية، حيث توجد أماكن لقاء واحتكاك بين النساء في الشوارع غير النافذة، وفي المحلات التجارية الخاصة بالنساء في بعض الجيرات، وكذلك في أماكن مصادر المياه، ونقاط تجمع أخرى لهن. هذه الأماكن عادة تُحترم من بقية أفراد المجتمع وتتمتع بخصوصية فراغية لتهيئة البيئة المناسبة للاتصال العفوي والتغيير والترويح اللازم. (راجع شكل ١٤أ،ب).

فقد ذكرت امرأة مثلاً في استفتاء عن تأثير الانتقال من المناطق التقليدية إلى الحديثة[٢] ما يلي:

**«عندما كنا ساكنين في الديرة (القديمة) كان أمام منزلنا شارع مسدود منزوي عن المارة، لذا كُنا نلتقي كل ضحى (آخر الصباح) من كل يوم. هذا المكان يسمح لنا بالتجمع أو بالانتقال من منزلنا إلى منزل الجيران بدون أن نضطر إلى تغطية وجوهنا أو لبس العباءة. كذلك أحياناً نتقابل بملابس المنزل وبدون الإحساس بحاجتنا إلى أي نوع من الكلفة والاستعداد للخروج. لكن الآن في المخطط الحديث فقدنا كل هذه الميّزات وأصبح من الصعوبة الخروج والاتصال بالجيران؛ نظراً لكشف أبواب منازلنا من الشارع من قبل العامة. فالكلفة في**

(١) Alnowaiser 1989.

(٢) Alnowaiser 1985.

**التعويض عن ذلك بوضع ملابس وأغطية كثيرة عند الخروج، وفقدان هذه الفراغات تسبب عدم الراحة وتنفّر من الخروج من المنزل، وهذا يسبب لنا بعض الحزن عندما نتذكّر أننا فقدنا فرص الاتصال التي كانت موجودة في بيئتنا السابقة» .**

لذا نجد أن الأنظمة الفراغية في البيئات التقليدية وعناصرها المتعددة تعطي العدالة الفراغية لجميع الأعمار والأجناس، حيث إن للمرأة اعتبارات وحقوقاً فراغية داخل وخارج المنزل، وكذلك تُتيح للأطفال تدعيم احتياجاتهم الفطرية والاتصال بالنوعية بنفسها .



# المباني المعمارية البارزة

**القصور الضخمة**

- قصر فيصل (قصر الحكم)
- قصر المصمك
- قصر الملك عبدالعزيز (قصر المربع)
- قصر الملك عبدالعزيز (وادي الدواسر)
- العذيبات - الدرعية

**مساكن نموذجية**

- مسكن الربيعة - المجمعة
- مسكن البسام - عنيزة

# المباني المعمارية البارزة

يتخلل كثيراً من البيئات العمرانية التقليدية مبانٍ معمارية بارزة تعبر عن نفوذ ومكانة شخصيات سياسية واجتماعية، كما تُعبّر عن الحماية الأمنية والمستوى المعيشي لبعض الأسر. وتشمل هذه المباني القصور والحصون والقلاع المختلفة الأحجام والوظائف والتي تُشعر بالأهمية وترمز إلى القوة والحصانة الدفاعية والمسؤولية .

## ٥ - ١-القصور الضخمة

هي منشآت معمارية سكنية ضخمة التكوين وتحتوي على مكونات المسكن الأساسية، بالإضافة إلى استعمالات خاصة بطبيعة مكانة صاحب القصر السياسية والاجتماعية والإدارية، ومعدل مساحتها ما يقارب (١٥٫٠٠٠م٢) خمسة عشر ألف متر مربع .

تركزت القصور الفخمة في مراكز القوى السياسية من المنطقة الوسطى، وهي: الرياض، والدرعية، والخرج وما حولها. بينما انتشرت القصور الصغيرة والمتوسطة في أغلبية البيئات التقليدية. وعادة ما يتراوح عددها بين قصر واحد في البيئات الصغيرة وأقل من عشرة في البيئات الكبيرة كما في مدينة الرياض. وتتبع القصور الضخمة الملوك وأمراء المناطق، والصغيرة التجار وأعيان البلد البارزين .

وتستخدم قصور الملوك والحكام دوراً للسكن، والمحاكم، وإدارة شؤون المواطنين، وبيوتاً لمال الدولة، ولعقد الاجتماعات المهمة السياسية، والاحتفالات بالأعياد، وكذلك مستودعات للأسلحة والذخيرة، وغيرها مما يتعلق بشؤون الحكم. ومن أهم وظائفها حماية ساكنيها من الحكام وأسرهم وممتلكاتهم؛ لذا فالقصر عادة يتكون من طابع ووحدات وأجزاء معمارية ترتبط بطبيعة استخداماته المذكورة سابقاً. وتتصف القصور الكبيرة بالشموخ والتعبير عن العزة والقوة من حيث ضخامة حوائطها وأبراجها، وعن الرحابة في الانفساح والكرم في بواباتها ومجالس استقبال الضيوف .

وغالبية قصور الحكام تتكون من عدة أقسام تشمل: قسم استقبالات الضيوف من ديوانيات كبيرة ومجالس وصالات وغرف نوم، وقسم مقابلة المواطنين والتحدث إليهم واستضافتهم، والمصلّى. كما تحتوي على قسم لنساء الحاكم وجواريه وأبنائه وبناته، وأقسام أخرى لبعض الأقارب والمستشارين والمقربين. كذلك هناك أقسام الخدم والمطابخ والحرس والمسجونين وبعض المسؤولين في إدارة شؤون حكم البلاد وبيت المال. وهناك أجزاء أخرى للخدمات كمستودعات الأسلحة والمواد الغذائية ومصادر الطاقة (الحطب والقاز أو الكيروسين) .

وتتصف القصور بسماكة جدرانها التي تصل إلى مترين ونصف المتر أحياناً، وارتفاعاتها التي قد تصل إلى عشرين متراً. وتُشكل الأبراج الدائرية أو المربعة أركان الحماية للقصر وتقع في أركان المبنى، وفي حالة القصور الضخمة يصل عددها إلى ستة أو ثمانية أبراج، ويكون ارتفاعها غالباً أعلى من أي عنصر في المبنى. وتتكون هذه الأبراج من طوابق متعددة ذات فتحات موجهة إلى الخارج تتسع لفوهات السلاح والرؤية، وهذه تغطي كامل محيط القصر من حيث العملية الدفاعية والمراقبة الأمنية.

وباب القصر في الغالب يحتوي على مدخلين متداخلين، أحدهما بوابة ضخمة ذات باب كبير جداً وثقيل قد يصل ارتفاعه إلى أربعة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار تقريباً. والمدخل الآخر يكون ضمن البوابة، وهو عبارة عن باب صغير على أحد مصراعي الباب الكبير، ويُسمى (الخوخة) ولا يتسع لأكثر من شخص، ويُفتح الباب الكبير لدخول مجموعة من الأشخاص، وفي الحالات المهمة فقط. أيضاً تقتصر مداخل القصر عادة على مدخل كبير عام للضيوف والمراجعين، وآخر أكثر خصوصية للعائلة والمقربين، وذلك بدافع دعم الاحتياطات الأمنية. وتصنع الأبواب من الأشجار المحلية كالأثل والنخيل. ويتبع الباب عدد من الطرمات الكبيرة والمشابهة لتلك الموجودة في المساكن العادية من حيث الشكل والوظيفة التي تتسع للمراقبة وإمكانية استعمال السلاح .

وتمثل القصور وأبراجها المعالم الرئيسة والماثلة التي تُعطي المستوطنة التقليدية في كثير من الأحيان شخصيتها ومكانتها في ذلك الوقت. وربما يهدف تضخيم أجزاء

هذه القصور للتعبير عن السيطرة وبث الرعب في قلوب الخصوم. وفيما يلي سنتطرق إلى أهم القصور في المنطقة الوسطى، والتي اتخذت أسماءها من مؤسسيها وأصحابها ومواقعها، وتشمل هذه القصور: قصر المصمك، وقصر فيصل، وقصر الملك عبدالعزيز (المربع) في الرياض.

## ٥ - ١ - ١-قصر فيصل (قصر الحكم)

يُعدّ قصر الإمام فيصل الضخم من أبرز معالم مدينة الرياض، حيث إنه كان يعلو جميع مبانيها. سُمّي بهذا الاسم نسبة إلى حاكم الدولة السعودية الثانية الإمام فيصل بن تركي، وبجواره قصر أقل حجماً يسكنه الأمير عبدالله أكبر أبنائه. ويتكون القصر من ثلاثة طوابق، ويرتفع بما يقارب العشرين متراً. ويلتصق بالقصر الجامع الكبير (مسجد الإمام تركي بن عبدالله)، حيث إنه يرتبط به عن طريق جسر يستخدمه الملك عبدالعزيز للذهاب إلى صلاة الجمعة[١].

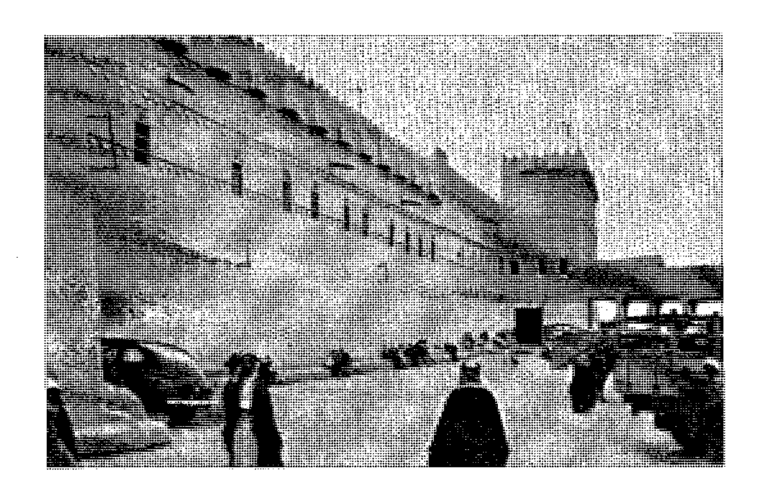
وقد وصف فيلبي (Philpy) ١٣٦٩هـ القصر بجماله وبساطته وثباته وقلة زخارفه وبروز أبراجه فوق خط أفق مدينة الرياض. وقد حصلت له إضافات متتالية حسب الحاجة[٢].

ذُكر في بعض المراجع أن الذي بنى قصر فيصل هو حاكم الرياض من قبل العثمانيين ناصر بن حمد العائذي، وبعد ذلك استعمله الإمام فيصل بن تركي ووالده، وقد هُدم وأعيد بناؤه عام ١٣٦٥هـ تقريباً. وقيل أيضاً إن هذا القصر في الأصل لدهام بن دواس، وإن إعادة بنائه تمت بعد انتقال الإمام تركي إلى الرياض بعد كارثة الدرعية[٣] (شكل١٩أ).

(١) الوشمي١٤٠٦هـ، البيني ١٤١١هـ، الحصين ١٤١٧هـ، السليمان ١٤٠٤هـ الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ١٤١٣هـ، Palgrave 1863.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

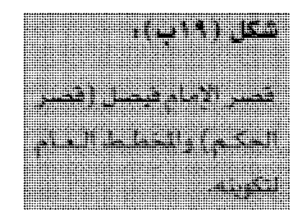


**شكل (١٩أ):**
منظر خارجي لقصر الإمام فيصل بن تركي (قصر الحكم).

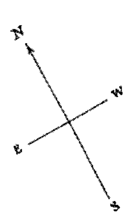
وتتوفر معلومات كثيرة عن هذا القصر خاصة عند المبعوثين والرحالة الأجانب، ومن أبرزهم: بلقريف (Palgrave) الذي وضع مخططاً تفصيلياً وتقريبياً للقصر عام ١٨٦٢م. وفيما بعد أصبح القصر مقراً إدارياً وسكناً للملك عبدالعزيز عندما فتح الرياض، حتى انتقل إلى قصر المربع. واستمر هذا القصر في استقبال الضيوف الرسميين والمواطنين، وكذلك مقراً للاحتفالات والأعياد الرسمية. ويستضيف الملك عبدالعزيز في هذا القصر ما يقارب خمسمائة شخص مرتين يومياً لوجبتي الفطور والعشاء. ويحتوي القصر على منزل الملك ومكاتبه، ومكاتب وزرائه وموظفيه، ومجالس استقباله، ومساكن أقاربه، وأجنحة للحرس والنساء وغيرهم. ويوجد في الموقع نفسه قصور ومساكن أقارب الملك، وهي بيت أخيه الأمير محمد بن عبدالرحمن شرقاً، وبيت الإمام عبدالرحمن، وكذلك بيت الأمير عبدالله بن عبدالرحمن إلى الجنوب [1] (شكل١٩ب) .

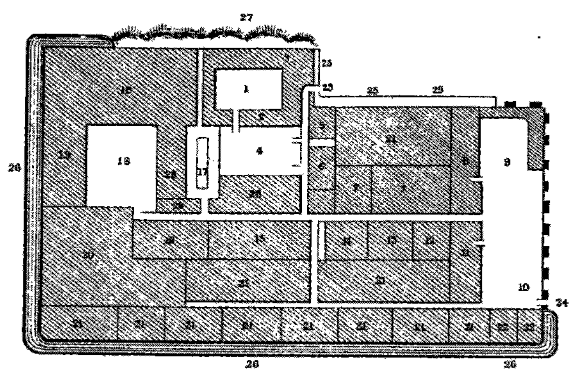
تحيط أغلبية أقسام القصر -بفنائه الكبير- سلالم تنطلق منه تقود إلى القسم الملكي في الدور الأول. ويوجد بهذا القصر جميع عناصر البيت النجدي الأخرى تقريباً كالإيوان والأروقة وغيرها لكن بمقياس أكبر. ويكثر به استعمال الأعمدة المنشأة من الأحجار نظراً لضخامته واحتياجه إلى أنظمة إنشائية قوية. ويقع في الدور الأرضي قاعة المائدة الخاصة بإطعام الفقراء القادمين من البادية. كذلك هناك قاعة خاصة لاستقبال ضيوف الملك الخاصين تحتوي على نقوش جصية تغطي كامل

(١) المرجع السابق.



**شكل (١٩ب):**
قصر الإمام فيصل (قصر الحكم) والمخطط العام لتكوينه.



1. Court of the Harem
2. Feysul private Diwan
3. Apertments of the Harem
4. Inner Court for audience
5. F'hawah.
6. Prisons.
7. 7. Apertments of Mahboo.,
8. Apertments of Sa'aud
9.10. Court-yard. with small apartments
11. Apertments of Djowhar
12. Apertments of the Metow'waa: 'Abd-er Rahman
13. Apertments of another Metow'wa'
14. Apertments of 'Abd,-el-Hameed
15. Kitchen
16. Apertments of 'Abd el 'Azeez
17. Private Mesjid
18. Court for Workmen
19. 19. Dwellings for Workmen
20. Arsenal
21. Rooms for Servants Negroes. Soc.
22.22. Apartments of Aboo-Shems
23. Ordinary entrance
24. Bab.us-Sir, or private exit.
25. Benches for public audience
26. Moat
27 Rock about fourteen feet high
28. Rooms accupied by Negroes

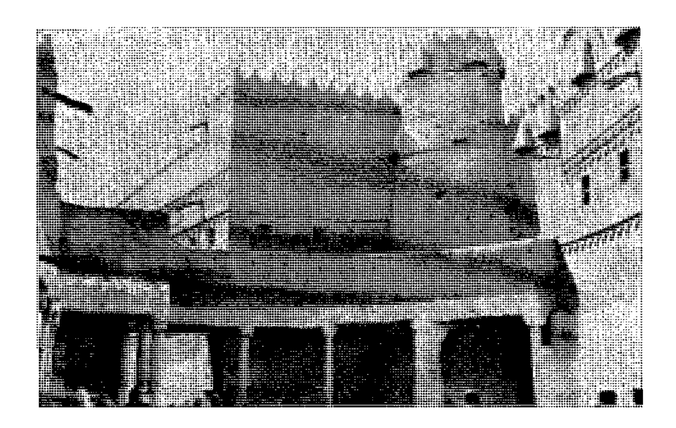
المصدر: بلغريف عام ١٨٦٥م، والهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ١٩٩٢م والحصين ١٤١٧هـ.

مسطحات جدرانها الداخلية. وهناك مصاطب (حبوس) يجلس عليها القادمون للانتظار والمراجعة في أمور تتعلق بمصالحهم. يتبع للدور الأرضي أيضاً مخازن للأسلحة والذخيرة والتمور والقمح وغيرها. ويوجد للقصر بوابتان إحداهما شمالية تفتح على الساحة الرئيسة للسوق (الصفاة)، وهي بوابة ابن عصفور، والثانيةداخل منطقة الصفاقات، ويستخدم الملك عبدالعزيز كلتيهما.

يحتوي الدور الأول على بهو وجناح للديوان الملكي، وديوان لسمو الأمير سعود بن عبدالعزيز، ومساكن لكبار موظفي القصر وطبيب الملك الخاص. كما توجد بالقصر مكاتب الدواوين الملكية ومدرسة للأمراء.

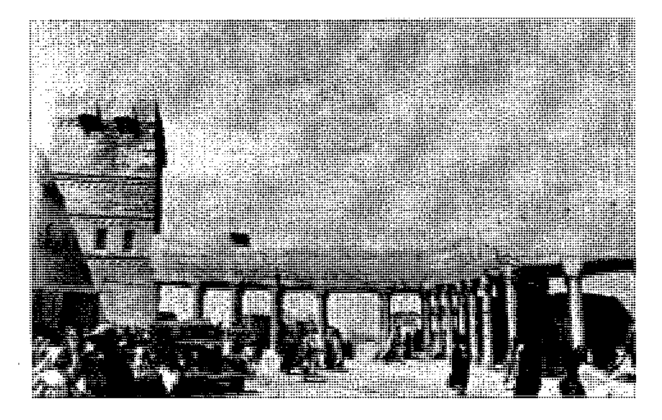
ويوجد جسر (ممر) مشاة علوي يربط القصر فراغياً بمبانٍ أخرى كجناح النساء وقسم بيت المال وقسم خزن الملابس والنقود، ويرتبط به كذلك مسجد القصر في طرف حوش واسع، وهناك أيضاً قسم لديوانية القهوة والمطبخ[١] (شكل٢٠) .

(١) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، ١٤١٣هـ؛ الحصين، ١٤١٧هـ.



**شكل (٢٠):**

تشكل الممرات (الجسور) العلوية عنصر اتصال مهم بين أجزاء قصر الحكم.



المصدر: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ١٩٩٢م.

## ٥ - ١ - ٢-قصر المصمك

يُعتبر قصر المصمك رمزاً وطنياً وتاريخياً لتأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة لكونه البوابة التي دخل منها الملك عبدالعزيز لتوحيد المملكة .

وكان الاستخدام الأساس لقصر المصمك هو سُكْنى عامل ابن رشيد قبل أن يسترد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) الرياض عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م)، ثم أحيط فيما بعد بالسور والأبراج في أركانه الأربعة. ويوحي المصمك بالحصانة والمناعة وليس له غير مدخلين. ويعكس طابعه العمراني العمارة النجدية السائدة مع ضخامة العناصر وسعتها [١] .

ولا يوجد اتفاق بين المصادر التاريخية المختلفةحول من بنى المصمك وتاريخ بنائه، حيث ذكر بعضها أنه بُني في عهد الإمام عبدالله بن فيصل آل سعود الذي حكم فترتين :الأولى ١٢٨٢ - ١٢٨٨هـ، والثانية ١٢٩٣ - ١٣٠٥هـ. بينما ذكر بعضها

(١) المرجع السابق.

الآخر أنه بُني في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد بين عامي ١٣٠٦هـ و ١٣١٥هـ. ومصادر أخرى تحدد أن الذي بنى المصمك هو ابن ضبعان قائد حامية الرياض في عهد ابن رشيد بواسطة شخص يُدعى عبدالعزيز بن متعب بن نعام [١] .

أيضاً من المسوحات الميدانية على المصمك من قِبل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض قبل الترميم سنة ١٤٠٠هـ وجِد تاريخ منقوش على البرج الشمالي الشرقي وهو ٢ شعبان ١٣١٢هـ، ويعتقد مصدر الهيئة أنه بُني خلال تلك الفترة من قيام ابن رشيد على الرياض [٢] .

ويبدو أن الصحيح هو أن الإمام عبدالله بن فيصل شرع في بناء هذا القصر محل قصر دهام الذي كان قصراً للحكم ما يقارب ٨٠ عاماً، وكان داراً للسكن والحكم، وبيتاً للمال. ويبدو إن رجال ابن رشيد قد بنوا حصناً يُدعى المصمك يضم هذا القصر الذي بناه الإمام عبدالله بن فيصل.

وبناءً على المعلومات السابقة، استخدم المصمك في البداية حصناً ومقراً لحامية ابن رشيد في الرياض سنة ١٣١٢هـ تقريباً حتى اقتحمه الملك عبدالعزيز سنة ١٣١٩هـ خلال عملية استرداد الرياض، وتم استخدامه مستودعاً للذخيرة والأسلحة، وفيما بعد سنة ١٣٢١هـ تقريباً حوّل المصمك إلى سجن، وبعد استتباب الأمن أصبح مبناه معلماً حضارياً وتاريخياً، وانتهى في الفترة الأخيرة ليكون مصدراً حضارياً مفتوحاً لتاريخ المملكة عن طريق تحويله إلى متحف [٣] .

أما عن التسمية فهناك عدة تفسيرات تدور كلها حول سُمك الجدران، وأن أصل التسمية هي (المسمك) ثم حرّفت إلى المصمك. وقد أشير إلى قصر المصمك بأسماء أخرى وهي: القلعة، والحصن، وقد هيمنت تسمية قصر المصمك على ما سواها .

---

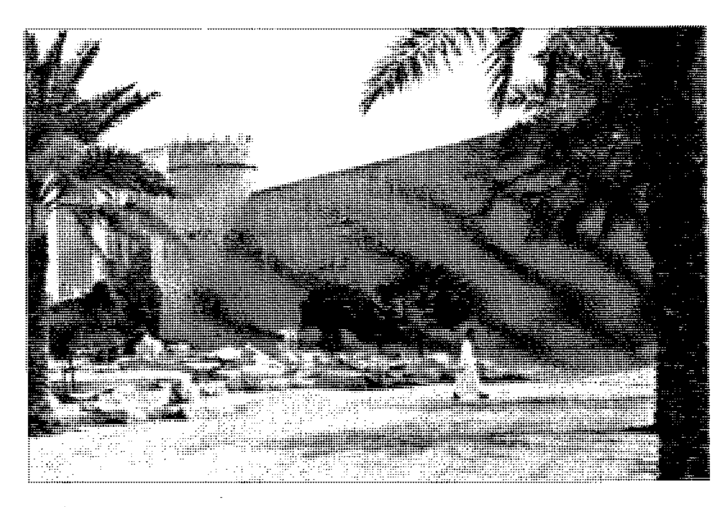
(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

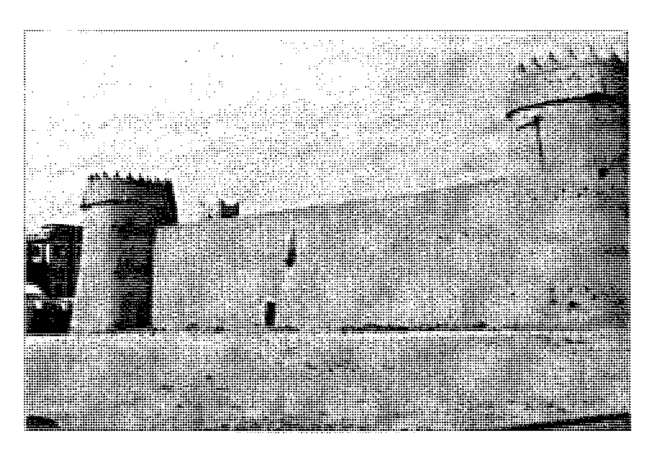
يقع المصمك في حي الثميري بوسط مدينة الرياض، ويحيط به جدار خارجي سميك عند الباب بما يقارب المترين، ويتناقص هذا السمك بالارتفاع، ويوجد بالمصمك نحو أربع وأربعين غرفة بالإضافة إلى المسجد ومجلس كبير .

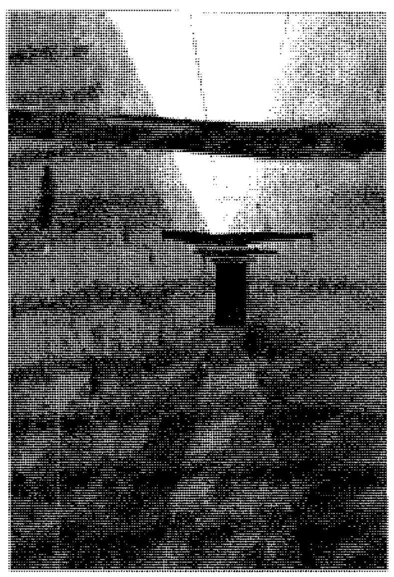
وعلى كل ركن من أركان المصمك الأربعة يوجد برج أسطواني الشكل للمراقبة الخارجية يصل ارتفاعه إلى ١٨ متراً، والبرج مقسم إلى طوابق، في كل طابق أحزمة مكونة من فتحات للرمي على محيط البرج كله، وفي داخل سور المصمك برج آخر مربع يُدعى المربعة، يُشرف على القصر من الداخل، ويُعدّ المصمك نموذجاً معمارياً عربياً أصيلاً (شكل٢١،٢٢) .



**شكل (٢١):**

قصر المصمك.





**شكل (٢٢):**

يتضح من تصميم قصر المصمك تركيزه على التوجيه الدفاعي وحماية سكانه عن طريق الأسوار العالية والأبراج وحزام من الحوائط العلوية المزدوجة لإطلاق النار.

ويتخذ المصمك شكلاً شبه رباعي ومساحته ٢٧٥٠م٢، ويتكون من استعمالات سياسية وإدارية ودينية وسكنية وخدمات، وهذه تقسم المبنى إلى قسمين: الأول إداري في المنطقة الأمامية بجوار المدخل الرئيس (غرباً)، والثاني: المنطقة السكنية والخدمات في الجهة الخلفية (شرقاً). ويحتوي المبنى على دورين أرضي وأول. ويتكون الدور الأرضي من مدخلين: رئيس، وثانوي، ومسجد، ومجلسين (ديوانية)، وثلاث وحدات سكنية (أجنحة)، وستة أفنية تحيط بها غرف الدور الأرضي والعلوي (شكل٢٣،٢٤) .

يتصل المدخل الرئيس بالمسجد الذي يقع في الركن الشمالي الغربي ويعترض طريقه مدخل منكسر بحائط الديوانية مكوناً حاجزاً للرؤية لدواعي الخصوصية، وتقع خلفها مجالس استقبال الضيوف (الديوانيات). وهذه الديوانيات غرفتان

واسعتان وسقفاها يقعان على الفناء الكبير، ويتخلل حوائطهما فتحات علوية وسفلية لإيصال دورة الهواء والإضاءة الطبيعية. و يوجد بالديوانية الخلفية الثانية التابعة (للخُوَيَا)[1] ، الوجار الخاص بإعداد القهوة والشاي، والكمر لخزن وعرض الدلال والأباريق والفناجيل (فناجيل القهوة والشاي) والمباخر، ويُطل هذان المجلسان على الفناء الكبير عن طريق أروقة ذات أعمدة بسيطة تحيط به من ثلاث جهات، ويتصل بالفناء درجتان من جهة الشرق بجوار بعضهما؛ للاتصال بالأدوار العلوية. ويتصل بهذه المنطقة أيضاً عن طريق الفناء الرئيس، فناء الخدمة المستطيل الشكل الذي يتوسط جميع أجنحة القصر.

**شكل (٢٣):**

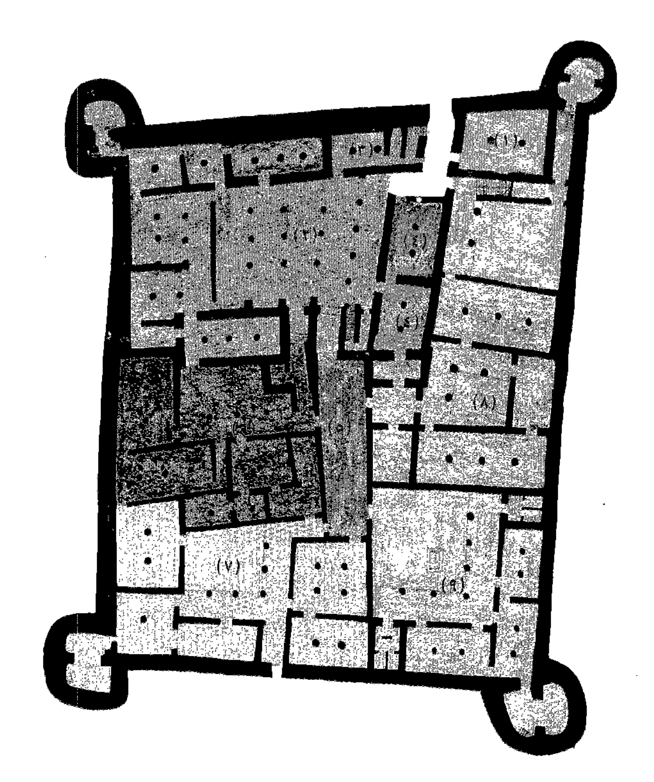
المخطط الأرضي الأصلي للمصمك قبل الترميم.

المصدر: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، «المصمك» ١٤١٣هـ.

تتركز ثلاث وحدات سكنية ومقر خدمات في النصف الشرقي من الدور الأرضي للمبنى، ويتشابه تصميمها في بعض الصفات من ناحية توجيه عناصر كل وحدة حول فناء، ووجود أروقة على بعض جهاتها. لكن هذه الوحدات لها وظائفها الخاصة بكل منها، وبعضها مكمل لبعضها الآخر ولبقية القصر، بحيث يبدو أن الوحدة الأولى الجنوبية هي السكن الرئيس المتكامل للحاكم؛ نظراً لتوسطها بين المنطقة الإدارية والسكنية، وسهولة اتصالها بمنطقة الخدمات، ووجود غرف في دورها العلوي، ويتصل بها من الدور الأرضي عن طريق الفناء. بينما الوحدة السكنية الثانية الواقعة في الجنوب الشرقي تتصل بالمدخل الثانوي الخارجي

(١) الخُوَيَا: اسم يطلق على المرافقين للملك من الخدم والحرس ( الهيئة العليا، ١٤١٣هـ، الحصين، ١٤١٧هـ).

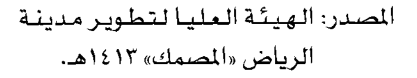
ويُحتمل أن بعض غرفها استعملت كبيت للمال. واحتمال استعمال الوحدة السكنية الثالثة الشمالية مقراً للضيوف، حيث يدل توجيهها وموقعها على ذلك؛ لأنها معزولة نوعاً ما عن المناطق السكنية الأخرى ومتصلة أكثر بمنطقة الاستقبال والمدخل الرئيس والمسجد والخدمات وديوانية «الخُوَيَا» المخصصة لإعداد القهوة (شكل ٢٤) .




**شكل (٢٤):**

مخطط الدور الأرضي للمصمك ويتكون من:

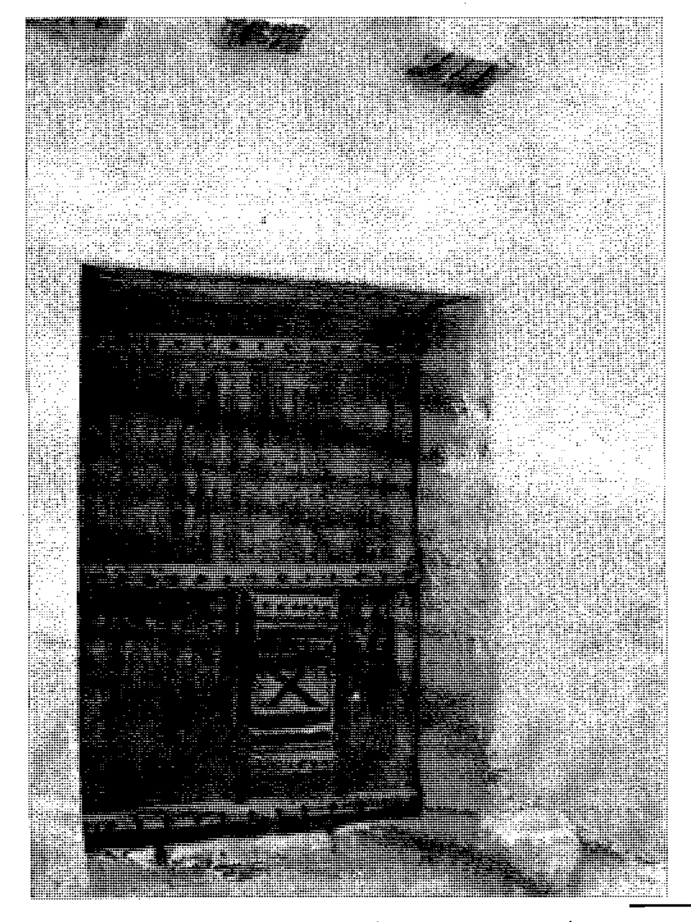
١- المسجد.
٢- الفناء الرئيس والغرف المحيطة به.
٣- ديوانية الخويًّا.
٤- الديوانيات (مجالس القهوة).
٥- فناء الخدمة الأوسط.
٦- وحدة سكن الحاكم.
٧- وحدة سكن وغرف بيت المال.
٨- وحدة سكن الضيوف.
٩- منطقة خدمات وبئر ماء.


المصدر: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض «المصمك» ١٤١٣هـ.

وتقع وحدة الخدمات في الركن الشمالي الشرقي وتتكون من مستودعات وبئر ماء لتوفير احتياجات الماء بما في ذلك ري النخيل وبعض الشجيرات التي كانت موجودة في القصر، كما أضيف إليها بعض الغرف والمستودعات خلال الترميم .

تتركز غرف الدور الأول غالباً فوق المنطقة الإدارية في النصف الغربي من المصمك. ومن أهم عناصره الروشن، وغرفة أخرى يوجد بها وجار وكمر ذو فتحات مثلثة الشكل غالباً ومتعددة لغرض الإضاءة الطبيعية والتهوية لهذا المجلس، أيضاً بعض الغرف العلوية الحالية أضيفت خلال الترميم (راجع شكل ٥٦) . وقد استخدمت الأعمدة بصفتها عنصراً إنشائياً رئيساً حاملاً لزيادة عروض بعض الغرف، وأثناء عملية الترميم بين عامي ١٤٠٠-١٤٠٢هـ أزيلت بعض

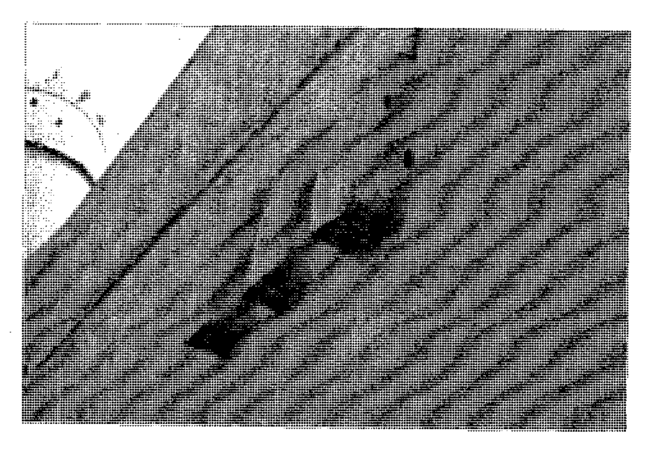
العناصر كالحمامات وبعض جلسات الانتظار (دكات)، بينما أضيف إليه أشياء لم تكن موجودة من قبل كبعض الغرف السفلية والعلوية والزخارف في بعض المجالس . وقد بُني المصمك من الطين المخلوط بالتبن، أما الأساس فقد استخدم فيه الحجر، وبالنسبة لملاط اللياسة فهو استعمال الطين من الخارج (بدون تبن) والجص من الداخل، ويحيط بالمصمك جدار خارجي سميك يصل سمكه عند القاعدة إلى ٥٩ر١م، لكن هذا السمك يتناقص كلما ارتفع الجدار، ويقل ليصل إلى ٤٠ر٠م في أعلاه. وباب المصمك ضخم يصل ارتفاعه إلى ٦ر٣متر وعرضه ٧ر٢متر، وهو مصنوع من أخشاب الأشجار المحلية (أثل ونخل)، وفي وسط الباب فتحة تُسمى (الخوخة) لا تتيح إلا مرور شخص واحد، وذلك لدواعي الأمن. ويوجد فوق الباب ثلاث طرمات [1] (شكل٢٥، ٢٦) .

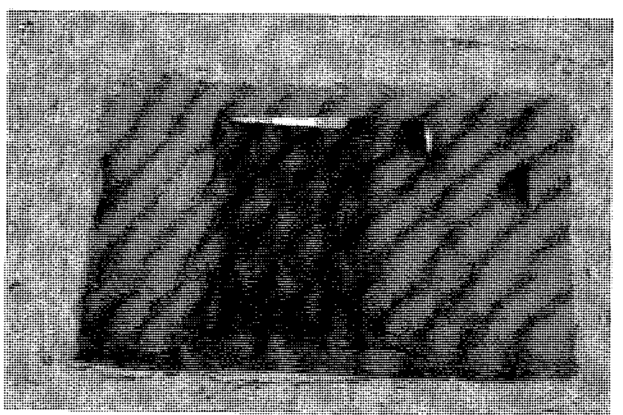


**شكل(٢٥):**

بوابة قصر المصمك، ويظهر داخلها الخوخة، وهي باب صغير لايتسع إلا لفرد واحد، وذلك لدواعي الأمن.

(١) طرمات: مفردها طرمة، والطرمة عبارة عن فتحة أو نافذة لها بروز خشبي أشبه بالصندوق الذي ليس له قاع، وتستخدم للنظر من أعلى للمراقبة ولإطلاق الرصاص إذا استدعى الأمر.





**شكل (٢٦):**
طرمات المصمك.

أما الزخارف فهي تشمل فتحات مثلثة الشكل ومستطيلات تُطل على فناء البيت، وفي داخل الحجرات توجد الزخرفة الجصية التي تتكون من أشكال هندسية بسيطة كالدوائر والمثلثات، وأشكال تعبّر عن نباتات من البيئة مثل النخيل أو أشكال أخرى مثل النجوم والهلال [١].

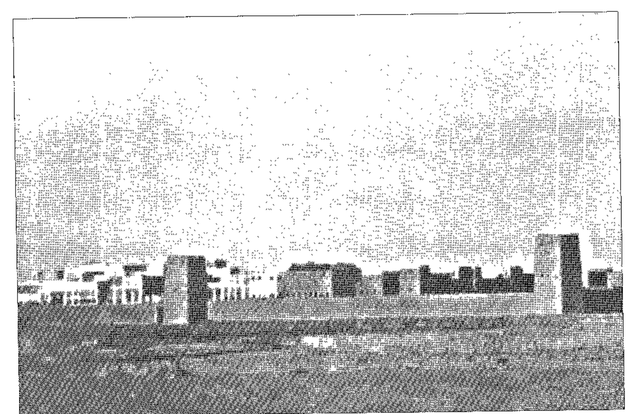
## ٥ - ١ - ٣-قصر الملك عبدالعزيز (قصر المربع)

حينما استرد الملك عبدالعزيز مدينة الرياض سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) اتخذ قصر الحكم داخل المدينة مقراً له. وأقام الملك عبدالعزيز في منطقة قصر الحكم وسط مدينة الرياض مع أسرته الكريمة، حيث أعاد بناء قصر آل سعود القديم في الصفاة عام ١٣٣٠هـ، حتى بدأت تزدحم المدينة داخل أسوارها، ومن ثَم قرر الملك إنشاء قصر جديد خارج السور الشمالي عُرف فيما بعد بـ «المربع»، وشمل هذا الحي الملكي

(١) السبيت، ١٤١٣هـ؛ الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ١٤١٣هـ؛ (Palgrave 1865)

أول قصر بُني للملك عبدالعزيز سنة ١٣٥٦هـ، وهو قصر المربع الذي سُمي فيما بعد بالديوان. وتم لاحقاً إنشاء مجمع سكني ملكي متكامل بجوار القصر للملك وأسرته، واقتصر استعمال قصر المربع على إدارة شؤون الدولة واستقبال الضيوف (شكل ٢٧).

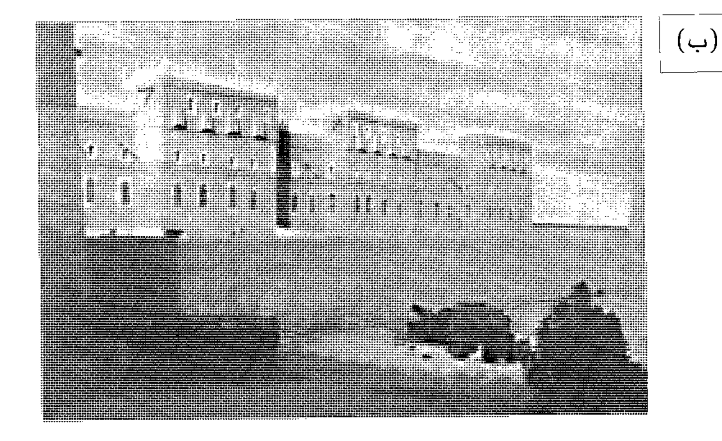
(أ)



**شكل (٢٧):**

حي المربع، وتشكل الأبراج أبرز معالمه (أ) ويحتوي على المجمع السكني (ب).

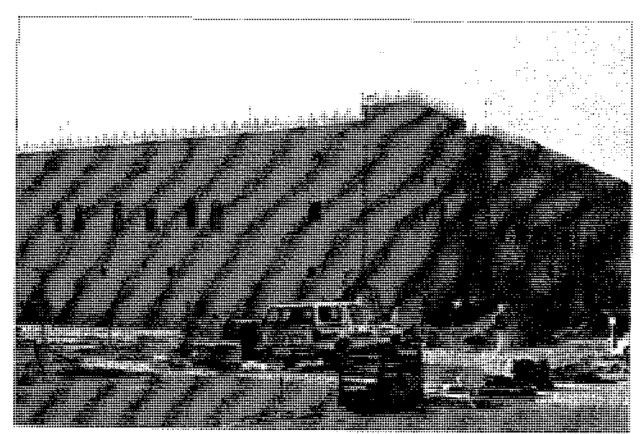
(ب)



المصدر: Facey,W,1992

بُني القصر بالطين وزينت جدرانه بالجص الأبيض واستخدمت العروق الخشبية كذلك، ويرى بعضهم أن تسمية القصر بهذا الاسم تعود إلى شكل أبراج أسوار الحي المربعة الشكل، والصحيح أن التسمية تعود إلى اسم قديم يُطلق على النخل الذي بُني عليه القصر. وقد رُكّب في هذا القصر مصعد كهربائي في أواخر عهد الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه. ويتبع هذا القصر مسجد جامع في الخلف، ويحيط بالقصر وملحقاته سور منخفض ربما لاستتباب الأمن في ذلك الوقت، ويُقدّر ارتفاعه بأربعة أمتار ونصف المتر، وبه ثمانية أبراج مربعة الشكل، وأربع بوابات تقع على ثلاث جهات من الجنوب والغرب والشمال. وفي رحاب هذا القصر

وفي قاعة استقبالاته الكبرى تمت لقاءات واجتماعات بين الملك عبدالعزيز وكثير من الوفود الداخلية من رجال القبائل، كما تم توقيع عدد من الاتفاقيات بين الملك عبدالعزيز -رحمه الله - وبين عدد من ملوك و رؤساء الدول[1] (شكل٢٨) .



**شكل (٢٨):**
منظر عام لقصر الملك عبدالعزيز (المربع).

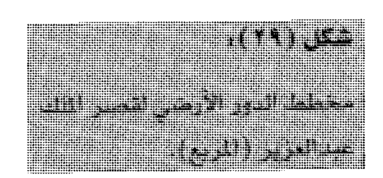
وقد أسهم في إنشاء حي المربع مجموعة كبيرة من المقاولين والفنيين والحرفيين والعمال بلغ عددهم أربعة آلاف تقريباً، قدِموا من جميع أنحاء المملكة. ويرتكز تصميم القصر على فناء مركزي تحيط به وحدات (أجنحة) سكنية، ويتصل بالخارج بمدخل متعرج لمنع الاتصال البصري المباشر بالداخل. ويقع المدخل الرئيس للقصر في الجهة الغربية ويعلوه جسر يُسمى (المدربين)، وهذا يرتبط مع جسور مشاة مجاورة للقصر للحفاظ على خصوصية وأمان الحاكم. وهي بهذا تُشكل شبكة حركة مشاة تشمل ثلاثة ممرات يتصل أحدها من الشمال بقصر الملك الأوسط وبعده بقصر آخر لأسرته، وآخر يتصل بالمضيفة من جهة الغرب، والثالث يتصل بالمسجد من جهة الجنوب .

ويتخذ القصر الشكل المستطيل بأبعاد ٣٠٠م × ٤٠٠م، وارتفاع ٢٠متراً تقريباً. واستخدم في بنائه المواد المحلية من الطين وأخشاب النخيل والأثل، وكذلك الأحجار لأساسات الحوائط الخارجية للحماية من مياه الأمطار [2] .

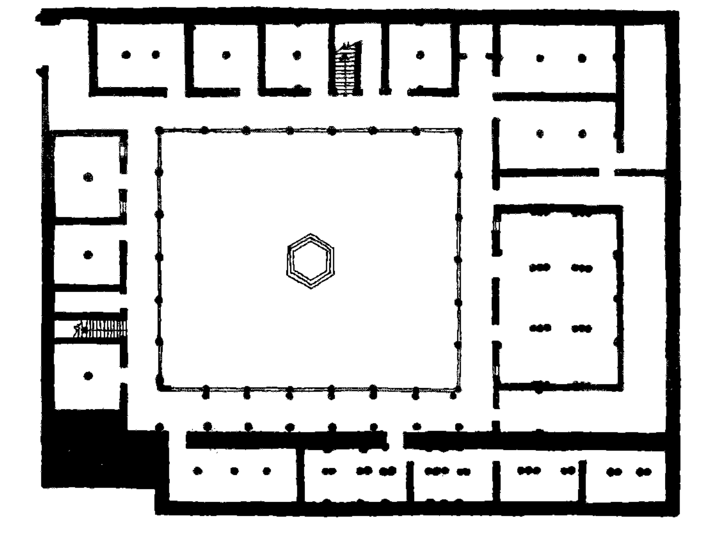
(١) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ١٤١٣هـ. الحصين ١٤١٧هـ.

(٢) الإدارة العامة للآثار والمتاحف ١٤١٣هـ. Palgrave, 1865.

ويتكون القصر من دورين، يحتوي الدور الأرضي على الخدمات المختلفة المرتبطة بمهام واحتياجات الحاكم، وتشمل حراس الديوان الملكي والخُوَيا والخدم. ويوجد في هذا الدور «١٦» غرفة مختصّة بمهام إدارية ولإعداد القهوة للضيوف وتوفير الخدمات الملكية الأخرى. (شكل٢٩) .

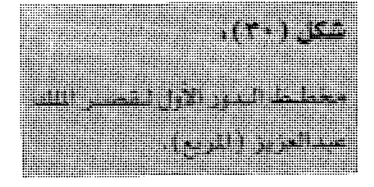


شكل (٢٩):
مخطط الدور الأرضي لقصر الملك عبدالعزيز (المربع).

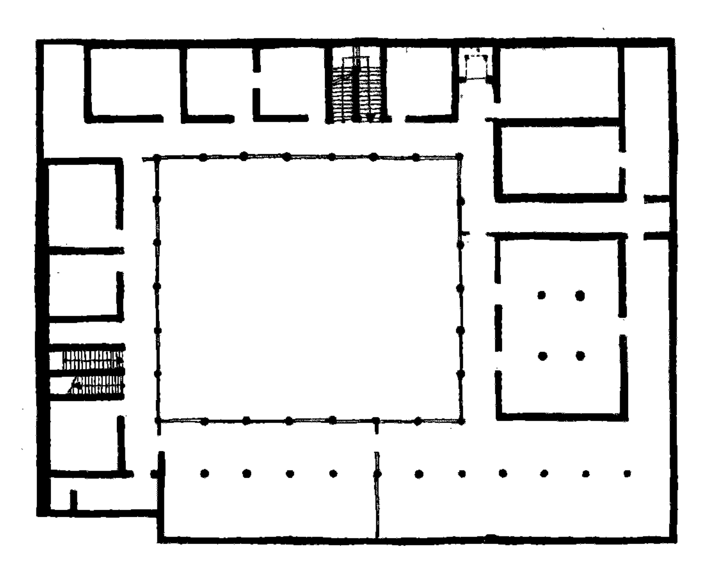


المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، قصر المربع، ١٤١٣هـ.

أما الدور الأول فهو مخصص غالباً لاستقبال الزوار والأعمال السياسية والإدارية، ويتكون من الشعبة السياسية (نواة لوزارة الخارجية الحالية)، وغرف أخرى للاتصالات وللمكلفين بالمناوبة الليلية من الخُوَيا. (شكل٣٠) .



شكل (٣٠):
مخطط الدور الأول لقصر الملك عبدالعزيز (المربع).



المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف، «قصر المربع» ١٤١٣هـ.

وأكبر قاعة في هذا الدور تستعمل مجلساً صيفياً مفتوحاً للإضاءة الطبيعية، وتحتوي على كراسي لاستيعاب ١٢٠ رجلاً، وترتفع ٧م تقريباً، وقاعة أصغر تستخدم مجلساً شتوياً مختصراً يحتوي على شبابيك منخفضة وجلسات مرتفعة (مصطبة) تستوعب ٥٠ رجلاً، وتتصف القاعة الكبرى بالرحابة والسعة، حيث يتوسطها ثلاثة أعمدة مزينة بالزخارف المجصصة لتمكينها من الحصول على عرض مناسب لحجمها من الناحية الإنشائية. أما القاعة الأصغر فتبدو ذات بيئة أنيقة ومريحة ودافئة بسبب حجمها وشبابيكها وجلساتها ومحتوياتها الأخرى أيضاً.

أما السطح فيوجد به عنصران هما: مجلس صيفي غير مسقوف، لجلوس الملك في الجهة الشمالية، بينما يقع بالركن الجنوبي الشرقي غرفة لتبريد الماء عن طريق وجود عدة ثقوب تهوية لتبريد قِرَب [1] الماء المعلقة بها. وتتصل أدوار القصر ببعضها عن طريق ثلاث وسائل، تتكون من درجين ومصعد كهربائي.

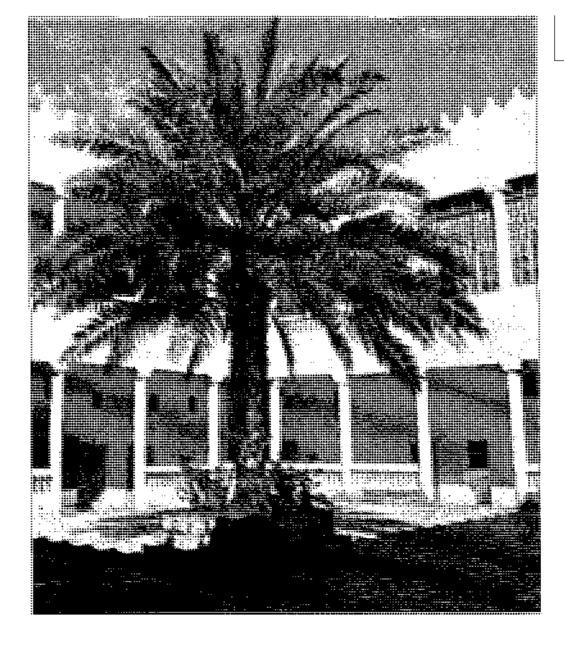
وجميع غرف وعناصر قصر المربع تحيط بفناء يُكوِّن المصدر الرئيس للإضاءة الطبيعية والتهوية والمنظر والخصوصية عن طريق انفتاح أغلبية الصالات والغرف عليه عن طريق الإيوان (الليوان) (شكل٣١).

## ٥ - ١ - ٤-قصر الملك عبدالعزيز في وادي الدواسر

يعتبر قصر الملك عبدالعزيز من أهم المعالم التقليدية في وادي الدواسر ويُعرف بقصر الإمارة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا القصر يشابه قصور أخرى وجَّه بإقامتها الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في مناطق أخرى من المملكة، لتكون مقرات لإدارة شؤون ومصالح المواطنين، ونقاطاً للمِّ شملهم، ولتكوين الدولة الحديثة في الجزيرة العربية. وبداية إنشائه كانت عندما أرسل الملك عبدالعزيز مندوباً له يُسمى «جاسراً» عام ١٣٢٩هـ ليطلب من وكيل الحكومة بالوادي الشيخ محمد ابن سعد بن ضرمان إقامة قصر للحكومة هناك؛ لذا قام الشيخ ابن ضرمان

(١) القرب: جمع قربة، وهي وعاء من الجلد مخروز يتخذ سقاءً للماء وغيره.

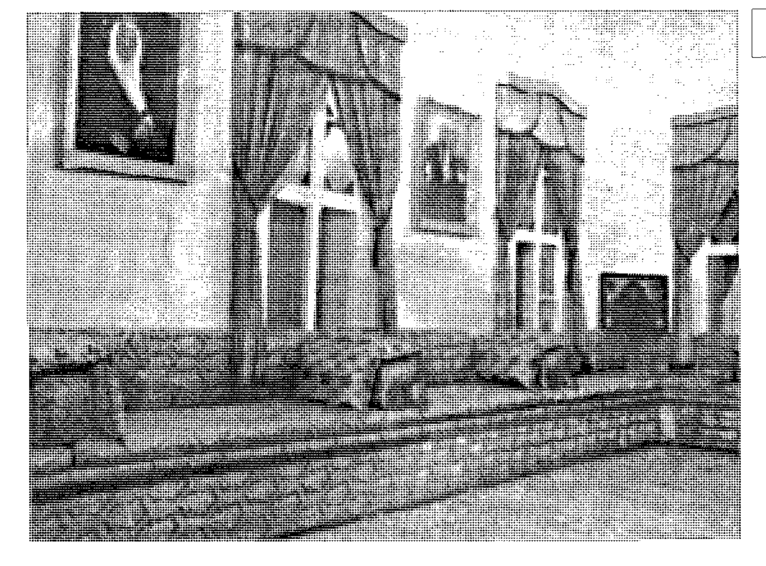
(أ)



**شكل (٣١):**

ساحة قصر الملك عبدالعزيز (المربع)(أ) ومجلسه الشتوي (ب).

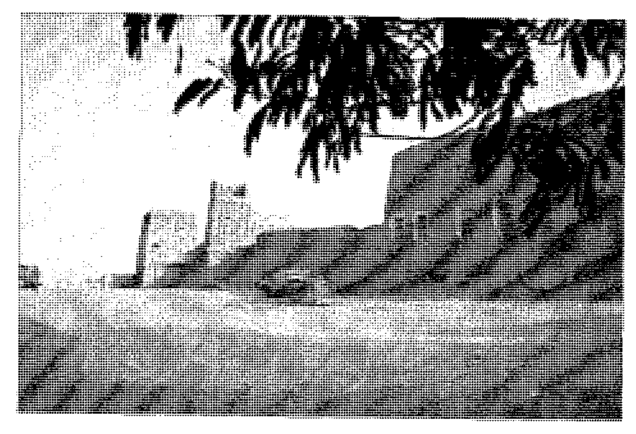
(ب)

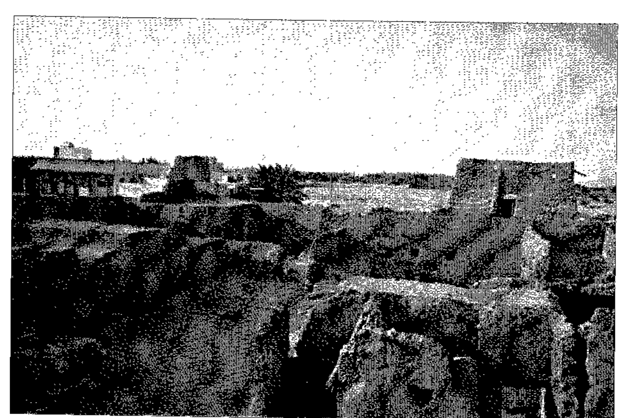


المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف.

باختيار الموقع بحيث يكون بين الخماسين واللدام لتسهيل الاتصال به من سكان المنطقة. وكلف محمد بن سعد بن ضرمان بعمل مخطط للمباني وإسناد تنفيذه إلى معلم يُدعى «الجنوبي» ليتولى عملية البناء مع مساعديه من سكان الوادي، بينما تمت إضافة قسم الضيافة فيما بعد من قبل المعلم محمد بن صمعين[1] (شكل٣٢).

(١) لقد ساعد في توفير المعلومات الأساسية وكذلك الصور والمخطط الأستاذ/ سالم عوض الدوسري/مشرف اجتماعي/إدارة التعليم بوادي الدواسر/وزارة المعارف ١٤١٩/٢/١٩هـ.



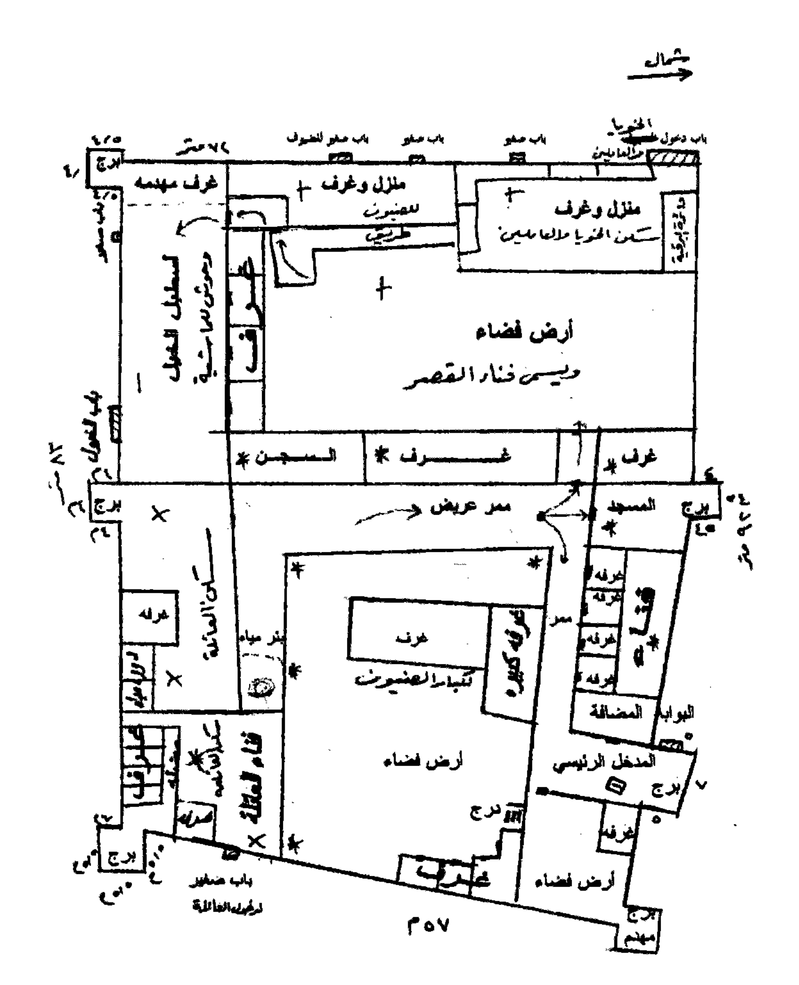


**شكل(٣٢):**

منظر عام لقصر الملك عبدالعزيز في وادي الدواسر، ويتكون من خمسة أقسام رئيسة، وهي: مناطق العائلة والحكم والضيافة والماشية والخدمات.

وأول من استخدم هذا القصر هو حاكم وأمير المنطقة في ذلك الوقت سعد بن عفيصان القحطاني. وتمت توسعة القصر في عام ١٣٧٠هـ، حيث قام وكيل الملك عبدالعزيز الشيخ محمد بن سعد بن ضرمان بإضافة قسم للضيافة وبعض الغرف والمرافق بناءً على أمر الملك؛ ليتسنى لهذا القصر القيام بوظائف متعددة، منها الضيافة وموقع لصرف أجور العمال ورواتب الخويا والقاضي، وكذلك جمع الزكاة من الأموال والتمور وتوزيعها على مستحقيها.

ويتضح من التوزيع ووظائف عناصر هذا المجمع والعلاقة بينها أنها تكون نظاماً معيشياً متكاملاً ومتلازماً، وهو نوعاً ما مستقل بخدماته ومصادر معيشته، كوظيفة تربية المواشي. ويُعبر القصر أيضاً عن إحدى أهم العادات العربية وهي تربية الخيول التي كانت تستخدم للمواصلات، والعناية بها بإيجاد إسطبل خاص بها، معزول عن بقية المواشي (شكل٣٣) .

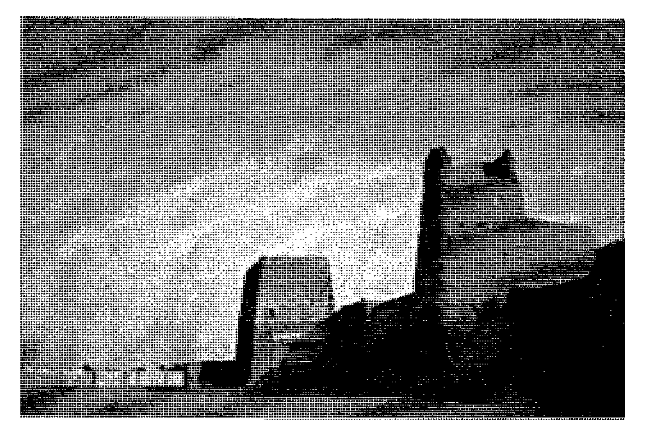


شكل (٣٣):
يوضح المخطط بعاليه مسقط لعناصر المجمع وتقسيماته وهي: قسم الحكم (أ) وقسم العائلة (ب) وقسم الضيافة (ج) وقسم الماشية (د) وقسم الخدمات (هـ).

ويحيط بأقسام القصر خمسة من الأبراج الضخمة مقارنة بحجم القصر ويتراوح ارتفاعها ما بين ٨-١٠م، وهذا ربما يدل على أن هناك شعوراً بالحاجة إلى حماية أكثر من العادة في ذلك الوقت.

وكالعادة تتكون هذه الأبراج في أعاليها من «طرمات» للمراقبة وثقوب للتصويب والدفاع. كذلك تتركز أكثر الأبراج وهي ثلاثة حول منطقة العائلة ومنطقة الماشية والخيول؛ نظراً لأنها أهم أجزاء القصر. وهناك تشابه كبير بين الأبراج الخمسة لكونها مقسمة إلى دورين مع بعض الاختلافات. وكانت هذه الأبراج في الأساس تستعمل لأغراض الحماية والدفاع في زمن الحروب، لكن عندما شملت الدولة السعودية منطقة الوادي سادها الأمان، وتحول استعمال هذه الأبراج إلى استعمالات أخرى كمخازن وغيرها، فمثلاً برج المدخل تحول دوره الأرضي إلى مجلس مشب نار،

بينما أصبح دوره العلوي يستخدم مخزناً. ويوجد ثمانية مداخل صغيرة وكبيرة للقصر تتركز أغلبها في قسم الضيافة والخويا، بينما لا يوجد إلا باب صغير في قسم العائلة . (شكل٣٤) .





**شكل(٣٤):**

تبرز الأبراج بوصفها أهم ملامح هذا المجمع، ولكل منها وظيفة مختلفة، ترتبط بالمداخل الرئيسة للأقسام المختلفة. وقد صممت في البداية كعناصر مراقبة وحماية، وبعد الشعور بالاستقرار والأمان حوّلت لاستخدامات أخرى، مثل مخازن للمواد الغذائية لقوة عزل الحرارة؛ نظراً لسماكة حوائطها.

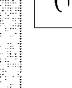
ومن هنا فإن أهم ملامح هذا المجمع أنه يُعبر عن الشعور بحقبتين من الزمن: الأولى قبل توحيد المملكة، وتتمثل في وجود أبراج وأسوار عالية للحماية. والثانية بعد أربعين سنة تقريباً من بناء القصر، حيث تم تحويل الاستخدامات الحربية إلى سلمية كتحوير الأبراج واستخدامها مخازن ومجالس وغرفاً أخرى. كذلك أضيف قسم جديد للضيافة، ويلحظ عليه مظاهر الاستقرار والشعور بالأمان، المنعكس على كسر استمرارية السور وفتح شبابيك إلى الخارج. كما تم أيضاً عزل منطقة العائلة عن منطقة الضيوف بمنطقة الخدمات وأجزاء من المنطقة الإدارية، وكذلك بإيجاد أسوار عالية .

وفكرة القصر التصميمية مشابهة لتلك الموجودة في قصور مدينة الرياض، حيث تم نقلها إلى الوادي عن طريق الشيخ محمد بن ضرمان، وتتكون من خمسة أجزاء هي: منطقة مسكن العائلة، ومنطقة الإمارة، ومنطقة الضيافة، ومنطقة الماشية، ومنطقة الخدمات التي تتوسط الأجزاء الأربعة الأخرى. وتشكل المساحات والغرف الخاصة بالضيوف نسبة كبيرة من المساحة الكلية، ويلي ذلك منطقة الحكم. أيضاً يتداخل نظام الأفنية مع الأقسام المختلفة للمجمع،بحيث تحاط غرف كل قسم بفناء.

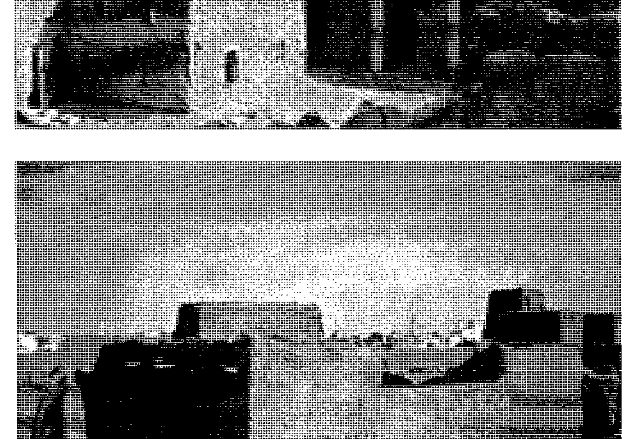
وتبلغ مساحة حدود المجمع ٥٢٢٠م٢، وتكون الأفنية والممرات العازلة بين بعض الأقسام نسبة كبيرة من هذه المساحة.

يقع مسكن العائلة في الركن الجنوبي الشرقي، وأغلبية غرف القصر تقع في الدور الأرضي، ما عدا غرفاً قليلة موجودة في الدور الأول، تشمل بعض المستودعات لتخزين فرش النوم خلال النهار في فصل الصيف.كذلك يتصل الدور الأرضي بالدور الأول أو السطح ببرج عن طريق الفناء (شكل٣٥) .

(أ)



(ب)



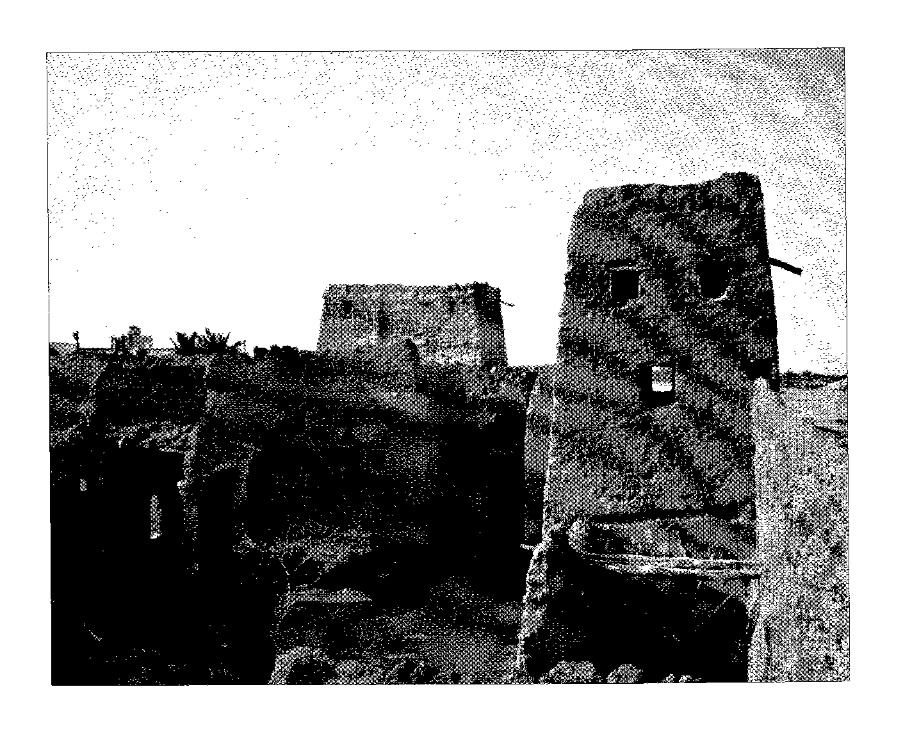
**شكل(٣٥):**

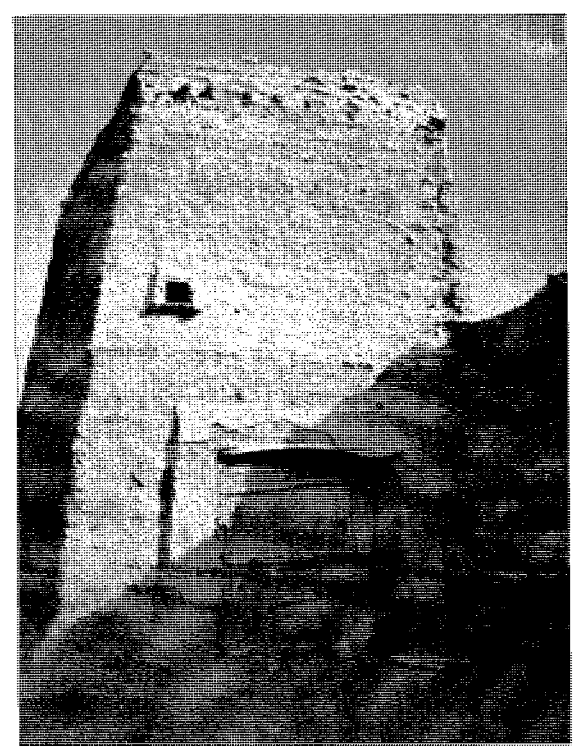
يبدو قسم العائلة معزولاً عن بقية عناصر القصر الأخرى عن طريق توجيهه إلى الداخل(أ)، وإحاطته بأسوار عالية (ب).

ويقع قسم الإمارة (الحكم) في الركن الشمالي الشرقي من المجمع، ويُعتبر واجهة الاستقبال والاتصال بين حاكم الوادي والمواطنين، حيث إن تصميم وتوقيع عناصر هذا القسم تعبر عن المسؤولية في إدارة شؤون السكان وحسن الاستقبال والكرم المتمثل في وضع مجلس الأمير عند المدخل على شكل (حبوس)، وكذلك مشب لإعداد القهوة والقيام عليها. ويوجد به أيضاً المدخل الرئيس للقصر، وهو باب كبير ورحب، ويتوسطه باب صغير (فرخة). ويقع كل من المدخل والمشب داخل البرج المتصل بهذا القسم، ويوجد في عاليه بالطابق الأول نافذة للاطلاع على الخارج، خاصة لما يدور حول الباب وتسمى «الطرمة» أو المزغار. ويعطي البرج الذي يعلو البوابة الرئيسة بروزاً وقوةً وتوجيهاً للمدخل. ويتكون قسم الإمارة من مجلس الأمير، والديوانية الرئيسة، ومجلس شتاء، وغرف الضيافة، ومجلس الضيوف، وغرفة البرقية، ومجلس مختصر خاص بكبار الضيوف، ومطبخ، ومسجد، وسجن. ويوجد بالدور الأرضي درج يتصل بالسطح عن طريق الفناء. وتشغل هذه الغرف بالاستقبال وإدارة الشؤون العامة والضيافة وبقية مسلتزمات الحكم للاتصال والخدمة، وغيرها شكل (٣٦).

ويقع قسم الضيافة في الركن الشمالي الغربي من المجمع وهو إضافة حديثة بالنسبة لبقية الأقسام، بالإضافة إلى وجود بعض مرافق الضيافة في قسم الإمارة الأقدم للضيافة المؤقتة، إلا أنه ربما كان هناك إحساس بالفصل بين هذه الأقسام وأماكن إدارة شؤون الدولة لأهمية كل منهما، وذلك عن طريق إنشاء قسم جديد ومستقل للضيافة، كذلك ربما كان هذا التمدد الأخير للشعور بالحاجة إلى إيجاد إمكانية الضيافة لمدد طويلة حسب حاجة ورغبة المضاف.وتشكل منطقة الضيافة نسبة كبيرة من القصر للتعبير عن عادة الكرم بصفتها أهم الخصال العربية الأصيلة حتى في ذلك الزمن القليل المصادر .

ويحتوي قسم الضيافة على غرفة قهوة مع مشب ومجلس للضيوف (ديوانية) ومسجد، وجميعها تحيط بفناء، بينما تقع غرف النوم خلف مجالس الضيافة

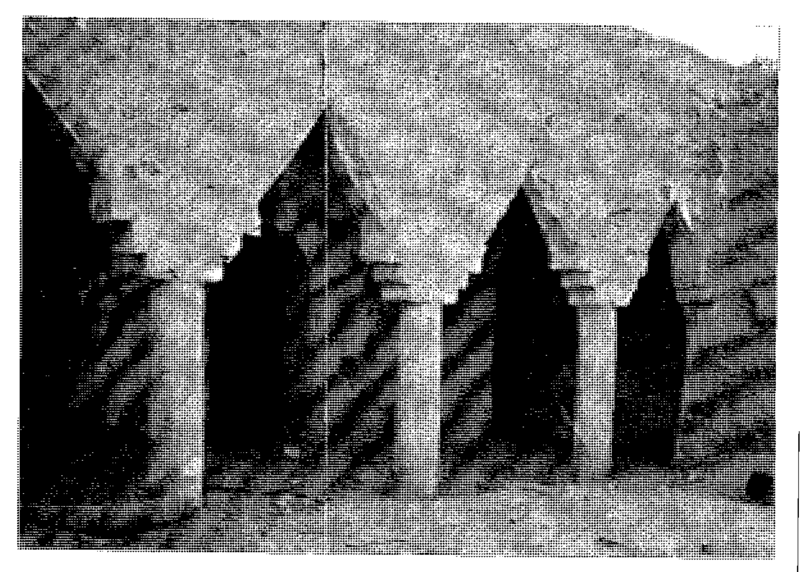




**شكل (٣٦):**

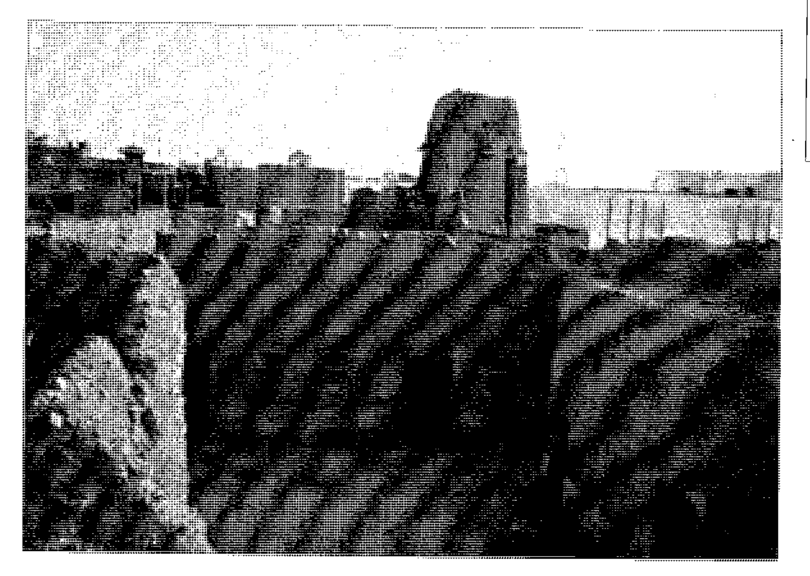
يشكل قسم الأمارة (الحكم) الواجهة الرئيسة للمجمع، الذي ينعكس على مدخله ومكوناته ومجلس الأمير والمشب.

وتفصل عنها بممر. ولهذا القسم مدخله الخاص؛ لذا يتكون هذا القسم من عناصر متكاملة الوظيفة من ناحية السكن والخدمات والصلاة والترفيه والراحة وغيرها (شكل٣٧).



**شكل (٣٧):**

منظر لقسم الضيافة، الذي ألحق فيما بعد بالمجمع، وهو يحتوي على عناصر خدمة متكاملة للنوم والجلوس والترفيه والصلاة، ويشكل نسبة كبيرة من المساحة الكلية للموقع.



يقع قسم الماشية والخيول في الجزء الجنوبي الغربي وربما أن توجيهه كان مقصوداً ليقلل من اتجاه الروائح مع هبوب الريح، وله بوابة كبيرة في السور الجنوبي تناسب طبيعة الماشية خاصة الخيول. ويشكل هذا الجزء عنصراً مهماً في تكوين وحياة سكان المجمع وزواره، حيث إنه يُكون مع بئر الماء والجصة والمسكن والمسجد والضيافة منضومة إيكالوجية تحافظ على نظام معيشي متلازم ومتكامل ومستقل (شكل ٣٨) .

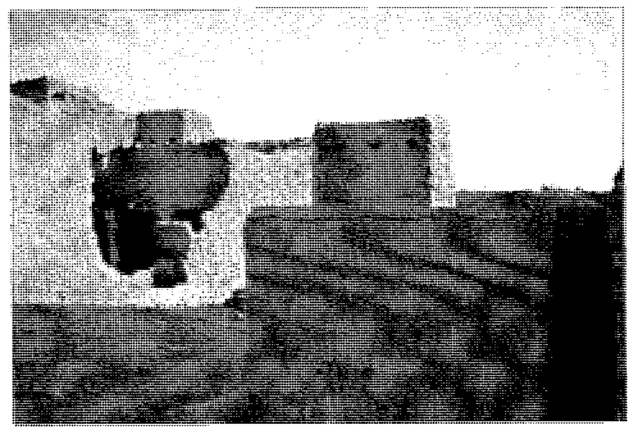


**شكل (٣٨):**

يكوّن قسم الماشية والخيول أحد أهم أجزاء القصر، لتوفير المصادر الغذائية والخدمات الأخرى كاستخدام الخيول للمواصلات السريعة.

وتحيط جميع الأقسام الأربعة السابقة بمنطقة خدمات عبارة عن بئر وخزان ماء (قرو) ماء للنظافة. ودورات مياه (شكل ٣٩). كذلك هناك عزل بين الأقسام المختلفة داخل المجمع، وذلك بوجود أسوار مرتفعة بينها. ويقع السجن في غرفة مستقلة عن جميع المباني وسط المجمع، ربما لتسهيل مراقبته .



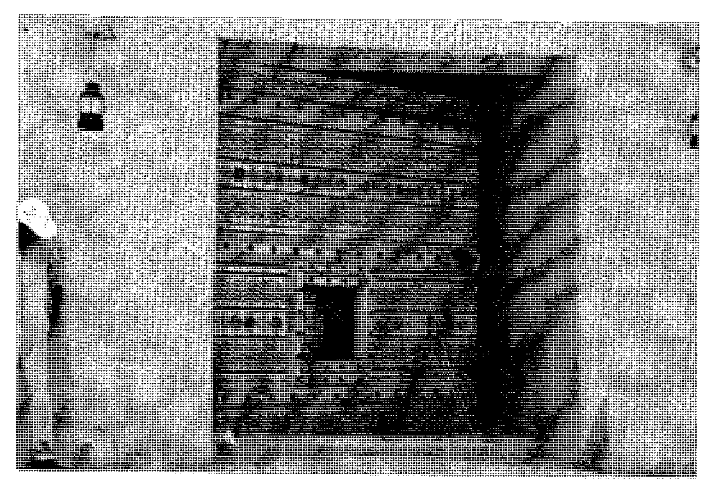


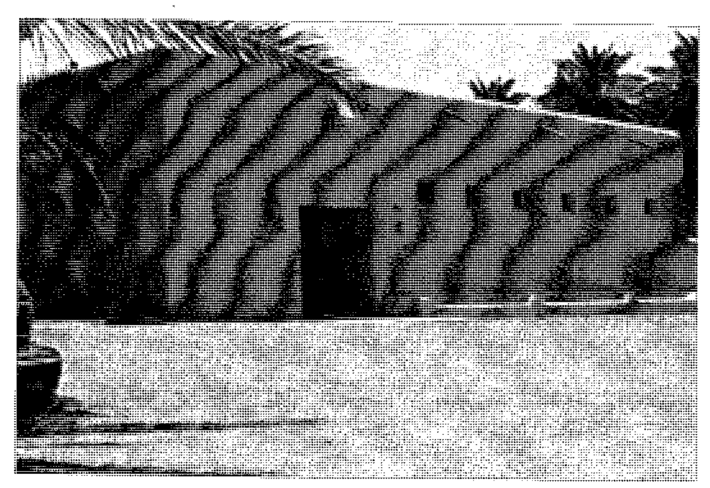
**شكل (٣٩):**

يحتوي قسم الخدمات على بئر وقرو ماء ودورة مياه، وهو يتوسط الأقسام الأخرى من المجمع.

## ٥-١-٥-العذيبــات - الدرعيـــة

العذيبـات مسكن زراعي يقـع في الجهـة الغربيـة من وادي حنيفـة التي استمـد اسمها من طبيعة مائها «العـذب». وهي ترمز لأهـم ملامح التراث العمراني السكنـي في نجـد، وتحـتوي على عناصره الأساسيـة (شكل ٤٠) .





**شكل(٤٠):**

منظر لمسكن مزرعة العذيبات من الخارج؛ ويعبر عن البساطة في تكوينه من دور واحد وعن الكرم بضخامة مدخله وتجميله.

لقد انحدرت هـذه المزرعـة بالأصل من فترة القرن السابع عشر الميلادي، حيث إن مقرن بن مقرن رئيس فخذ المقرن أحيى هـذه المزرعة واستمرت العناية بها من قبل عائلـة آل سعود وهي من الأسرة نفسها. وبعدها تعاقبت عليها فترات من الإحياء والهجران.واسم العذيبات في الأصل أطلق على إحدى المزارع الصغيرة الست المتجاورة التي ضمت فيما بعد من قبل المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود بعد أن اشتراها من آخر ملاكها في ذلك الوقت وهو ابن بيشان عام (١٣٥٢هـ) .

وقد طور الأمير فيصل بعض النواحي في العذيبات كإضافة مسجد إليها، وتوسعة بئرها، وتنويع أشجارها من الفواكه. ومع إدخال التقنيات الحديثة في ضخ المياه بكميات كبيرة باستخدام المضخات الحديثة، تضاعفت طاقة المزرعة الاستيعابية إلى عدة أضعاف، تمثل ذلك بزيادة النخيل والأشجار .

لقد تعرضت مباني مزرعة العذيبات لما تعرضت له أغلبية المباني التقليدية من الهجر وعدم الصيانة والاستخدامات الثانوية تحت وطأة التحضر العارم والاتجاه إلى كل ما هو جديد وغريب، حتى تملكها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود عام ١٤٠٧هـ .

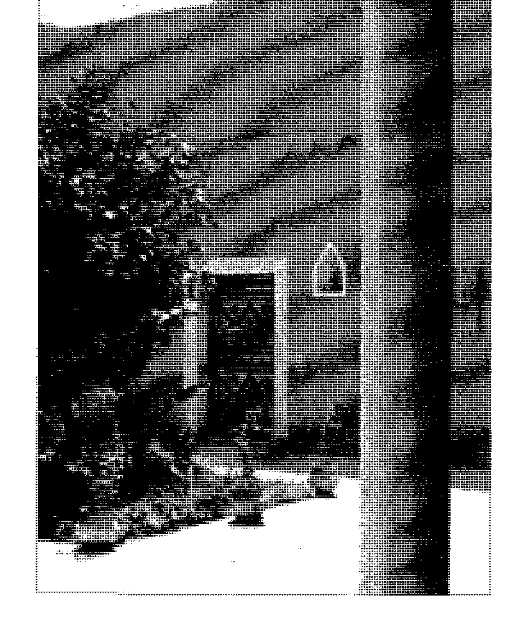
يتكون مجمع مزرعة العذيبات من مسكن ومسجد وبئر يستخرج منها الماء عن طريق نظام السواني لري أشجار النخيل والفواكه وبقية الأشجار، ومساحة المبنى ٦٠٠ م٢ تقريباً (شكل٤١) .

محال كبير (دواليب أوعجلات خشبية)
جبل سفلي
محال صغير
جبل علوي
دلو من الجلد أو المطاط.

المصدر: Facey, 1996

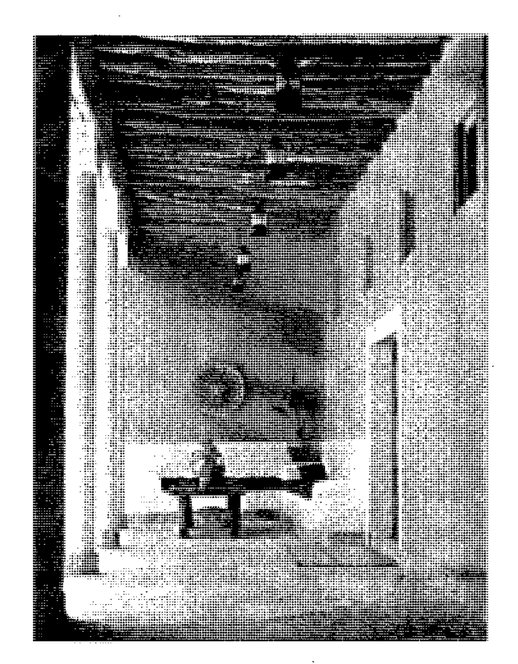
**شكل (٤١):**
يشاهد هنا نوعية نظام السواني للري المستخدم في مزرعة العذيبات.

ويعبر مبنى العذيبات عن بساطة وقوة المباني الزراعية، حيث إنه عبارة عن مبنى واحد ذي شكل رباعي متوازن من جميع الجهات، ويرتقع دوراً واحداً. ويتكون المبنى من عنصرين رئيسين: الأول حزام من الغرف يحيط بالعنصر الثاني وهو الفناء. وهذا التكوين يخلق شعوراً بالراحة النفسية والطمأنينة؛ نظراً لأنه يعكس المقياس الإنساني لكونه من دورٍ واحد، ووجود الفناء في قلبه، ويشكل المنزل جزيرة وسط بحيرة من النخيل تعمل على تلطيف درجة حرارة الغلاف الجوي المحيط به، وتنقي هواءه، وتمنحه منظراً جذاباً من جميع الجهات. لكن يبدو أن تأثير عامل الخصوصية فيه أقوى من عامل جاذبية المنظر، ويتضح هذا من أحجام الشبابيك الخارجية والتوجيه إلى الداخل (شكل٤٢) .

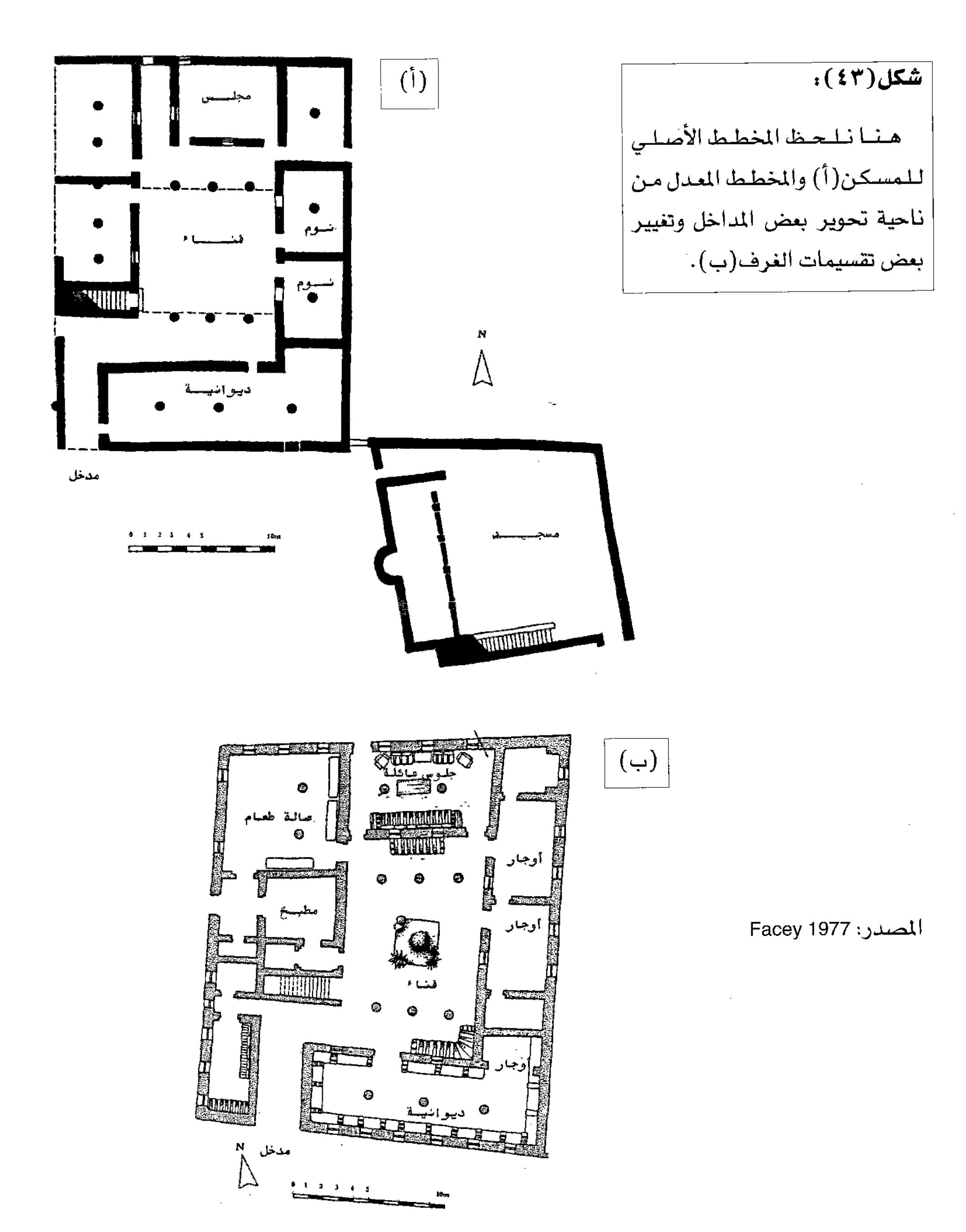


**شكل (٤٢):**

يشكل الفناء مصدراً لحماية الخصوصية والإضاءة الطبيعية وتكوين منظر داخلي، بالإضافة إلى أهميته في نظام التهوية. ويعطي تكوين الفناء واتصاله مع الممر ذي الأعمدة (مجبب، الرواق، سيب) متعة للنظر والتحرك من مكان إلى آخر.



ويتكون المسكن من سبع غرف أكبرها الديوانية التي تتصل بمدخل الضيوف الرئيس مباشرة، وهي شبه معزولة عن بقية الغرف. أيضاً يوجد مجلس عائلي كبير ويوجد بحوائطه شبابيك على مستوى علوي وسفلي لحضّ دورة الهواء الحار والبارد. كذلك يوجد به مطبخ، وغرفة طعام متوسطة الحجم للخدمة، وثلاث غرف أصغر للنوم (شكل٤٣) .



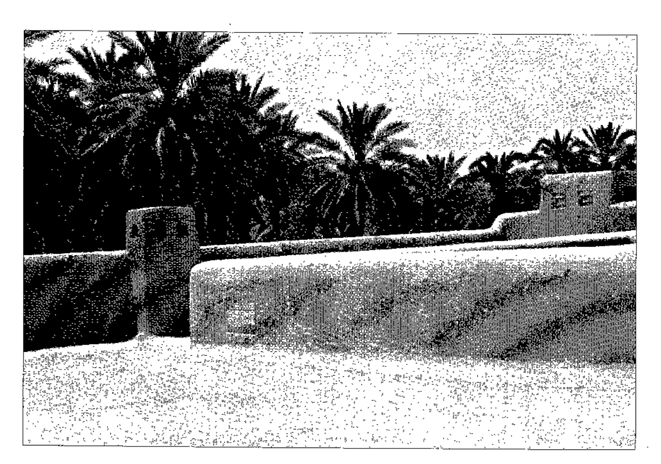

**شكل(٤٣):**

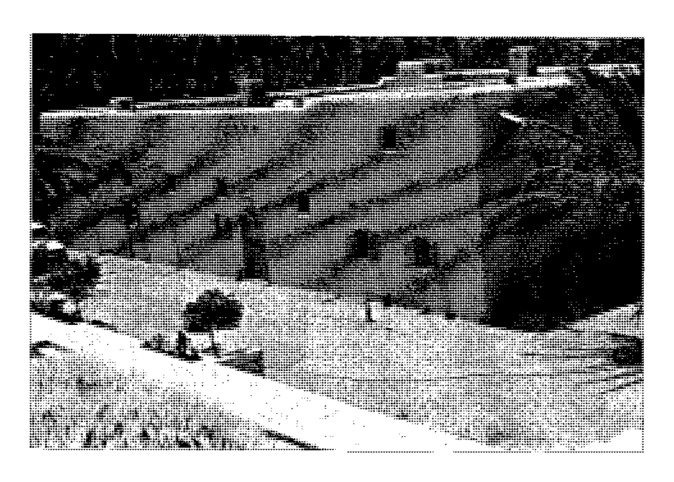
هنا نلحظ المخطط الأصلي للمسكن(أ) والمخطط المعدل من ناحية تحوير بعض المداخل وتغيير بعض تقسيمات الغرف(ب).

المصدر: Facey 1977

ويعبر المدخل، بضخامة بابه ونقوشه وألوانه، عن الكرم والترحيب والدعوة إلى القدوم، ويفتح داخله باب صغير (خوخة)، وهو كذلك يشابه أغلبية القصور الملكية التقليدية وقصور حكومة الملك عبدالعزيز رحمه الله التي بنيت إبان توحيد المملكة. كذلك أسلوب تصميم الكشافات أو السوامات (السماوات) تشابه الموجود في بعض القصور الأخرى كقصر المصمك (راجع شكل٤٠) .

أيضاً يلحظ استمرار التركيز على المقياس الإنساني والبعد الترفيهي حتى في السطح كما هو واضح من حوائطه المنخفضة التي تسمح بالاتصال البصري بجميع أجزاء المزرعة والجبال المحيطة بها (شكل٤٤) .





**شكل(٤٤):**

يتضح توجيه تصميم السطح مع الموقع، بحيث يسمح بالاتصال البصري للمناظر الخلابة من جميع الجهات. كما أن إحاطة المبنى بأشجار النخيل وغيرها تقلل من درجة حرارة الغلاف الجوي حوله.

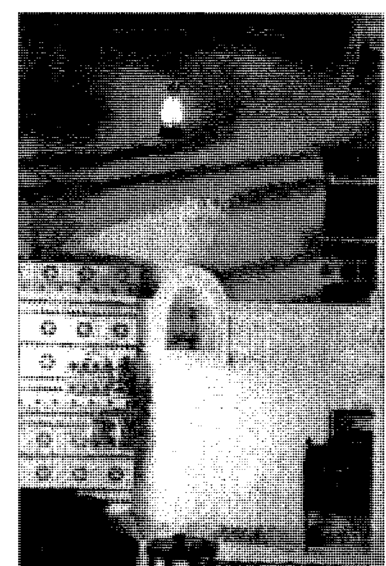
وقد تم إدخال بعض التعديلات على التصميم والمبنى الأصلي ليتواكب مع رغبات مستخدمه الحالي، والواضح من المقارنة بين المخطط الأصلي والمعدل أنه قد حورت بعض المداخل الخارجية والداخلية بحيث استحدث بعضها وأغلق بعضها

ووسع بعضها الآخر. كما جرى أيضاً تغيير في التقسيم الفراغي للغرف لإيجاد دورات مياه وأماكن خدمة (راجع شكل٤٣) .

وقد تمت الاستعانة بالأستاد (المعلم) عبدالله بن حامد للإشراف على عملية الترميم لمبنى مسكن العذيبات، وهو الخبير بذلك، حيث إنه عمل بالبناء بالطين منذ طفولته مع والده، وأشرف على ترميم قصر المصمك ومقر المربع .

ويبدو أن هناك تركيزاً للمحافظة على مكونات وشخصية المنزل الأصلية، فقد تم تدعيم طابع المبنى الترفيهي والترويحي عن طريق التركيز على الزخارف الجمالية وألوانها الرائعة على مسطحات الأبواب والشبابيك وحوائط الغرف المهمة التي تُشكل منظومة مستمرة ومتناغمة (شكل٤٥) .





**شكل(٤٥):**

تكوِّن الزخارف وألوانها المتناغمة بعداً مهماً للهدف من هذا المسكن الزراعي وهو تعميق الترويح والترفيه والمتعة.

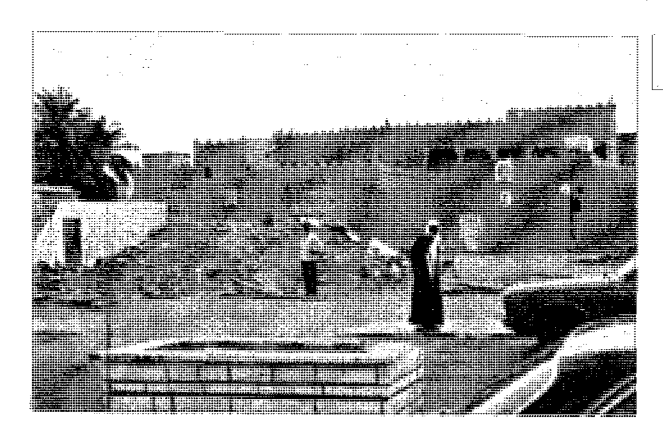
## ٥ - ٢-مساكن نموذجيـــة

لا تكاد أي بيئـة تقليدية في المنطقـة الوسطى تخلو من القصـور الصغيـرة أو المنـازل الكبيـرة التي تستخدم عـادة من قبـل أمـراء وأعيان وتجّار تلك البلـدات. وهي في الغالب تشابه المساكن العادية في هيكلها الوظيفـي، لكن أحجـام عناصرهـا تكون أكبـر وأكثـر تعـدداً وأدق وأكثر تطوراً من حيث التصميم والإنشـاء والتجميل، وفيما يلـي نماذج من بعض هـذه المساكن.

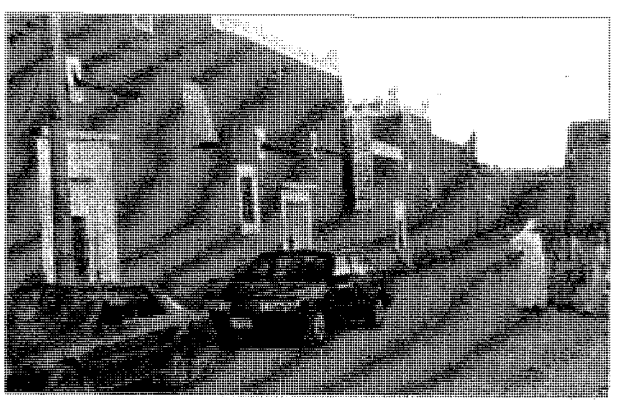
### ٥ - ٢ - ١-مسـكن الربيعــــة - الجمعـــــة [١]

أنشـأ هـذا المسكن الشيـخ عبدالرحمن بن عبدالله الربيعـة وهـو يُعبـر عن مكانـة صـاحبـه الاجتمـاعيـة، ومـقـدرتـه الاقتصـاديـة، ودوره في حيـاة الأسـرة، وممارسـة العـادات والتقاليـد العربيـة الأصيلـة: كالكـرم، وصيانـة الجيـرة، وغيرهـا. (شكل٤٦).

(أ)



(ب)

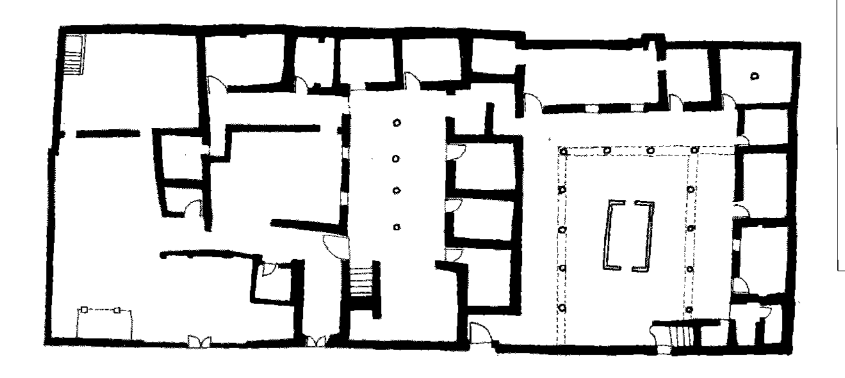


**شكل(٤٦):**
مسكن الربيعة، قبل الترميم (أ) وبعد الترميم(ب).

(١) الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٤١٦هـ.

وقد بنى المنزل المُعلم الكبير عبدالله الثميري ومعاونوه، واتبع في ذلك نظام العروق، بحيث يبني ثلاثة عروق ويتركها لمدة ثلاثة أيام ثم يعود لبناء ثلاثة أخرى. وقد تم الاعتماد على المواد المحلية، حيث يتوفر كثير من الجبال التي تُجلب منها الحجارة، وكذلك الأودية الكثيرة التي توفر المواد الطينية الجيدة .

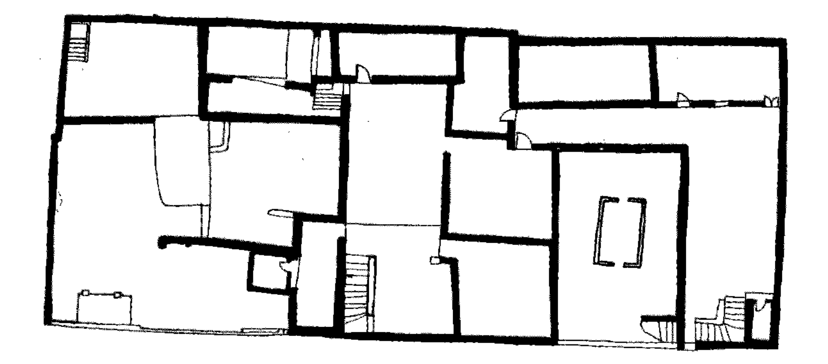
ويتكون المنزل من طابقين، وينقسم إلى ثلاثة أقسام للرجال والنساء والملاحق، وكلها تشترك في واجهة المسكن ؛لأنه يتخذ الشكل الطولي على الشارع وعلى الجهة الجنوبية الشرقية تقريباً. ويتسلسل تكوين المنزل بحيث يبدأ بقسم الرجال في الجزء الشمالي، ويليه قسم العائلة والنساء في الوسط، ويلي ذلك قسم الملاحق في الجزء الجنوبي(الخلفي). يحيط بغرف قسم الرجال فناء ويطل قسم النساء على فناء آخر تقع على بعض جهاته الملاحق. وتضم الملاحق المستودعات والمطبخ وأماكن الأعلاف وحظائر الماشية (شكل ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩) .



**شكل (٤٧):**

مخطط الدور الأرضي لمسكن الربيعة. ويتضح فيه المداخل الرئيسة (المدخل الشمالي، مدخل قسم الرجال، مدخل قسم النساء، المدخل الجنوبي).

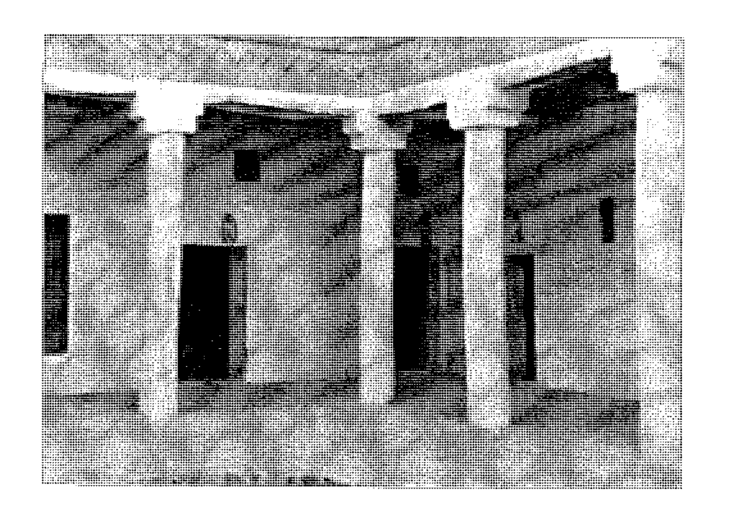
المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف «منزل الربيعة بالمجمعة» ١٤١٦هـ، المملكة العربية السعودية.



**شكل(٤٨):**

مخطط الدور الأول لمسكن الربيعة.

المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف «منزل الربيعة بالمجمعة» ١٤١٦هـ، المملكة العربية السعودية.



**شكل(٤٩):**

منظر للفناء في مسكن الربيعة.

ويتميز المنزل بواجهته الطويلة على الشارع بطول ٤٨م، وهي غنية بالزخارف الجميلة الطينية والجبسية على واجهات الجدران. وتحتوي هذه الحوائط على أشرطة زخرفية أفقية تمتد من بداية الواجهة حتى نهايتها وتقع في الثلث العلوي منها. كذلك يتخللها عناصر معمارية متعددة، وهي ثلاثة أبواب منقوشة بإبداع نجار ماهر، وهو الدوخي الذي أتقنها ومثّلها في لوحات زاهية الألوان. وتحتوي زخارف الأبواب على أشكال هندسية وطبيعية نباتية، وتحيط بهذه الأبواب براويز جبسية. وتضيف الطرمات (المشكوليات) والشرفات ومرازيم الأمطار أيضاً عناصر وظيفية وجمالية. وقد ذكرت دراسة مصلحة الآثار لمسكن الربيعة أن الطرمة عنصر مستمد أصلاً من العمارة العسكرية، حيث كان يوضع على أبواب القلاع والحصون. وتجميل المدخل والواجهة يبرز رغبة صاحب المنزل في التعبير عن شعوره تجاه الجيران والضيوف بالتقدير والترحيب [١].

فهذا المنزل يتكون من أنظمة معمارية وهندسية وفنية متطورة، تشمل التنسيق الفراغي بين الغرف والأفنية وربطها بالوظائف التي تخدمها. وتشكل الأبواب والشبابيك والزخارف المتنوعة والألوان تعبيراً متناسقاً ومتناغماً لنظام فني وجمالي ذي شمولية واحتفالية على جميع أرجاء المسكن، مما يضفي متعة على ساكنيه وزائريه. ويخدم أقسام المنزل نظام متكامل للصرف الصحي.

(١) الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٤١٦هـ.

### ٥ - ٢ - ١ - ١-قسم الرجـــــال

يتكون قسم الرجال من مدخل رئيس من الخارج، متصل بفناء مكشوف عليه أروقة تربط الغرف المختلفة، وهي غرفة المشب (القهوة) والمجلس وغرفة الضيوف والسجاد والنوم والمستودعات والحمام. وسنركز هنا على أهم عناصر هذا القسم وهما غرفتا المشب والمجلس .

### ٥ - ٢ - ١ - ١ - ١-غرفة المشــــب (القهـوة)

ويُعبر اسم هذه الغرفة عن وظيفتها وهي إشعال النار وعمل القهوة والشاي التي تُعتبر متعة لصاحب المنزل وضيوفه، ومن خلالها تمتزج وترتبط وتتوثق العلاقات الاجتماعية بمحيط يوحي بالبساطة وعدم الكلفة والكرم والتقارب. وهذه الغرفة تتخذ الشكل المستطيل وأبعادها ٦٠ر٤م طولاً و ١٠ر٣م عرضاً وتتخلل حوائطها شبابيك وخزانات وبيت الحطب والوجار والكشافة وأشرطة زخرفية ونقوش متعددة، تم وصفها في الجزء الخاص بالمسكن.

### ٥ - ٢ - ١ - ١ - ٢-مجلس الرجـــــال

يُعتبر المجلس أهم غرفة في المسكن، وقد حظي بعناية خاصة من حيث التصميم والحجم والتجميل. ويبلغ طولها ٥٠ر٨م وعرضها ٦٠ر٣م وسقفها مرتفع جداً حيث وصل ارتفاعه إلى ٣٠ر٧م. وقد اهتم كثيراً بزخرفتها ورونقها بطريقة مكثفة تجعلها الأكثر جمالاً وجاذبية في المسكن، حتى تتلاءم مع وظيفتها، فهي غنية بتنوع عناصرها وتفاصيلها وأبعادها الفراغية ويتخلل جدرانها فتحات ونقوش متناسقة ويُغطي الجبس كامل مسطحات حوائطها؛ ذلك لأنها مكان استقبال كبار الضيوف والزوار، وكذلك ينعقد بها مجلس أعيان مدينة المجمعة؛ لذا فهي مكان متميز يسهم في بروز شخصية هذا المسكن على مستوى المنطقة .

وتحتوي هذه الغرفة على خمسة مخازن، كل واحد منها متخصص لإيداع الكتب أو الأواني أو القهوة والشاي وغيرها، وقد غطيت أبواب هذه الخزانات

بزخارف نباتية دقيقة وبديعة ومتناسقة الألوان الحمراء والخضراء والزرقاء والصفراء والسوداء، ويتوسط كل دلفة خزانة مقبض من الصيني (الخزف)، وهو أيضاً مزخرف بالنباتات. ونستطيع أن نتصور أن هذا المسكن وأشباهه، ربما تكون حلقات الاتصال والاحتكاك بين الحضارات المختلفة، التي بدورها تطوِّر بعض المبادئ المكتسبة من بيئات أخرى، ويتم نقلها إلى البيئة المحلية تدريجياً. ونقصد بذلك نوعية الزخارف النباتية التي ربما اقتبست من بلدان إسلامية أخرى. والزخارف النباتية أيضاً تستمر من مادة إلى أخرى، فهي تغطي دلفات المخازن الخشبية ومقابضها الخزفية والزخرفات الجصية على مسطحات الحوائط وكورنيشات الخزانات. وهناك أيضاً ثلاثة أشرطة خطية تكسر حدة الجدران المرتفعة وتقسمها إلى ثلاثة أقسام لتكون أقرب إلى المقياس الإنساني المريح، وفي الوقت نفسه تحافظ على الرمز بالأهمية والسعة والرحابة .

### ٥ - ٢ - ١ - ٢-قسم النساء

يقع هذا القسم في وسط المسكن بين قسم الرجال وقسم الخدمات ويتم الاتصال مع قسم الرجال عن طريق ممر منكسر وجدار حاجب يعزل هذا القسم عن منطقة الاستقبال، وبالتالي يمنح قسم النساء الخصوصية المطلوبة .

### ٥ - ٢ - ١ - ٢ - ١-صالة العائلة والنساء

هي أكبر غرفة في المسكن وهي مستطيلة وطولها ١١ر٧٠م وعرضها ٦ر٢م وارتفاع سقفها ٤ر٢٥م، ويوجد في وسطها أربعة أعمدة حجرية أسطوانية باتجاهها الطولي، وهي ضرورية لحمل السقف نظراً لكبره. فهيئتها وحجمها وزخارفها تعبّر عن أهميتها في المسكن وكثرة استخدامها، فهي ربما تشكل قلب المنزل بالنسبة للعائلة. وبها أيضاً بعض الكتابات من آيات قرآنية واسم المعلم الذي بنى المسكن وتاريخ البناء، مما يؤكد أهمية هذه الغرفة .

### ٥ - ٢ - ١ - ٢ - ٢-غـــرف العائلــــــة

تـفـتـح هـذه الـغـرف عـلـى صـالـة الـعـائـلـة وهـي ستٌّ غـرف، تشـمـل غـرفـة الأرزاق والجصـة وأربع غرف نـوم. وغرفـة الأرزاق مستطيلـة الشكل وطولها ٥م وعرضها ٣م، وكانت تستخدم مستودعاً لتموينـات الدقيق والحبوب والخبز والزبد والألبان وكذلك البصل. أما الجصـة فهي من الغرف المهمة؛ نظراً لأنها تحتفظ بأهم عنصـر غذائي وهو التمـر، وهي أيضـاً مستطيلة بطـول ٩ر٣م وعرض ٢٠ر٣م، وبارتفاع ٧٥ر٣م، وكلها مغطاة بالجبس من الداخــل .

وغـرف الـنـوم الأربـع المتبـقـيـة مسـتـطـيـلـة الشـكـل ومـتـقـاربـة الأبـعـاد، ومـتـوسـط طولها ٧ر٣م وعرضها ٣م. ويحوي أغلبها ثلاث خزانـات داخل الحوائط لحفظ الكتب ووسائل الإنـارة وبعض الأوانـي الصغيرة وبعض الأوتـاد والزخـارف البسيطة التي يُعبّر بعضها عن نباتـات ثلاثيـة الأوراق كالبرسيم. كذلك يلحظ أن أغلبيـة هـذه الغـرف مستطيلـة وكذلـك بقيـة غرف المسكن نظـراً لتأثير الأفنيـة فيهـا .

### ٥ - ٢ - ١ - ٢ - ٣-غـــرف الخدمــــــة

تشمل غرف المطبخ والفرن ومستودع الطبخ وغرفة تبريد المياه، فغرفة المطبخ من أهم الغرف، حيث تستخدم في إعداد خبـز التنـور والطعام، وهي معزولة عن بقيـة الغرف نوعاً ما لدرء دخان الحطب والحرارة عن بقية الغرف خاصة في الصيف، وغرفة التبريد تستعمل لتعليق قِرَب الماء (المصنوعة من جلود الأغنام) لتبريدها، وكذلك عمل الزبد والجبن ونحر الخرفان .

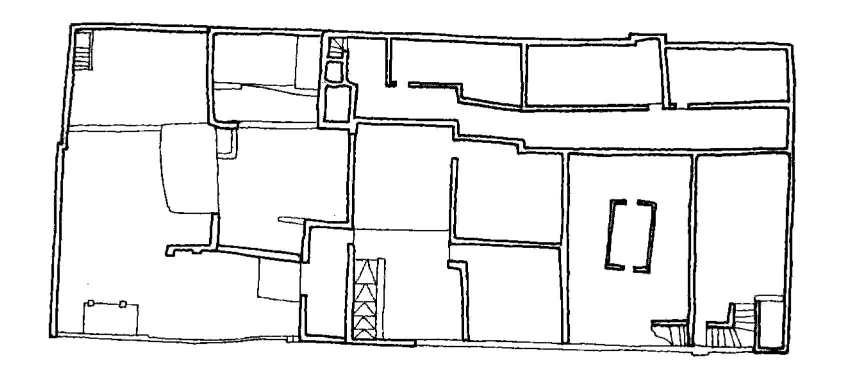
### ٥ - ٢ - ١ - ٣-ملحقــات المســكــــن

تـقـع هـذه الملـحـقـات في أقصـى المسـكـن بـالجزء الجنـوبي، ويـعـزلـهـا عـن غـرف الخدمة وقسـم النسـاء فنـاء، وتشمل هـذه الملاحق غرف العلف والحمام وأحواش الماشية وحديقـة، وكل هـذه ترتبط بمدخل خاص يتصل بالشـارع مباشـرة .

### ٥ - ٢ - ١ - ٤-الطابق الأول

يتصل الطابق الأول بالطابق الأرضي عن طريق سلمين، أحدهما ينطلق من قسم الرجال إلى السطح الخاص بهم، والذي تقع حوله غرفة الاستقبال العلوي وغرفتا نوم الضيوف وحمام. يغطيها رواق يُفصل عن سطح النساء بجدار، ويشغل السطح جزءاً كبيراً من الدور الأول (راجع شكل٤٨) .

ويتصل قسم النساء والعائلة أيضاً من الدور الأول بقسمهن في الدور الأرضي عن طريق درج خاص بهن إلى السطح، ويتكون هذا الجزء من مجلس النساء وغرفة نوم وحمام. ويقسم بقية السطح المكشوف إلى ما يشبه غرف نوم بدون أبواب أو سقف، وترتفع حوائطها ما يقارب ٧٥ر١م (شكل ٥٠) .



**شكل (٥٠):**

مخطط سطح مسكن الربيعة.

المصدر: المرجع السابق.

### ٥ - ٢ - ٢-مسكن البسام - عُنيزة [1]

من المعروف أن بناء المساكن في مدينة عُنيزة وتصميمها متطور، مقارنة بكثير من المناطق الأخرى من المملكة من ناحية المواد والتصميم. وهذا انعكاس للمستوى الحضاري والثقافي لسكان المدينة من ناحية سعة الاطلاع والاحتكاك بالحضارات الأخرى عن طريق التجارة والأسفار .

ومنزل البسام يُعتبر نموذجاً متكاملاً لمساكن أعيان عُنيزة، ما زال بحالته الأصلية والجيدة، خاصة أنه حدد من قبل إدارة الآثار بوزارة المعارف ليكون أحد

(١) ساعد المهندس عبدالعزيز البراهيم الزنيدي رئيس بلدية الرس في الحصول على المعلومات الأساسية المستخدمة في هذا الجزء.

المعالم الحضارية الوطنية؛ لذا فقد حظي بإدراجه تحت برنامج تم من خلاله ترميم الجزء المتهدم من السور وعمل صيانة كاملة للمحافظة على المباني وإيصال الكهرباء إليه، وروعي في توجيه أجزاء المسكن علاقاتها مع محيطها الخارجي من ناحية الشوارع والجيران والمزارع، التي تحكمها في العادة أعراف ومعايير ذكرها الأستاذ/ عثمان العضيبي[1] ، وتشمل ما يلي:

(١) يجب على من أراد البناء بجوار مبنى سابق أن يتلافى إحداث أضرار بمبنى جاره .

(٢) أن تكون الجهة المطلة على الجار خالية من الفتحات أو الشبابيك لضمان خصوصية الجار .

(٣) إلزام الجار الجديد بدفع مساهمته من تكاليف الجهة أو الجهات بينه وبين الجيران الذين سبقوه في الموقع، وهذه تُسمى (المباناة) .

(٤) إمكانية الاختلاف في ارتفاعات أدوار المباني وتعددها بين الجيران، مع المحافظة على الخصوصية .

وقد صُمم هذا المسكن لعائلة تقليدية مركبة من الوالدين وابنين متزوجين وأبنائهم (أحفاد) وثلاث بنات.

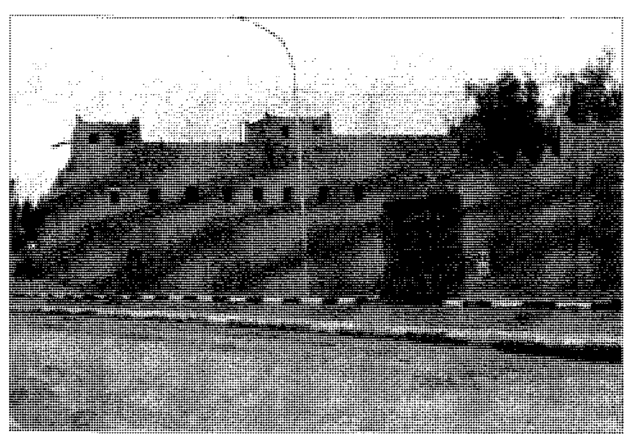
## ٥ - ٢ - ٢ - ١-شخصية المسكن

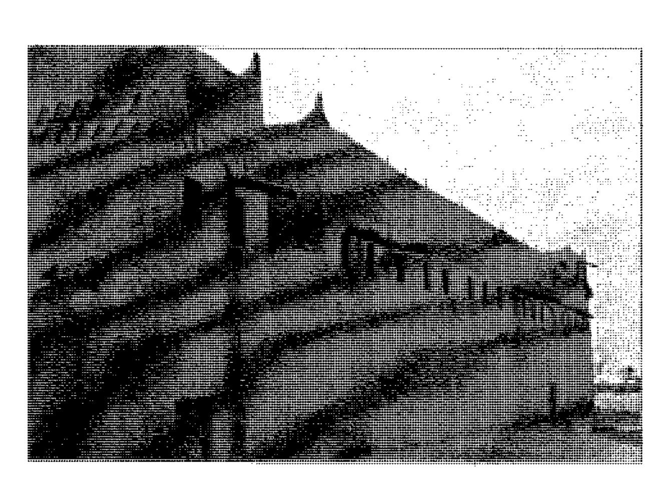
قام بإنشاء هذا المسكن الشيخ/ عبدالرحمن المحمد البسام بالتنسيق مع الأستاذ (المعلم) المنفّذ/ عبدالله السليمان العيوني عام ١٣٧٧هـ، ومساحة الأرض ٣٤٧٢م٢ ومساحة المبني ٢١١٢م٢، وأغلبها دور واحد، ما عدا جزءاً واحداً يوجد فيه ثلاثة أدوار بمنطقة المقلّط الكبير، فوقها مكتبة في الدور العلوي (الأول) وخَلوة تحت سطح الأرض وجميعها في الموقع نفسه، وتتصل بدرج مستمر بين الأدوار الثلاثة. واستغرق بناء المسكن سنة تقريباً من قبل المعلم وأربعين عاملاً. وقد

---

(١) عثمان العضيبي١٤١٨هـ؛ Alnowaiser 1977.

اختار المالك والأستاذ التصميم السائد في ذلك الوقت في مدينة عُنيزة من ناحية الأقسام والأجزاء والغرف والتوجيه والأفنية ومواد البناء وأسلوبه. ومن أبرز صفات هذا المسكن التكامل والتخصص في احتياجات سكانه اليومية والموسمية، والتلازم بين أجزائه المختلفة من حيث استقلاليته بمصادره ووظائفه، والترابط بينها من ناحية المحافظة على علاقة مستديمة خلال دورة حياة ساكنيه (شكل٥١) .





**شكل(٥١):**

مسكن البسام الرئيس - عنيزة .

وحيث إن هذا المنزل من المساكن التقليدية المتأخرة التي شُيدت قبل ظهور الفلل المسلحة في مدينة عُنيزة فقد أدخل عليه بعض التحسينات، كإيجاد نظام صرف صحي (مجاري) داخلي وذاتي، وزيادة الحمامات ومجلس نساء وبركة (مسبح) وحديقة وغيرها .

## ٥ - ٢ - ٢ - ٢-التصميم والمكونــــات

يُعبر تنظيم هذا المسكن عن وظائفه المختلفة المتمثلة في تقسيمه إلى أقسام وأجزاء وعناصر متدرجة وموجهة للاستخدامات المتوقعة وبإطار تتفاعل وتندمج فيه الخصوصية والعوامل المناخية، والعادات والتقاليد الحضارية والاجتماعية لهذه البيئة، فمثلاً هناك وضوح في التوجيه العام للتصميم، بحيث إن هناك تنسيقاً وتوازناً بين خصوصية الدار وحرمتها، عن طريق الأفنية والرغبة في الانفتاح والاتصال بالجيران والضيوف عن طريق المداخل والمجالس الرئيسة للرجال .

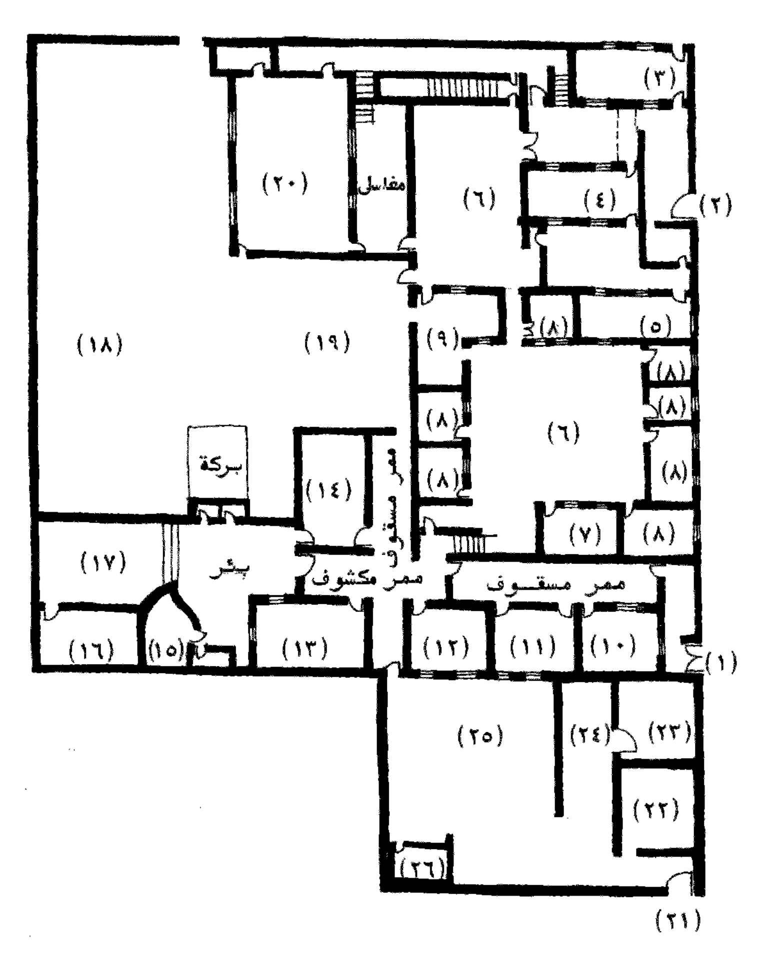
ينقسم المنزل إلى قسمين رئيسين: أحدهما للرجال (الضيوف)، والآخر للعائلة، والأخير هو الأكبر، وينقسم أيضاً إلى مناطق أخرى. والعلاقات بين مناطق المنزل متفاوتة حسب قوة العلاقة؛ حيث نلحظ أن أعلى درجة عزل هي بين قسم الرجال وقسم العائلة، بينما هناك علاقة قوية بين منطقة العائلة ومنطقة الخدمات كالمطبخ والمخازن الغذائية مع عزل منطقة الدبش (الحيوانات) عن بقية المسكن.(شكل ٥٣،٥٢) .

يقع قسم الضيوف من الرجال بالقرب من الشارع الرئيس ويتصل به باب الرجال، ويتكون هذا القسم من مجلسين وأفنية ودورة مياه وأحواض ومدخل رحب (رواق). حيث يتصدر هذا القسم القهوة «مجلس الرجال» وأبعادها ٥ر٧م × ٥ر٣م، ونظراً لأهميتها تحيط بها أفنية من جميع الجهات تقريباً، ولها أبواب جذابة مزخرفة بألوان جميلة زاهية ومتناسقة، وتحتوي أيضاً على «كمر» لأواني القهوة ووجار «مشب» ومكان للحطب ومخزن صغير. وهناك أيضاً مجلس للرجال صيفي أبعاده ٥ر٩م × ٥ر٣م، وهو أكبر غرفة في المنزل وله شبابيك عديدة تفتح على أفنية مجاورة .

وقسم العائلة - وهو الأكبر - يتكون من عدة أجزاء (مناطق) هي معيشة العائلة والخدمات والترفيه، وكذلك منطقة الدبش. وتُعتبر منطقة معيشة العائلة أهم منطقة في المنزل من حيث درجة الاستخدام، ونوعيته وأهميته، وتتكون من عدة عناصر تشمل مجلساً خاصاً لاجتماعات الأسرة وغرف النوم، وكلها مدعّمة بالأفنية والأروقة. كما توجد غرفة كبيرة تحت سطح الجزء الرئيس من المسكن تُسمى

**شكل (٥٢):**

مخطط الدور الأرضي لمسكن البسام.

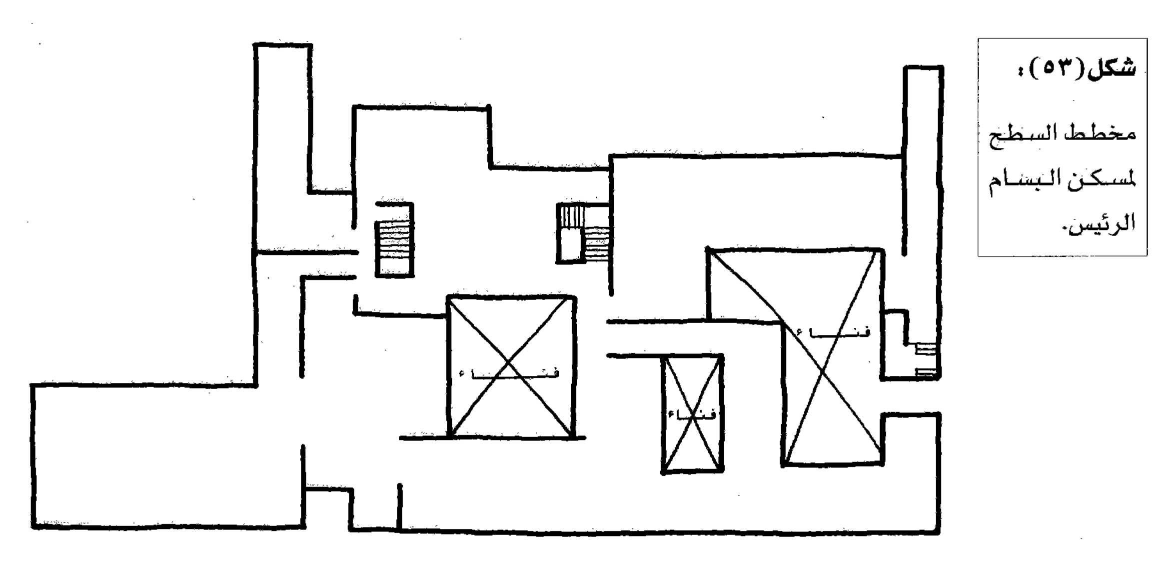



المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، القصيم، وم.عبدالعزيز الزنيدي.

١- مدخل العائلة الرئيس.
٢- مدخل الضيوف.
٣- مجلس الصيف الخاص بصاحب السكن.
٤- مجلس رجال.
٥- قهوة مختصرة على بعض الزائرين.
٦-منور (شمسة).
٧-مجلس العائلة (غرفة تلفزيون) (المجلس الشتوي)
٨- غرفة نوم.
٩- غرفة نوم رئيسة لصاحب المسكن(الأكبر سناً)
١٠- مستودع آزراق.
١١- مجلس نساء.
١٢- مطبخ حديث.
١٣- مطبخ قديم.
١٤- مجلس العائلة الصيفي.
١٥- مستودع غسيل وغرفة كوي.
١٦-صفة القبة.
١٧- قبة.
١٨- حديقة.
١٩- منام الصيف مكشوف.
٢٠- المقلط الرئيس.
٢١- مدخل خاص بالمواشي«الأدباش».
٢٢-صفة البقرة.
٢٣- صفة العلف.
٢٤- مراح البقرة.
٢٥- حوش الأرانب والدجاج.
٢٦- غرفة غسيل.

«الخلوة»، والاتصال بها يكون عن طريق درج متصل بالفناء، وهذه لها دور حيوي في إيواء أفراد العائلة في الفترات ذات الحرارة أو البرودة الشديدتين من الطقس الصحراوي.

**شكل(٥٣):**
مخطط السطح لمسكن البسام الرئيس.



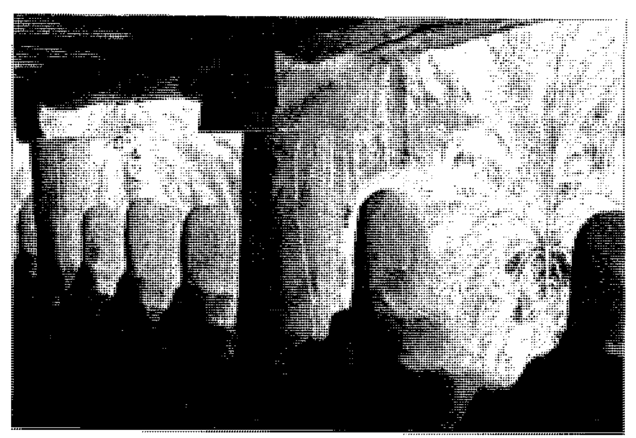

المصدر: الإدارة العامة للآثار والمتاحف - القصيم، م. عبدالعزيز الزنيدي.

يلحظ ارتباط قسم العائلة بمطبخين، أقدمهما معزول لاعتبارات سبق ذكرها وذات علاقة بأسلوب الوقود والطاقة والتصريف، بينما أثرت الأساليب الحديثة في مرافق الكهرباء والتصريف الداخلي من اقتراب المطبخ إلى منطقة العائلة المتمثل في إيجاد المطبخ الثاني الحديث. ويقع مجلس النساء الرسمي بالقرب من باب العائلة من جهة والمطبخ من جهة أخرى، وهو كبير نوعاً ما، وأبعاده ٣م × ٧م. ويلتصق بمنطقة الخدمات المطبخية، الجزء الخاص بالترفيه والراحة والنظافة، ويتكون من بئر ماء وقرو[1] وبركة (مسبح) وحمام كبير وقبة كبيرة مفتوحة من جهة واحدة. وتطلّ منطقة العائلة والخدمات والمنطقة الترفيهية على حديقة كبيرة توفر المناظر الجميلة لغرف هذه الأجزاء. ومن أهم الأشجار التي كانت موجودة في الحديقة النخيل والأترنج والبرتقال والخضار. وغالباً ما يُمثل حوش الماشية جزءاً مدعماً للمسكن

(١) القرو: هو خزان ماء منحوت من الصخر ومستطيل الشكل يعبأ بالماء المستخرج من البئر، ويوجد بأسفله صنابير تغلق بقطع قماش، لتسهيل عمليات النظافة.

حيث يؤوي الحيوانات كالبقر والغنم والدواجن الأليفة المنتجة لأهم المصادر الغذائية كالحليب واللبن والزبد والزبادي والسمن ولحوم الضأن والدجاج والبيض. وتوفر الماشية السماد المطلوب لنمو النخيل والخضار والفواكه. ويشكل بُعداً مهماً في العلاقة المتلازمة بين احتياجات السكان المختلفة والوظائف التي يوفرها المسكن. وتحيط أجزاء المسكن الرئيسة بفراغ رئيس مفتوح، عبارة عن حديقة كبيرة. (شكل٥٤).

وكثرة الغرف وتنوعها من حيث الحجم والمساحة والسقف والفتحات والتوجيه والتصميم تعبر عن استخداماتها المختلفة المتخصصة والطاقات الاستيعابية المتوقعة، حيث يتكون هذا المسكن من «٣٠» عنصراً أساسياً من الغرف المتخصصة، التي تقوم بأدوار تتكامل مع بعضها لخلق منظومة متلازمة لتوفير بيئة معيشة مريحة لسكانه. ويمكن تصنيفها إلى «٥» غرف في منطقة الضيوف، و «١١»غرفة في منطقة المعيشة وخدمات العائلة، و «٨» غرف في منطقة الراحة والنوم، و «٦» حظائر في منطقة الماشية (راجع شكل ٥٢) .





**شكل (٥٤):**

مناظر لحديقة مسكن البسام الكبيرة، التي تحيط بها أجزاء المنزل.

ومن أبرز العادات التي تُمارس في هذا المسكن الاجتماعات بين صاحب المسكن وضيوفه من الرجال بعد صلوات الفجر والظهر والمغرب، بينما يكون اجتماع النساء أسبوعياً وفي المناسبات. وخلال موسم جني التمر أيضاً تجلس نساء الأسرة مع بعض مساعداتهن لتنقيته. وعند عمل العبيط «معجون التمر» يكون أفراد الأسرة ومساعدوهم حلقة، ويتخلل العملية طقوس اجتماعية ترفيهية وسمر .

بالإضافة إلى ما ذُكر سابقاً عن علاقة التصميم بدورة حياة السكان، يلحظ ما يلي :

- وجود مجلس العائلة الخاص بين غرف النوم حول فناء مغلق من جميع الجهات، وهو يُعبّر عن الخصوصية المتكاملة، وعن انتظام دورة الحياة العائلية وترابطها لجميع أفرادها من ناحية النوم والاستيقاظ والمعيشة في أوقات موحدة، بينما بالمقارنة هناك تفاوت في جداول أفراد العائلة الحديثة وانحسار الوقت الذي يلتقي خلاله أفرادها، ومن ثم انعكس ذلك على تصميم المساكن الحديثة .

- حُسن مراعاة التصميم للتوازن بين قرب مقلّط الضيوف من المطبخ ومنطقة الخدمات واتصاله وسهولة الوصول إليه من منطقة الضيوف (الرجال) مع المحافظة على حرمة الدار .

- وجود غرف موسمية للعائلة مثل مجلس شتوي يقع بمكان دافئ محاط من أغلبية جهاته بغرف أخرى ومجلس صيفي مفتوح للتهوية والإضاءة ومحاط بأشجار .

- ارتفاع أسقف بعض الغرف لاحتمال توسع مستقبلي عن طريق إضافة دور آخر وكذلك للتهوية .

يلحظ دور العناصر الإنشائية في تصميم الغرف وحجمها، والمثال على ذلك محدودية عرض الغرف، الذي لا يتعدى غالباً ٣٫٥م، ونادراً ما يكون ٤م؛ نظراً لعدم وجود أخشاب محلية بطول أكثر للكمرات والأسقف. لكن في بعض القصور الأكبر والأحدث يستخدم الأستاد صفاً من الأعمدة بالوسط ويركب عليها كمرة

لكي يحصل على عروض أكثر يصل إلى ٦م كما هو الحال في منزل الربيعة في مدينة المجمعة، وربما كان ذلك متأثراً بقربها من الرياض التي تستخدم في قصورها هذا النظام الإنشائي .

### ٥ - ٢ - ٢ - ٣-الزخرفة

الجماليات والزخارف الموجودة في مسكن البسام لا تختلف عن تلك التي تزين أغلبية مساكن مدينة عُنيزة، وهي تشمل زخارف جصية وطينية وخشبية بألوان زاهية ومتناسقة .

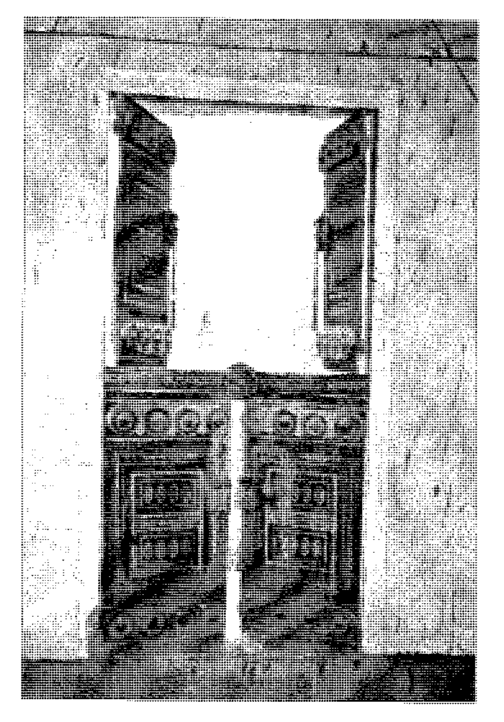
وقد صنّف الأستاذ/ عثمان العضيبي [1] هذه الجماليات على أربع فئات، هي: الزخرفة المنقوشة على الخشب (الأبواب والشبابيك)، والفتحات المثلثة، ذات الشكل المفرغ، والأفاريز (الحلي الخارجية)، والشرفات العليا (عرائس السماء)، وقد وضّح هذه الفئات كما يلي:

### ٥ - ٢ - ٢ - ٣ - ١-النقش على الأبواب والشبابيك

ويكون النقش على الأبواب والشبابيك، المعمولة من خشب الأثل المنتشر في المنطقة، وتكون هذه الأبواب عادة في المساجد والبيوت. ويقوم الفنان بالنقش على الخشب بواسطة التلوين بأصباغ محلية مكونة من الألوان: الأحمر والأخضر والأزرق. وينفذها النجار مبتدئاً بتحديد الخطوط ثم يقوم بغرس ريشة في الألوان التي يريدها ثم يمرر الريشة على المساحة المحددة، وبعض الأحيان يستعمل النجار أصباغاً مستوردة من الهند وإيران .

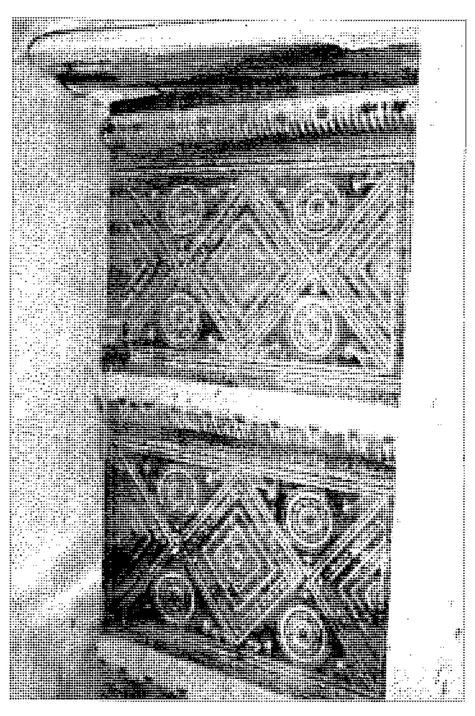
أما عناصر الزخرفة والنقوش فهي تنحصر في وحدات هندسية مكونة من خطوط ومساحات ونقاط تمثل دوائر ومثلثات وأشكالاً كعناقيد العنب، وأشكالاً دائرية وأشكال مربعات صغيرة، ويفصل بين هذه الأشكال خطوط تأخذ في الغالب اللون الأخضر والأحمر، وهذه النقوش تخلو من الرسومات الآدمية والحيوانية (شكل٥٥) .

(١) عثمان العضيبي، ١٤١٨هـ.



**شكل (٥٥):**

تظهر النقوش على الأبواب والشبابيك.



**٥ - ٢ - ٢ - ٣ - ٢-الفتحات المثلثية**

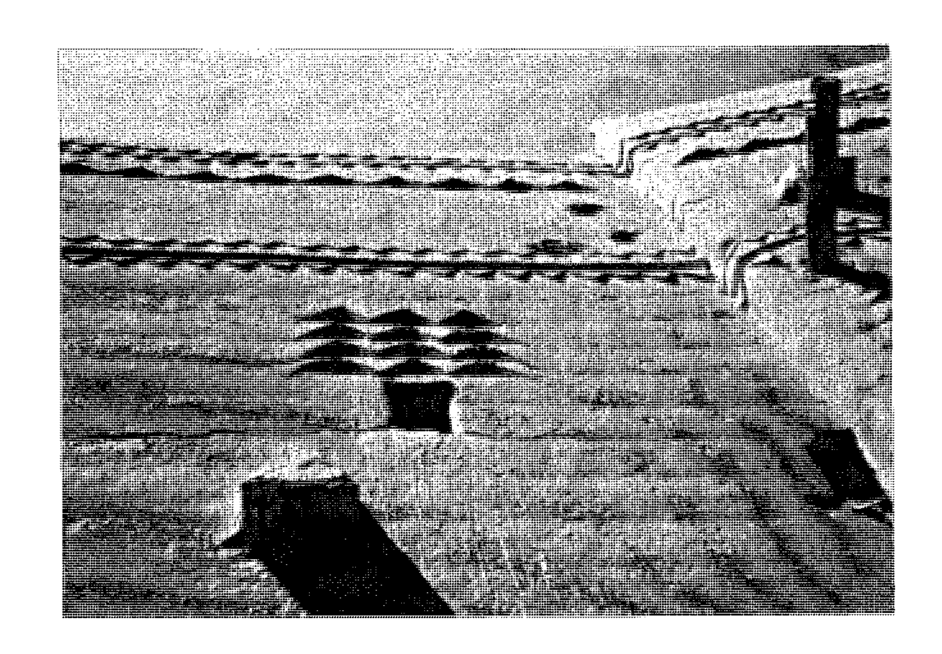
**وهي نوعان :**

أ) الفتحة الفارغة، وتُسمى (فرجة)، وهي للإنارة والتهوية مع تحقيق الناحية الأمنية .

ب) الفتحة المغلقة، وتُسمى (الروزنة)، وتستعمل لحفظ الأشياء المهمة كي ترفع عن الأرض. وتكثر هذه الفتحات في المنازل القديمة، وهي عنصر معماري شائع في منطقة نجد عامة والقصيم خاصة. (شكل٥٦) .

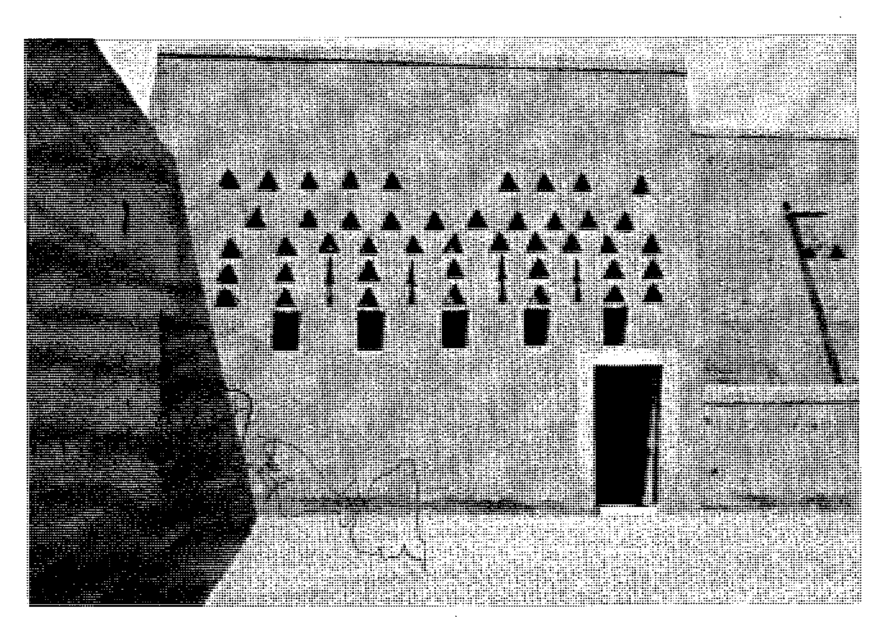
## ٥ - ٢ - ٢ - ٣ - ٣ الأفاريز المحلية والخارجية

توجد هذه الأفاريز في كثير من البيوت الطينية في المنطقة، وأكثر ما نشاهدها على أعلى الحوائط الخارجية للبيوت الشعبية القديمة، وهو إفريز مزخرف بارز

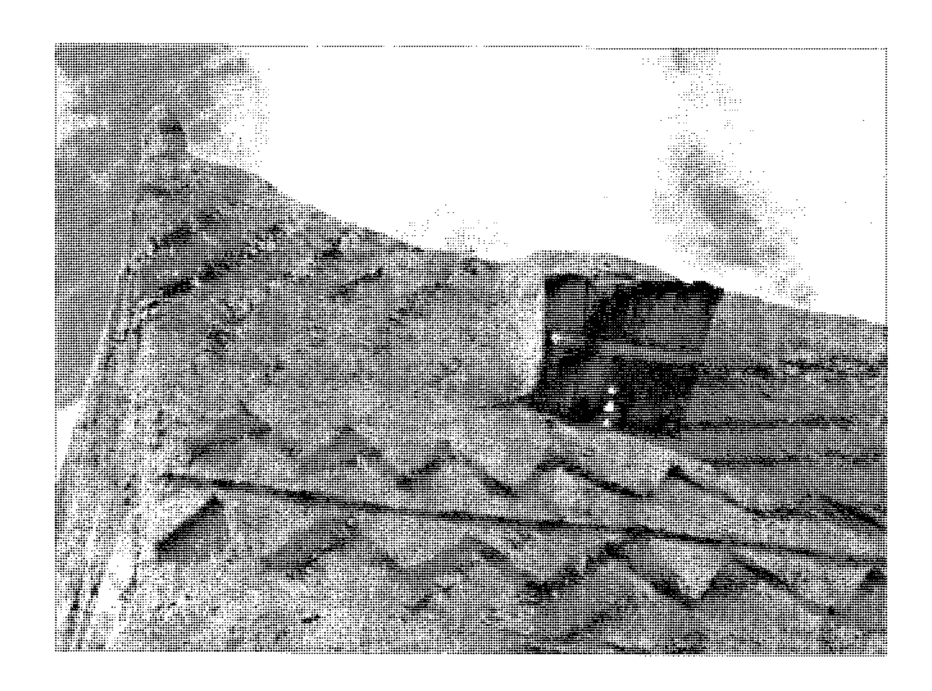


**شكل (٥٦):**

الفتحات المثلثية.

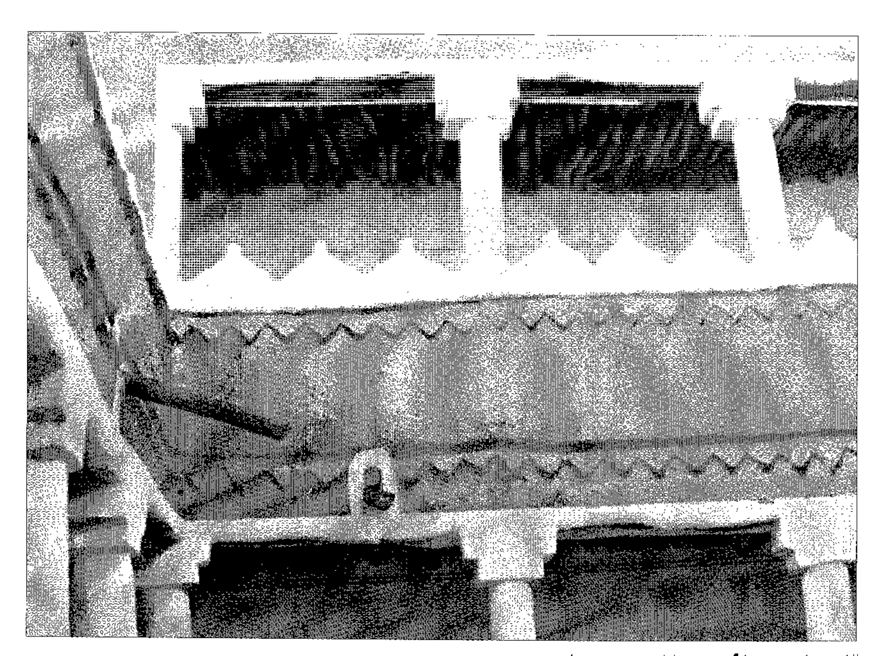


يُحدد عـادة مستويـات الأدوار في البيـوت، ويكون على شكل سلسلة من الأشكال المثلثيـة الظاهـرة، وأحيانـاً على شكل الرقم (٧)، وهي مفيـدة عملياً حيث تتجمع ميـاه الأمطـار فـي أخدودهـا الأفقـي وتصـب من نهايتـه البـارزة، مبتعـدة عن الجـدار، أو تكـون بالعكـس فتظهـر على شكـل الرقم (٨)، وتمنـع في هـذه الحالـة ميـاه الأمطـار من أن تبلل الجـدار الطينـي، وذلـك بتصريفهـا للميـاه من سطـح الجدار. (شكل٥٧) .



**شكل (٥٧):**

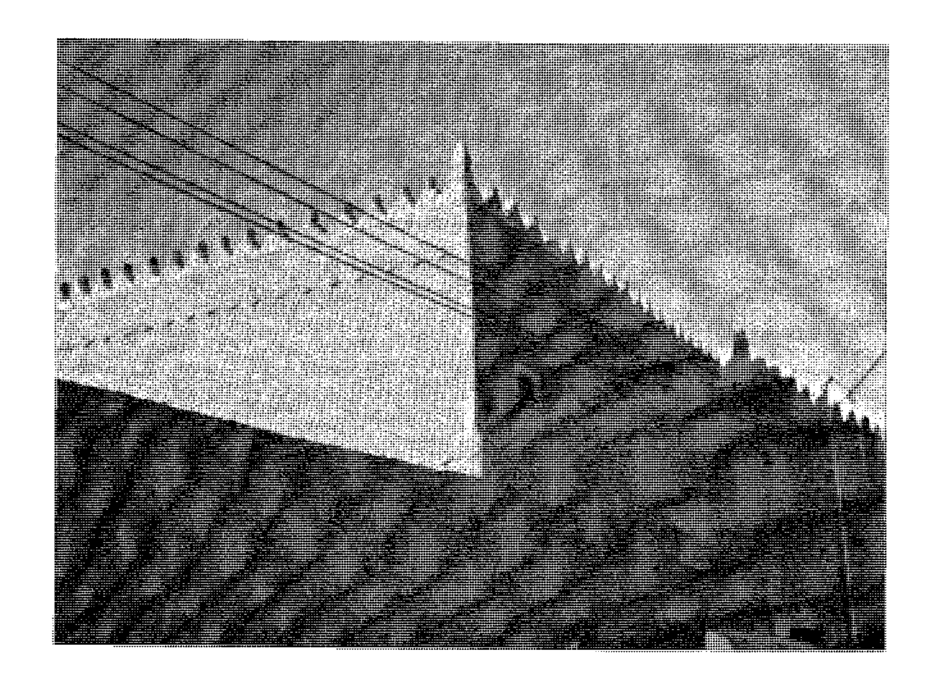
الأفاريز الخارجية.



## ٥ - ٢ - ٢ - ٣ - ٤-عرائس السماء

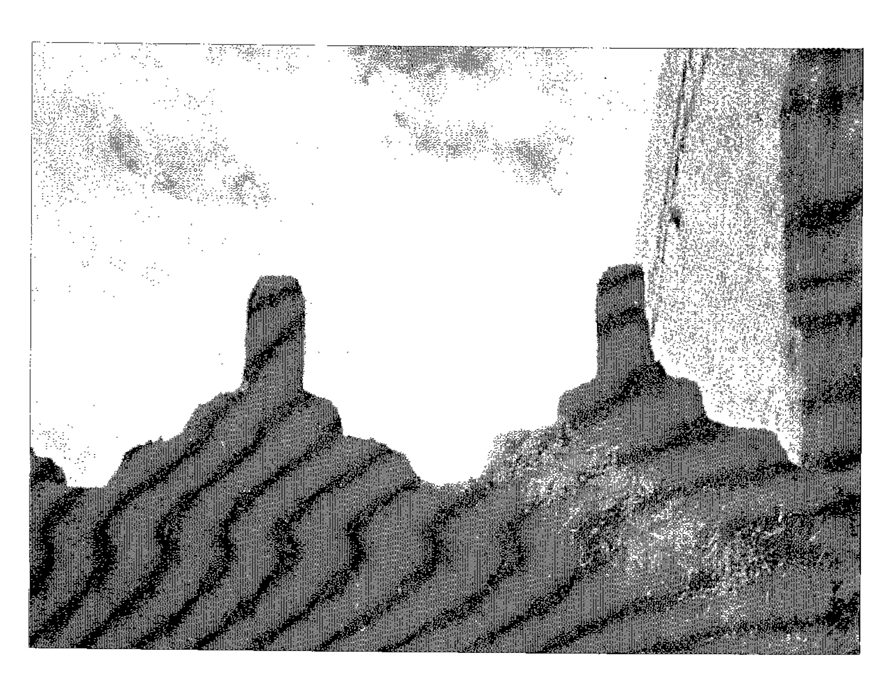
توجد هذه الشرفات في أعالي الحيطان، وهي منتشرة في أغلبية مناطق المملكة، وهي غالباً ما تكون معمولة من الطين أو معمولة من الحجر، وهي عنصر زخرفي وعملي في الوقت نفسه؛ لأنها تحمي قمم الجدران من مياه الأمطار. ولو تتبعنا أصل هذا العنصر الجمالي لوجدنا أول ظهوره في بوابة عشتار «قصر بابل». وقد

أتُبع هذا النـوع في الجزيـرة العربيـة خاصـة في مساجدهـا. وارتبطت الشرفات بالبيوت والمساجد في المنطقـة حتى سميت عرائس السمـاء، وغالبـاً ما تُكسى هذه الشرفات بالجص أو الإسمنت (شكل٥٨) .



**شكل (٥٨):**

عرائس السماء.



# ٦

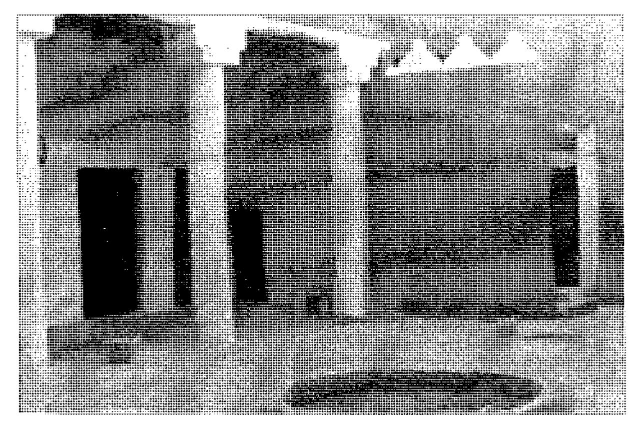
# الخصائص العامة للمساكن التقليدية (الدور)

التكوين العام
قسم الرجال
قسم العائلة والنساء
القسم الخلفي
الزخارف

# الخصائص العامة للمساكن التقليدية (الدور)

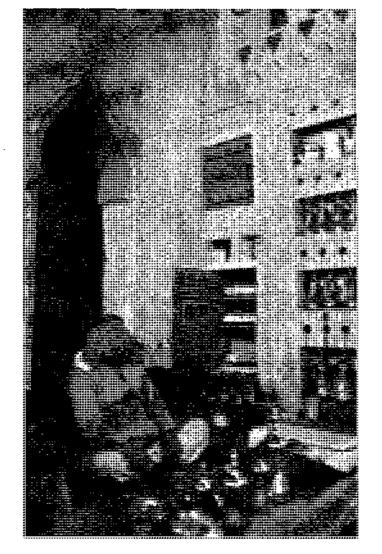
## ٦ - ١-التكوين العـــام

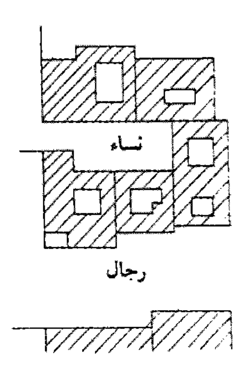
يعكس المسكن التقليدي التوازن المطلوب بين الخصوصية لأصحاب المنزل، والعمومية/ الاتصالية مع الجيران، فمثلاً السكن عادة موجه إلى الداخل حول الفناء، لحماية خصوصية المرأة وإعطائها الراحة والحرية في التخلص من مراقبة الآخرين. وكذلك بالتحرك إلى الخارج، نجد مدخل النساء يشكل مع مداخل النساء الأخرى للجيران فراغاً شبه خاص حول شارع غير نافذ أو فناء صغير لتجمع نساء الجيرة مع مراقبة الأطفال خلال اللعب. ويكوّن مدخل الرجال والمجلس عنصرين بارزين أيضاً للجيران، من حيث الحجم والتجميل والانفتاح والبروز غالباً على شارع نافذ، ويرمزان للكرم ودعوة حسية إلى اللقاء مع الجيران (شكل٥٩) .

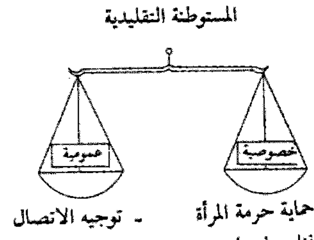


**شكل(٥٩):**

يعبر المسكن التقليدي عن التوازن بين خصوصية حرمة الدار عن طريق الفناء والشارع غير النافذ والاتصال مع الجيران، عن طريق انفتاح منطقة الضيوف ومجلسهم.



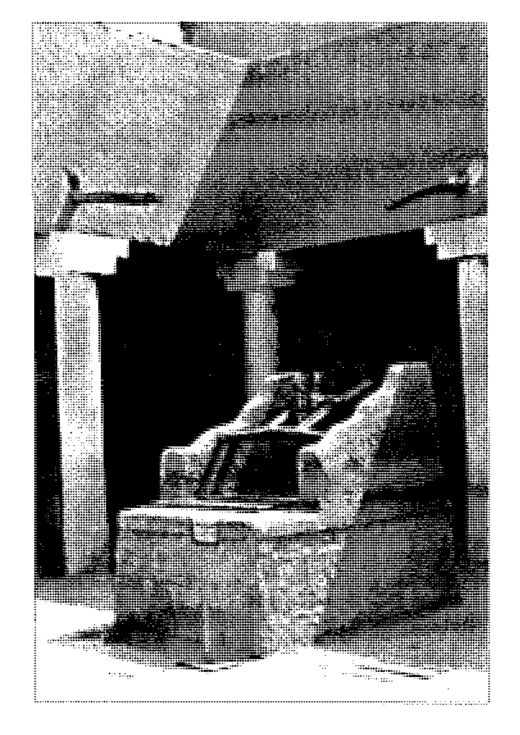



- حماية حرمة المرأة (فناء، فتحات)
- فراغات خارجية خاصة ومحمية (سد، ساحة، مدخل نسائي)

- توجيه الاتصال مع الجيران (مجلس الضيوف وانفتاحه على الجيـران
- الأبـواب.
- شمولية.

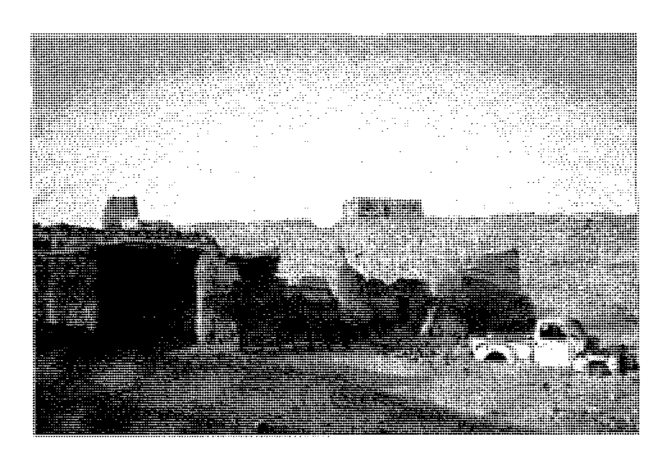
والمسكن موجه فراغياً ووظيفياً بحيث يكون مستقلاً ومكتفياً ذاتياً في إنتاج الطعام وخزنه، وفي الحصول على مواد الطاقة والخدمات، وفي توليد المناخ الداخلي المريح، وفي التخلص من النفايات المنزلية والصرف الصحي. حيث يقوم الناس بتربية الحيوانات الأليفة كالبقر والغنم والماعز والطيور التي توفر اللحم ومنتجات الألبان والسماد والوقود للطهو والإضاءة. كما يُزرع النخيل وبعض أشجار الفاكهة الأخرى كالبطيخ والرمان والعنب والطماطم والقرع والجح والباذنجان لتوفير احتياج الأسرة من الخضروات والفواكه وغيرها. وتُستعمل الإبل والخيل والحمير أيضاً لأنواع النقل والري. وكذلك توجد في بعض المنازل آبار لتوفير المياه (شكل٦٠،٦١) .

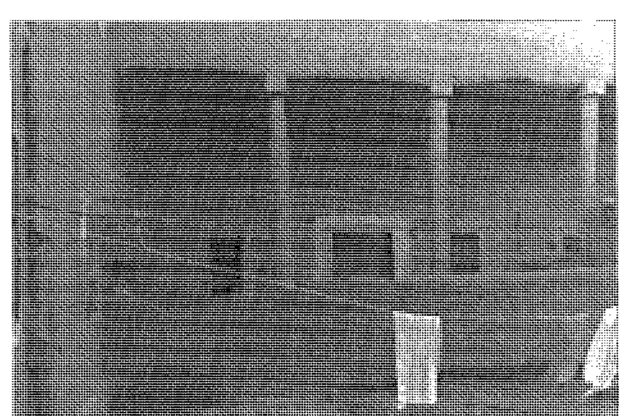


**شكل (٦٠):**

مناظر لآبار المياه التي تتوفر في مناطق الخدمات كالمساجد وغيرها وفي بعض المساكن الكبيرة.







**شكل(٦١):**

يحتوي المسكن التقليدي على قسم للحيوانات الأليفة والدواجن التي يعتمد عليها أصحابها لغذائهم، بالإضافة إلى بعض الأشجار المثمرة كالنخيل وأشجار فاكهة الرمان والعنب والبطيخ.

تتصف مساكن المنطقة الوسطى بأنها « فنائية » أي أن أغلبية المجالس والغرف تحاط بفناء أو أكثر. ويعود ذلك كما ذُكر سابقاً إلى متطلبات أمنية ومناخية وخصوصية؛ لذا نلحظ قلة الفتحات الخارجية وصغر حجمها وارتفاعها، حتى لا تتسع لدخول الإنسان، وتقلل من دخول الشمس والغبار وتحمي حرمة المنزل .

وتتراوح المساحة السكنية بين ٥٠ - ٢٠٠م٢، وأغلبيتها لا تتعدى ١٠٠م٢، ونادراً ما تكون المساحات المتجاورة متساوية أو منتظمة الشكل. ونسبة المساحة المبنية من المفتوح تكون متقاربة، حيث إن الفناء يستحوذ على جزء كبير من المساحة الكلية.

تتكون المنازل غالباً من دورين، والبقية من دور أو ثلاثة أدوار، وكثير منها يؤوي عوائل مركبة. وهناك بعض المنازل تحوي دوراً تحت الأرض (الخلوة أو الدباب).

تنقسم الدار إلى قسمين أو ثلاثة، وتشمل منطقة الرجال (الضيوف)، ومنطقة العائلة والنساء، والخدمة، وأكثر المنازل تحتوي على منطقة ثالثة لتربية الحيوانات والدواجن والزراعة. وعادة ما يتبع هذه الأقسام مداخلها الخاصة كمداخل

الرجال، ومداخل النساء والعائلة، ومدخل الماشية. وكل جزء من هذه الأجزاء يحتوي على مجموعة من الغُرف والفراغات الخاصة به، تتميز باستخدامات ومساحات وارتفاعات وتعبيرات تلائم وظائفها .

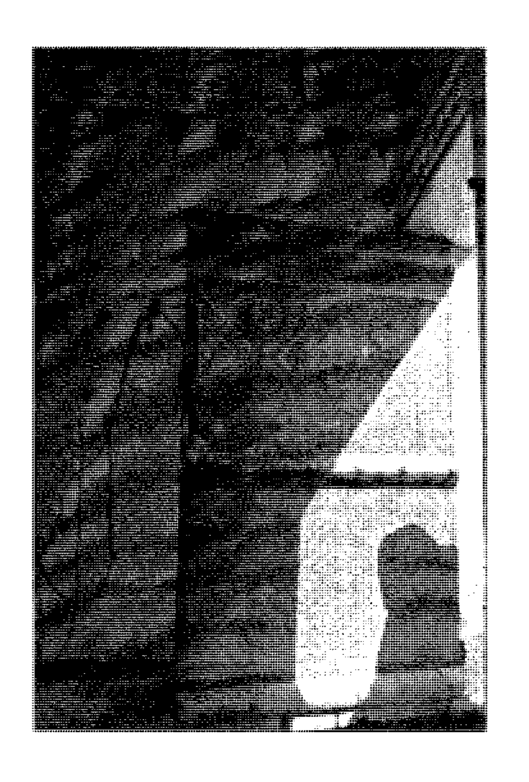
وقد استمر حجم المسكن التقليدي وتصميمه ومواد بنائه على حالتها دون تغيير يُذكر على مدى قرون، فمثلاً حدثت تغيرات محدودة على المسكن الطيني منذ ما يقارب خمسين سنة، حيث ظهرت بعض الفراغات المستحدثة، وأصبحت الغرف والمساحة الكلية أكثر اتساعاً. أيضاً من ناحية مواد البناء فقد تطور استعمال الأحجار المقطوعة والأخشاب المعتدلة للأسقف والقماش، لمنع تساقط الغبار ومواد السقف الأخرى، وتم أيضاً تكبير وتحسين الأبواب والشبابيك وتحسينها.

وتشمل منطقة الرجال المدخل والليوان (الإيوان) والقهوة والفناء وبعض المخازن. بينما تتكون منطقة العائلة والنساء من مدخل وصالة جلوس وقبة ورواق ومخازن ومطبخ وفناء. كذلك تحتوي المنطقة الخلفية على مصادر المياه والصهروج (حمام) ومكان تربية الحيوان، والزراعة أحياناً، والمطبخ ومكان الحطب (الوقود) والفناء. ويلحظ أن كلاً من غرف هذه المناطق وأماكنها تُحاط بأفنية خاصة لكل منها .

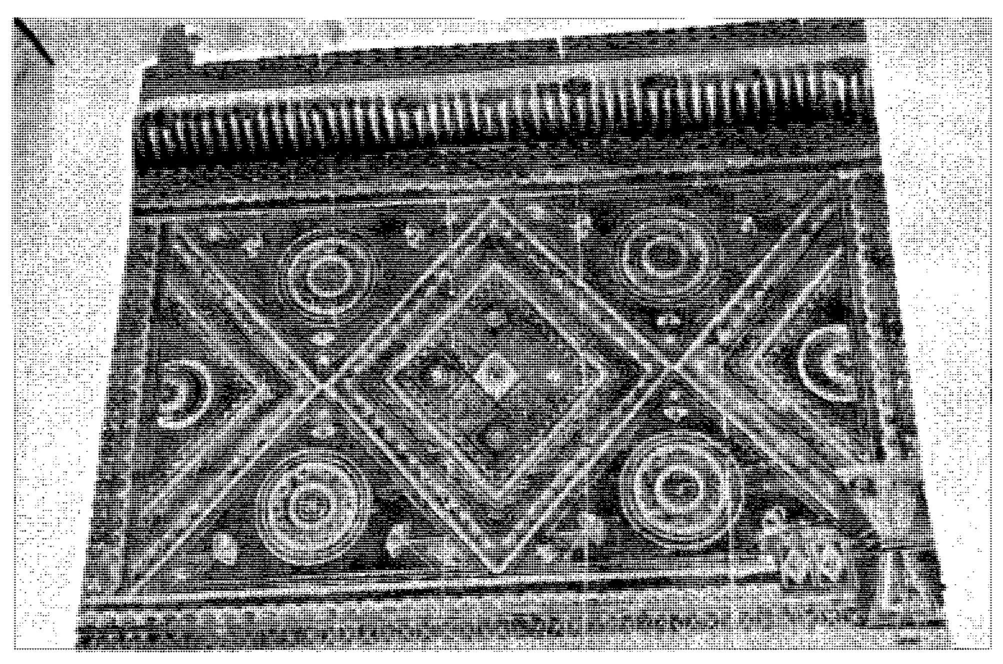
## ٦ - ٢-قسم الرجال

### ٦ - ٢ - ١-المدخل

يُعتبر مدخل الرجال أحد العناصر الأساسية التي تعبّر عن سمة (عادة) الكرم، وأهمية استقبال الضيوف لدى صاحب الدار، بغض النظر عن هوية القادم إليه. حيث يلحظ استعمال أفضل أنواع الخشب لصناعة باب الرجال وزخرفته عن طريق استخدام أروع النقوش والألوان وبعض القطع الحديدية (شكل٦٢) .







**شكل (٦٢):**

يعبر مدخل الرجال عن الترحيب والكرم والدعوة إلى الإقبال والاتصال بصاحب المسكن من خلال الزخارف والألوان وحجمه الكبير.

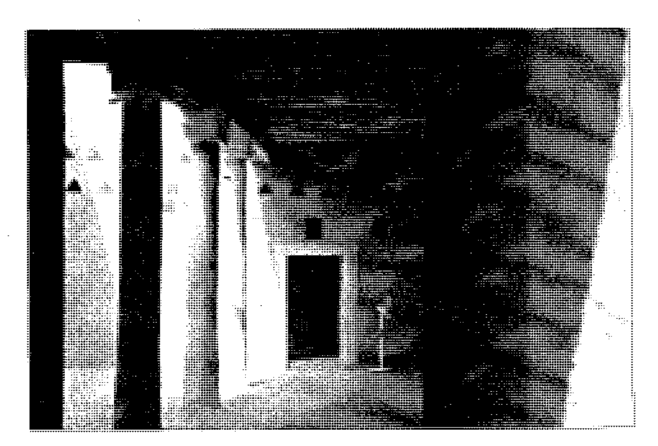
ويُصمم المدخل ليحمي خصوصية المنزل عن طريق التوجيه غير المباشر بصرياً، وذلك باتباع التعاليم الدينية، والأعراف السائدة، ويتم ذلك باستخدام سترة (جدار حاجب) بارتفاع مترين تقريباً، أو التشجير ،أو أن يكون ممر المدخل منكسراً. وعادة يؤدي المدخل عن طريق الإيوان إلى القهوة (مجلس الضيوف) فقط، بينما يتفرع إلى اتصالين: أحدهما مباشر للقهوة، والآخر إلى بقية المنزل في حالات أخرى. ففي الحالة الأولى يُعطي المدخل خصوصية أكثر لبقية المنزل وانفتاحاً على الجيران، حيث إن صاحب المنزل في هذه الحالة غالباً ما يترك الباب مفتوحاً فترة توقع الضيوف وهو ما بين صلاة العصر وغروب الشمس. وفي جميع الحالات يوحي مدخل الضيوف بالتلقائية وعدم الرسمية، حيث إن الجار أو الضيف عادة يشرع بالدخول وينادي باسم صاحب المنزل أو باسم أكبر أبنائه، ويستمر حتى يصل إلى القهوة، حتى لو لم يكن صاحب المسكن موجوداً بها، وبعد ذلك إما أن ينتظر أو يبدأ بإعداد القهوة والشاي .

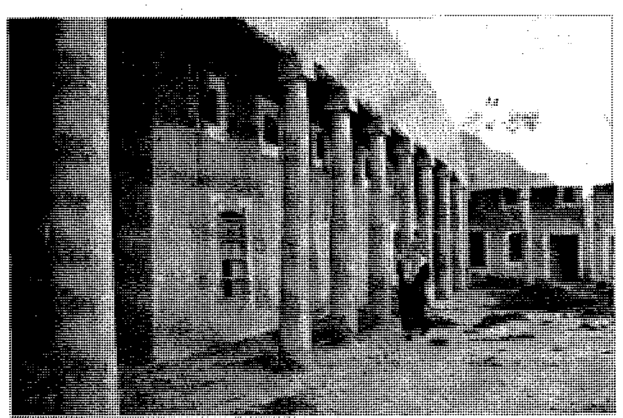
## ٦ - ٢ - ٢-الليــــوان (الإيــوان)[١]

يتكون الليوان من مجموعة من العناصر، تشمل الأسباب أو (الرواق أو الدهليز) وحوش صغير وقبة، والسيب هو الممر المغطى، الذي يربط بين المدخل الرئيس للرجال والقهوة على أحد جوانب فناء الرجال. وهذا العنصر ينعدم في بعض المساكن، خاصة الصغيرة منها، التي لا يوجد بها فناء. ويحتوي الجانب الخارجي للرواق على أعمدة، يصل بينها أحياناً جدار منخفض بشرفات وبارتفاع نصف متر تقريباً، ويُشكل حدود التداخل مع الفناء. أما الجانب الآخر فهو أحد حوائط غرف المنزل، ويتم زخرفته بالنقوش الجبسية، ويحتوي على فتحات داخل الجدار، بعضها نافذ كشبابيك، وبعضها أرفف (روزنات) كتب ومصاحف، وبعضها الآخر لإيداع بعض الأدوات والمقتنيات. كما يوجد على هذا الجانب من

(١) لقد واجه الباحث صعوبة في بعض الاصطلاحات من حيث الاتفاق على مسمياتها بين الأقاليم المختلفة في منطقة نجد، فمثلاً الليوان يعني نوعاً من الأفنية في الرياض، كما ذكر المعلم ابن حامد، وفي القصيم ومناطق أخرى يقصد به أحد الممرات المسقوفة على الأعمدة.

السيب بعض الأوتاد (المعاليق) المختلفة، لتعليق البشوت والأكوات والأسلحة ومقتنيات بعض الضيوف وغيرها. والوظيفة الرئيسة للسيب أنه عنصر حركة الاتصال الثاني بعد المدخل، وأحياناً يستعمل صالة طعام أو قهوة خارجية أو مكاناً لنوم الضيوف، خاصة خلال فصول اعتدال الطقس. (شكل٦٣) .





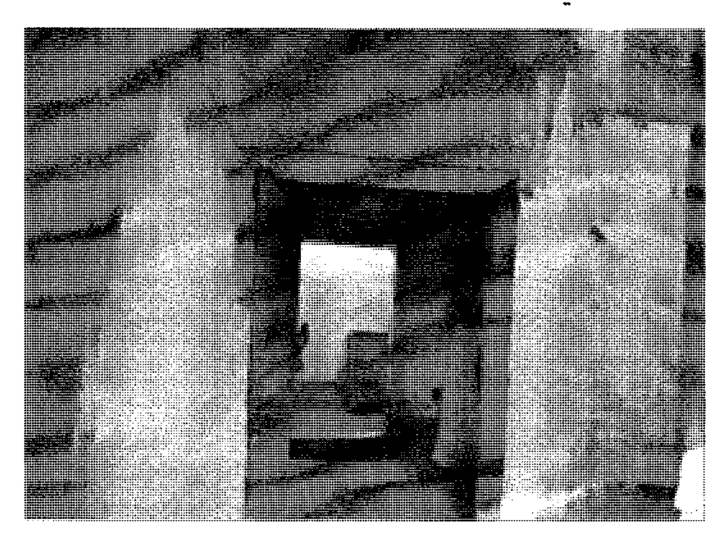
**شكل(٦٣):**

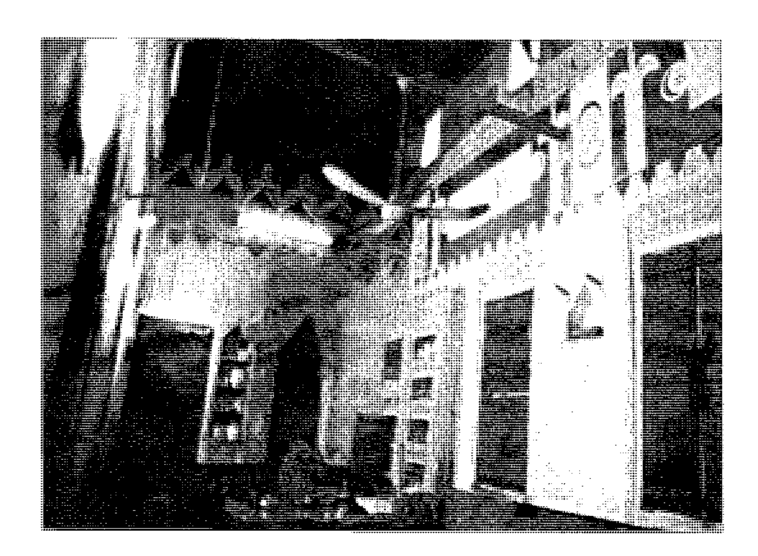
الرواق (السيب أو الدهليز)، وهو الممر المسقوف، الذي يفتح من جهة واحدة على الفناء، ويرتكز على عدد من الأعمدة.

ويحتوي قسم الرجال في بعض المساكن على حوش (فناء) وقبة أو أحدهما. والحوش يكون للأوقات التي تكون فيها درجة الحرارة معتدلة. وكذلك يزود القهوة بالتهوية والإضاءة الطبيعية، ويوجد به خزان ماء حجري صغير (قرو) للوضوء وغسيل الأيدي بعد تناول الوجبات مع الضيوف. وعندما يكون الحوش واسعاً تُزرع فيه بعض الأشجار كالنخل والرمان وغيرها، وتنمو من مياه الغسيل والوضوء. وقبة الرجال عبارة عن جزء من الفناء مسقوف بين القهوة والفناء، ويُستخدم للجلوس. وتستخدم القبة قهوة صيفية وربيعية، وتحتوي على موقد (وجار) ورفوف أواني مبسطة مقارنة بما يوجد في القهوة .

## ٦ - ٢ - ٣-القهـــــــــوة

القهوة أحد الأجزاء الأساسية الخاصة بالرجال، حيث يجلس فيها الضيوف، ويتم بداخلها عمل القهوة والشاي ثم تقديمها للضيوف، لذلك أُطلق عليها اسم القهوة أو المجلس. وتكون القهوة عادة عنصراً بارزاً للجيران، من حيث انفتاحه إلى الخارج وحجمه وموقعه وتجميله، مما يُشكل رمزاً للكرم ودعوة حسية إلى اللقاء مع الجيران. ومن سماتها الأساسية اتساعها وارتفاع سقفها - تعبيراً عن الكرم وكثرة الضيوف وطلباً للتهوية وطرد الدخان الناتج عن احتراق الخشب - وكثرة الزخارف والنقوش وكثرة الأرفف، وكذلك احتواؤها على أفضل أنواع الأثاث مثل السجاد والمراكي التي يتم الاتكاء عليها، وكذلك المساند التي يُسند عليها الظهر (شكل٦٤) .





**شكل(٦٤):**

تشكل القهوة (مجلس الرجال) أحد أهم العناصر في السكن، وهي تعبر عن الرحابة والكرم عن طريق انفتاحها إلى الخارج وكثرة النقوش والألوان على مسطحاتها.

وتتصل القهوة بالخارج عن طريق الدهليز أو السيب أو مدخل الضيوف، ومن الجهة الأخرى يوجد باب آخر للاتصال ببقية المنزل من قبل رب العائلة وأبنائه. وتتخذ القهوة الشكل المستطيل، ومن مميزاتها الوظيفية ارتفاع سقفها لإعطاء الفرصة لنظام تهوية جيد للتخلص من دخان الحطب وتخفيض درجة الحرارة. وهذا النظام يحتوي على صفين من النوافذ: أحدهما مرتفع وصغير وقريب من السقف، والآخر منخفض وكبير وقريب من الأرض؛ لذا عندما ينزل الهواء البارد الثقيل إلى الفناء فإنه يدخل إلى القهوة عن طريق النوافذ السفلية ويقوم بطرد الهواء الساخن والملوث الخفيف عن طريق النوافذ العلوية والسوامة (الكشافة أوالسماوة)، وبذلك ينشأ نظام متحرك من دورة الهواء وإحلال الهواء البارد بالساخن .

ومن أهم الأماكن في القهوة الركن الذي توجد فيه جلسة الوجار (الموقد، والكمر، أو الكمار (أرفف)، والدكة أو الخابيه (مخزن الحطب)، والتي يُختار لها أفضل أنواع النقوش لأهميتها في تكوين عناصر القهوة، ويتم وضعها في نهاية القهوة اليُمنى حسب توافر الفراغ في الركن .

فالوجار عبارة عن فراغ مستطيل الشكل بطول حوالي ٢٠ر١م وعرض ٨٠سم محاط بحاجز من الجص ارتفاعه حوالي ١٥سم عن مستوى أرضية القهوة، وبداخله مروحة (كير) تدفع الهواء من خلال ماسورة تنتهي بفتحة تحت مكان إيقاد النار وذلك لسرعة إشعال النار (خشب أو فحم). لذا يتم إيقاد النار داخل الوجار، وتصفّ كل من الدلال (جمع دلة) والأباريق التي يتم استخدامها لعمل القهوة والشاي أثناء تحضيرها. ويبعد هذا الفراغ (الوجار) عن أحد الحوائط القريبة منه حوالي ٦٠سم، وهذا المكان يكون مخصصاً لجلوس صاحب المنزل تاركاً ضيوفه عن يمينه حتى يتسنى له خدمتهم بيده اليُمنى تكريماً لهم واتباعاً للسنة النبوية التي تأمر باستخدام اليد اليُمنى في التعامل بين المسلمين مثل السلام وتقديم الأشياء وتناولها بصفة عامة؛ لذا فإن استخدام اليد اليسرى لتقديم القهوة والشاي يُعد إهانة للضيوف وتقصيراً في حقوقهم حسب العادات والتقاليد الإسلامية . (شكل٦٥) .





**شكل(٦٥):**

الوجار أو موقد النار من أهم العناصر الوظيفية والجمالية والترفيهية في قلب مجلس الضيوف، حيث يزدان بالزخارف وأواني القهوة والشاي، ويشعر الزوار بالدفء.

أما الكمار فهو عبارة عن مجموعة من الأرفف على هيئة صندوق ملتصق بالحائط تُصفُّ بداخله الدلال والأباريق والأدوات الأخرى، المستخدمة في إعداد الشاي والقهوة. والهدف المعنوي من وراء صف هذه الأدوات هو إبراز صفة الكرم واستعداد المنزل لاستقبال أعداد كبيرة من الضيوف في آن واحد. والجزء السفلي من الكمار -وخاصة القريب من مكان صاحب المنزل- يحتوي على الأجزاء الخاصة بكلٍ من النجر أو النقيرة، وهي صخرة بداخلها حفرة لطحن كل من القهوة والهيل الخام باستخدام يد من الحجر أيضاً، ومخزن صغير لحفظ مادة القهوة والهيل والسكر والشاي وكذلك أعواد البخور.

أما الدكة فهي عبارة عن غرفة صغيرة لا يتجاوز عرضها متراً واحداً يُخزّن بداخلها الحطب الذي يُستخدم لإيقاد النار. ويتم الوصول إلى هذه الغرفة عن

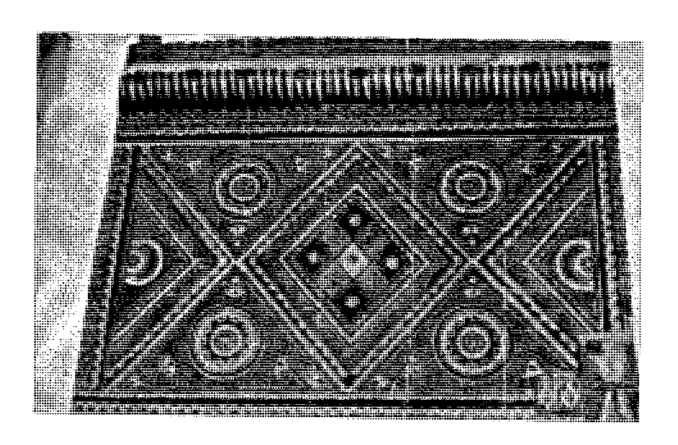
طريق فتحة صغيرة إما على شكل مثلث أو قوس خلف مكان جلوس صاحب المنزل، حتى يتسنى له أخذ الحطب من الدكة وهو جالس في مكانه. ويوجد في سقف القهوة (وخاصة في الجزء الذي يعلو الوجار) فتحة تُسمى سَمَاوة أو كَشَّافة أو سوامة، وذلك لطرد الدخان الناتج عن احتراق الحطب. وهذه السماوة تكون مزودة بغطاء من الخشب لإغلاقها إذا دعت الحاجة، وذلك للحماية من الأتربة والغبار والأمطار وما إلى ذلك. ويتم التحكم بفتح أو إغلاق السماوة من مكان داخل القهوة وقريب من متناول يد صاحب المنزل عن طريق حبل. والسماوة ليست الفتحة الوحيدة المستخدمة للتهوية وطرد الدخان، ولكن في الغالب توجد فتحات أخرى صغيرة في أعلى حوائط القهوة، ولهذه الفتحات أبواب يتم فتحها وإغلاقها حسب الحاجة عن طريق سطح المنزل .

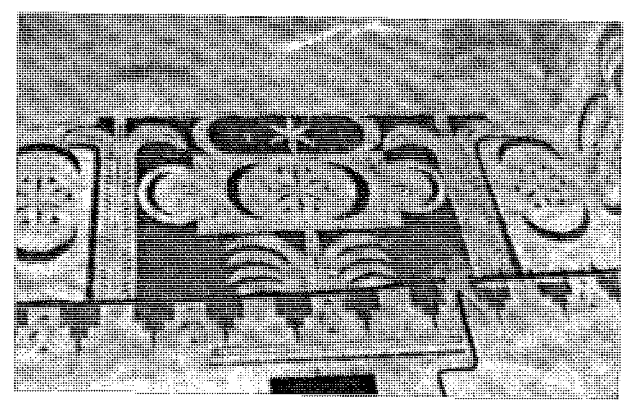
ومن الملاحظ في بعض المنازل وجود باب بالقهوة يؤدي إلى غرفة خاصة برب الأسرة. ومن سماتها عدم وجود فتحات لها عدا فتحة المدخل وتحفظ بداخلها الأشياء الثمينة الخاصة برب الأسرة، وكذلك يستخدمها صاحب المنزل للنوم وقت القيلولة، لكونها تتميز بالبرودة صيفاً والدفء شتاءً، بالإضافة إلى كونها بعيدة عن ضوضاء أفراد الأسرة المركبة في وقت النهار .

ومن أهم مميزات القهوة التي تدعم صفة الكرم والتمتع بالجلوس بها كثرة الزخارف وشموليتها، التي تُعبر عن ارتباط الإنسان بمحيطه البيئي والعناصر المهيمنة على تفكيره وإحساسه في ذلك الوقت، خصوصاً القمر والنجوم والنخل التي يلحظ نقشها على جميع مسطحات حوائط القهوة الجبسية والدلال والأباريق والفناجيل (أكواب الشاي والقهوة) والسجاد والأثاث كالمراكي والمساند والأبواب والشبابيك الخشبية (شكل٦٦) .

## ٦ - ٣-قسم العائلة والنساء

يُعتبر قسم العائلة والنساء قلب المسكن ووسطه، والجزء الأهم والأكبر من الناحية الوظيفية، ويشمل غرف الدور الأرضي والأول والثاني وفراغاتها إذا وجدت، وكذلك الخلوة (تحت سطح الأرض). وتتكون منطقة النساء والعائلة من مدخل





**شكل (٦٦):**

تعبر زخارف مجلس الضيوف عن الانشراح والارتباط بالبيئة المحيطة، من خلال التعبير عن بعض عناصرها مثل القمر والنجوم والنخل.

خاص وفناء كبير وقبة ودهليز (سيب أو رواق) ومطبخ وبعض غرف النوم والمخازن والصهروج (الحمام) في الدور الأرضي. بينما يتكون الدور الأول من غرف نوم ومصباح (رواق) وقبة وبعض المخازن، وأحياناً ملقف هواء يُسمى في بعض المستوطنات (الفاو)، ويحتوي الدور تحت الأرضي (الخلوة/ القبو) على خلوة وجصة وبعض المخازن، وعادة ما يكون هناك عزل قوي بين قسم الرجال والنساء لتحقيق الخصوصية، ويحتوي على الدرج والمخزن وغيره.

## ٦ - ٣ - ١-مدخل العائلة

يتصل مدخل العائلة الصغير بشارع صغير غير نافذ أو ساحة صغيرة، وهذا الشارع أو الساحة يستعمل من قبل النساء والأطفال. ويتم تصميم المدخل بمنع أي اتصال بصري مباشر لداخل المنزل، بالأسلوب نفسه الذي ذُكر في مدخل الرجال، كل ذلك يحقق حماية قوية لخصوصية المرأة يمكّنها من رعاية أطفالها والاتصال مع جاراتها بسهولة وراحة.

### ٦ - ٣ - ٢-الـــــــــرواق

الرواق أو (السيب أو الدهليز) يمتد على مسافات طويلة مقارنة بقسم الرجال، حيث إنه يربط تقريباً بين جميع الغرف بممر مسقوف بعرض متر ونصف، ومفتوح من جهة الفناء ويتصل أحياناً بمدخل النساء. وهذا له دور رئيس - بالإضافة إلى كونه ممراً - في تخفيض درجة حرارة المنزل عن طريق الاعتراض وحجب أشعة الشمس المباشرة والساطعة على الغرف المحيطة بالفناء، وكذلك استقبال الرياح من الحوش وتوجيهها إلى هذه الغرف، وله استعمالات أخرى متنوعة وفي أوقات مختلفة للأنشطة المختلفة كلعب الأطفال والجلوس وتناول الشاي والقهوة صباحاً وعصراً، خصوصاً في فصل الصيف .

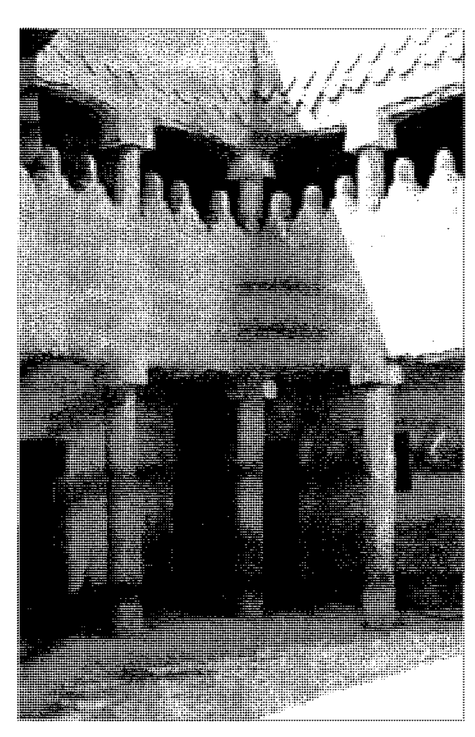
### ٦ - ٣ - ٣-الفنـــاء (الحـوش العائلـــي)

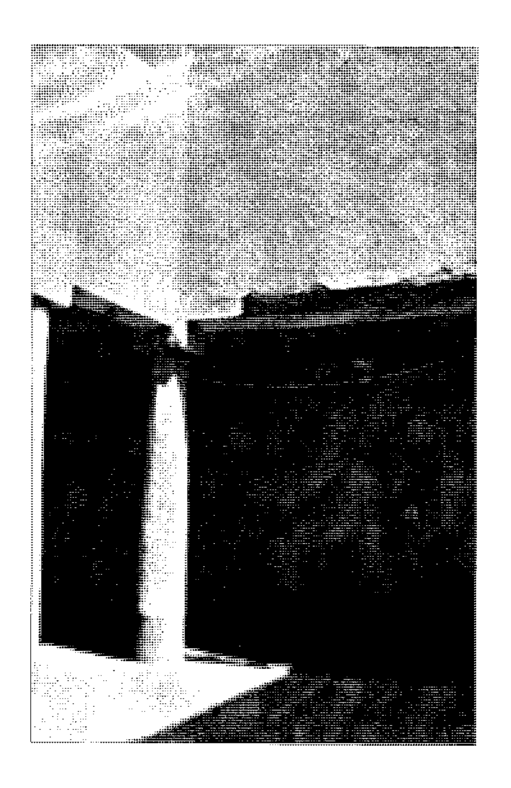
يحتوي كل مسكن تقريباً على حوش أو بطن الحوي أو (فناء) عائلي، ويُشكل القلب الحيوي للمسكن، من حيث الموقع والوظيفة، ويستخدم على مدار السنة. ومن أهم وظائفه تزويد غرف المنزل بالهواء البارد وتخفيض درجة الحرارة بها، وتوفير الإضاءة الطبيعية وحماية أمن سكان المنزل وتأمين خصوصيتهم وصحتهم. فهو يقوم بحجز الهواء المُنعش الذي يتراكم ليلاً، بينما يتدفق الهواء تدريجياً خلال ردهات الأسياب إلى غرف المسكن، وهو بذلك يمثل مستودعاً للبرودة حتى وقت متأخر من النهار. وللحوش أدوار مهمة متعددة تشمل الأنشطة الاجتماعية والعائلية المختلفة من زواجات وأعياد ومناسبات، وهو منظم لدرجة حرارة المسكن، ولعب الأطفال وعنصر حركة وأماكن جلوس متعددة، ويهيء مكاناً للنوم صيفاً ومجالاً للطبخ للولائم الكبيرة. كما يوفر الحوش المنظر والانشراح النفسي؛ نظراً لانفتاحه الواسع على السماء والأفق (شكل٦٧) .

وجميع الغرف العائلية في كل الأدوار تُفتح على الفناء بأبواب وشبابيك كبيرة لتستفيد من الطقس الملطّف، وحماية الخصوصية، والحالة الأمنية .

**شكل(٦٧):**

يشكل فناء المسكن عنصراً مهماً فهو بمثابة الرئة لسكانه من جميع نواحي المعيشة الاجتماعية والترفيهية والبيئية والنفسية.

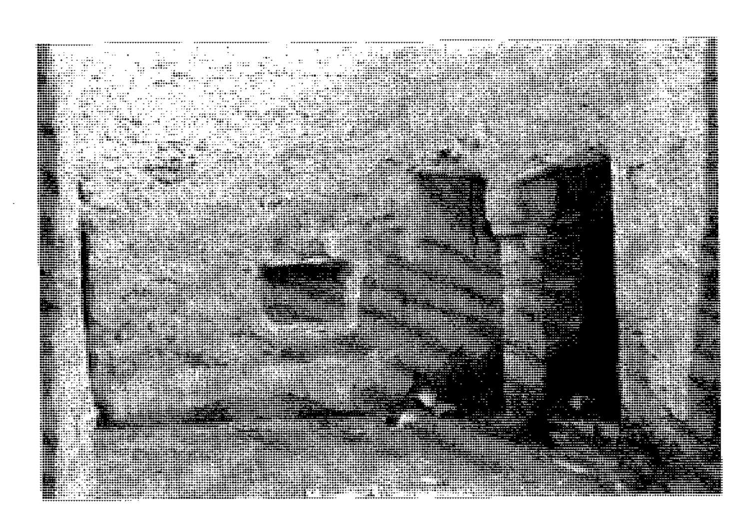




## ٦ - ٣ - ٤-القبــة العائليــــة

تُعتبر القبة من أكثر أماكن المسكن استعمالاً، وهي توازي في الوقت الحاضر صالة جلوس العائلة. والقبة عبارة عن غرفة كبيرة مرتفعة السقف، يكون جانبها المطل على الحوش مفتوحاً بالكامل وتفتح عليها بعض أبواب الغرف والممرات والشبابيك. فهي بذلك تحصل على كمية كبيرة من الإضاءة والتهوية. وينطلق منها أيضاً الدرج الذي يؤدي إلى الطوابق العلوية والخلوة. وفي القبة وجار عائلي لعمل المشروبات الساخنة كالحليب والشاي والقهوة. وبها أيضاً أماكن لتبريد الماء كالقربة والزير[1] ، وتُترك تحتها وحولها المواد الغذائية كالخضار والفواكه. وغالباً ما توضع وسائل التبريد في مكان يمرُّ به تيار الهواء القادم من الحوش (شكل٦٨) .

(١) الزير: هو إناء أسطواني الشكل، صغير القاعدة، يستعمل لتبريد الماء عن طريق النضح؛ لأنه مصنوع من عجينة طينية تحرق في الأفران.



**شكل (٦٨):**

الإيوان أو القبة (غرفة جلوس العائلة) هي قلب السكن وأكثره حيوية، وحجمها كبير وتتصل بأغلبية الغرف الأخرى وتتفتح بجهة كاملة على الفناء العائلي.

## ٦ - ٣ - ٥-غرفة النوم الأرضية

يوجد عدد قليل من غرف النوم في الدور الأرضي لا تتجاوز واحدة أو اثنتين تستخدم من قبل بعض الأقارب أو كبار السن من العائلة. لكن الغرف الرئيسة تكون في الدور الأول وتُسمى الرواشن، وسنتطرق لها لاحقاً .

## ٦ - ٣ - ٦-المطبخ

غالباً ما يكون المطبخ في موقع منفصل عن بقية غرف الدور الأرضي في الحوش بمسافة كافية لتفادي وصول الدخان الصادر عن حرق الأخشاب للطبخ إلى بقية المنزل. ويتميز المطبخ بارتفاع سقفه وكثرة فتحاته لتوفير التهوية، بل إن بعض المطابخ يكون لها سوامة أو كشافة (فتحة في السقف) فوق موقع الطبخ .

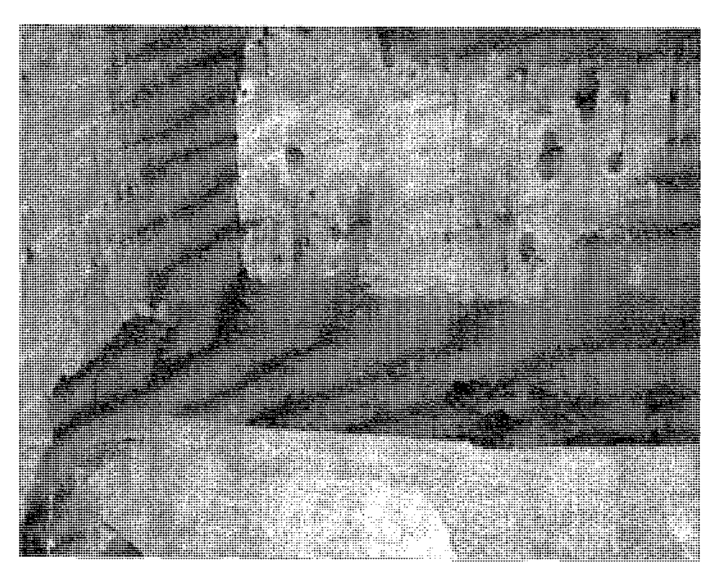
## ٦ - ٣ - ٧-الصفة

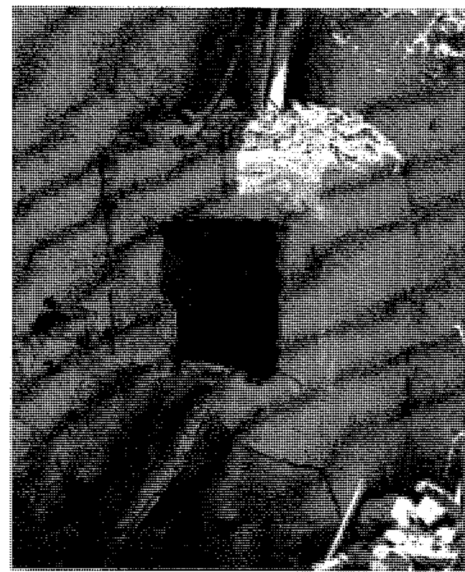
هي نوع من المخازن الغذائية لها دور مهم، حيث إن الساكنين يعتمدون على الأطعمة القابلة للتخزين على المدى البعيد؛ نظراً لارتفاع درجة الحرارة، وعدم وجود ثلاجات أو ما شابهها في ذلك الوقت؛ لذا فهي تقع بين الغرف الأخرى، بحيث تقل نسبة مسطحها الخارجي ولا يوجد لها شبابيك، وتحصل على الإضاءة من الغرف الأخرى؛ وذلك للحصول على أعلى درجة من العزل والبرودة. وتوجد في هذه الغرفة أحواض لحفظ القمح والبصل والدقيق (في أكياس)، بينما يعلّق القفر (شرائح اللحم المملحة واليابسة) على حبال. وتخزّن التمور في هذه الغرفة أيضاً بكميات كبيرة بصفتها مصدراً للأمن الغذائي. وبها حوض لجمع العبس (نوى التمر)، الذي يُنقع في الماء لتليينه واستعماله علفاً للحيوانات المنزلية .

## ٦ - ٣ - ٨-الجصة

الجصة أو الصوبة مخزن صغير تُجمع فيه محاصيل التمور الجديدة من كل سنة، وتكون أبعادها تقريباً ٥٠ سم عرضاً و ٥٠ سم طولاً و ١٨٠ سم ارتفاعاً. ولها فتحة كبيرة في أعلاها لإدخال التمور. ويتم جمع الدبس (عسل التمر) من خلال صنبور سفلي. ويُجمع الدبس في أوانٍ خاصة بحيث يُستعمل مادةً غذائية كالعسل مع الخبز، ويضاف إليه الدقيق والبيض لعمل الكليجا وهي نوع من المعجنات التقليدية. وتقع الصوبة غالباً في الخلوة (الدور تحت الأرضي) أو في الصفة في الدور الأول. وتُبنى من الطين والحجر وتُغطى بطبقة سميكة من الجبس من الداخل والخارج. ويوضع تحت صنبور الجصة حوض صغير يُسمى المدبسة لجمع الدبس منه. وتحتوي عملية التخزين أيضاً على رش بعض الماء ، وإضافة قليل من الملح على التمر، ووضع خيش أو سعف وفرش ثقيل، وهو نوع من الصخور المسطحة والملساء، فوق التمر لضغطه لاستخراج الدبس. ونبعت فكرة الجصة من إدراك الساكن بضرورة وجود مكان محمي لتخزين أهم مصدر غذاء يومي له في تلك المنطقة؛ لأنه من

الصعب توافر التمر في الأسواق باستمرار، وحيث إن التمر محصول سنوي، فإن صاحب المنزل يحاول الحصول عليه وتخزين كمية تكفي العائلة والضيوف لمدة عام، حتى يحين الموسم القادم (شكل٦٩) .





**شكل(٦٩):**

الجصّــــة مخزن صــــغير محكم الإغلاق لخزن أهم مـادة غذائيـة أسـاسيـة في الماضي وهي التمور، وذلك لتأمين مصدر غذائي على مدار العام.

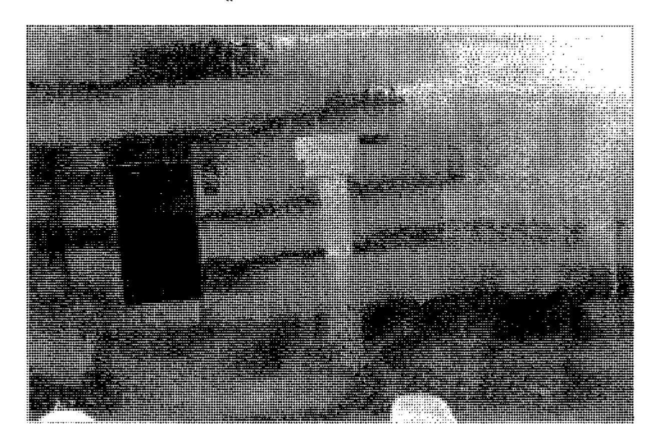
## ٦ - ٣ - ٩-الخلـــــوة

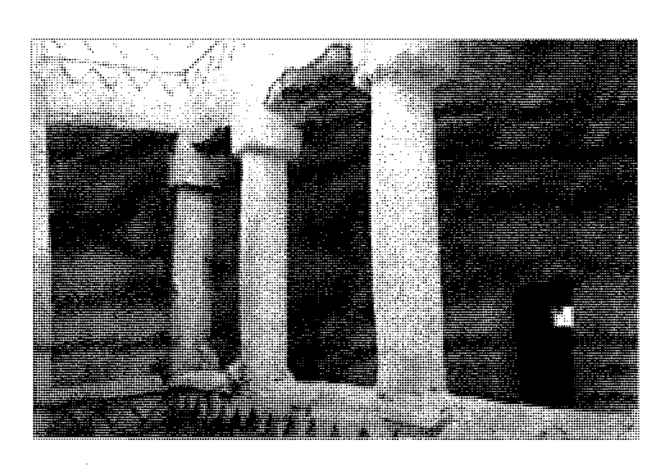
الخلوة في الغالب عبارة عن غرفة واحدة كبيرة تُشيّد جزئياً تحت الدور الأرضي وتتصل بالقبة عن طريق الدرج وتنزل بعمق مترين تقريباً. ويرتفع جزؤها العلوي بمقدار قليل فوق سطح الأرض لعمل بعض الفتحات الصغيرة للتهوية والإضاءة.

وتستخدم في بعض أيام السنة عندما تكون درجة الحرارة إما مرتفعة أو منخفضة جداً؛ وذلك لإيجاد مكان ذي درجة حرارة مريحة عند حاجة سكان المنزل لقضاء وقت فيه. ويوجد في الخلوة الجصة وبعض أحواض خزن المواد الغذائية الأخرى؛ بالإضافة إلى وجودها في الصفة في بعض المساكن .

## ٦ - ٣ - ١٠-الـــدور العلــوي (الأول)

يضم الدور الأول المصابيح والرواشن وبعض الغرف المتعددة الأغراض للدراسة، والخزن. والرواشن، وغرف نوم متنوعة الأحجام، وتطلُّ على الفناء بطريقة غير مباشرة عن طريق المصابيح. والمصابيح هي ممرات مغطاة وتقع فوق السيب وتشابهها تماماً إلا في احتوائها على جدار بارتفاع متر ونصف، مُشَرَّف (يعلوه شرفات) بين الأعمدة للحماية. وتكوِّن المصابيح عنصراً مستمراً يربط بين أغلبية غرف الدور الأول أو جميعها، وعرضه متر تقريباً، حيث يحمي الغرف الواقعة

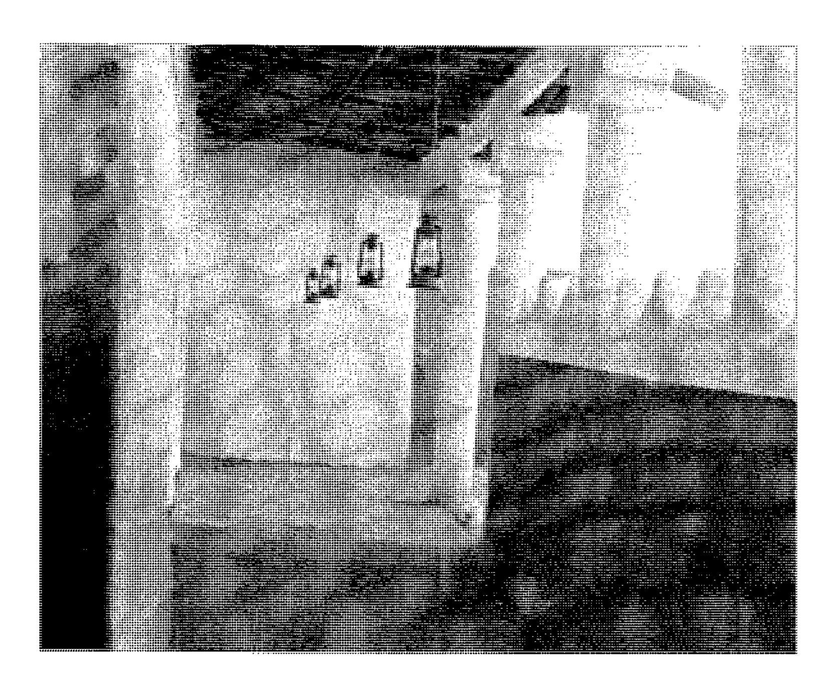




**شكل (٧٠):**

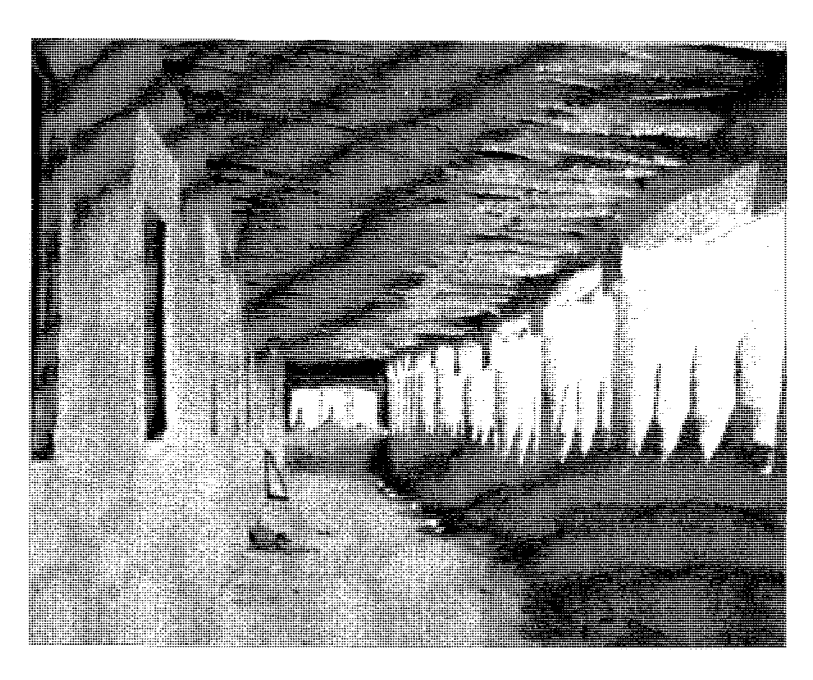
منظر للرواشن، وهي غرف للنوم في الدور العلوي.

عليه من ضوء الشمس المباشر وحرارتها؛ لذا فهو يساعد في تخفيض درجة الحرارة داخلها. (شكل٧٠، ٧١) .

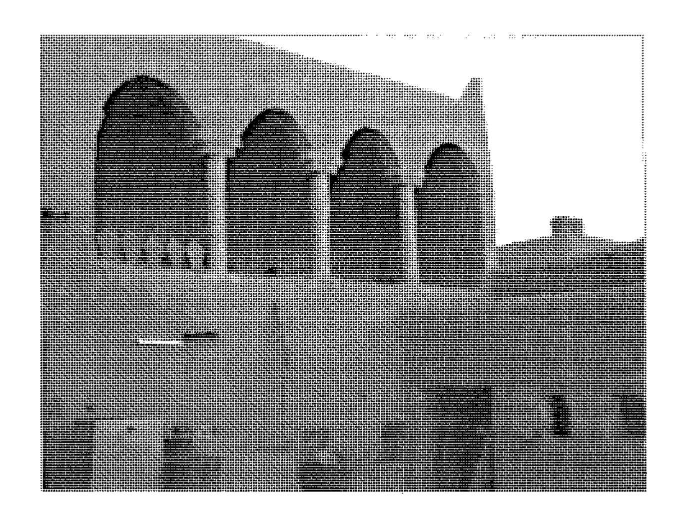


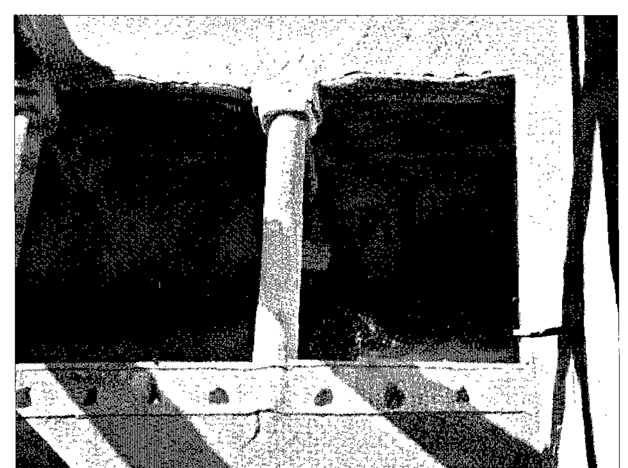
**شكل (٧١):**

المصابيح وهي فراغ شبه مفتوح من جهة الفناء، ويربط بين غرف النوم (الرواشن) في الدور العلوي، وهو يشابه الرواق (السيب أو الدهليز).



وأحياناً يُغطى الدور الأول ولا تكون هناك مصابيح، إنما تكون قبه علوية تفتح جهة واحدة منها باتجاه الرياح المحببة وتُطل على الفناء (شكل٧٢) .





**شكل (٧٢):**

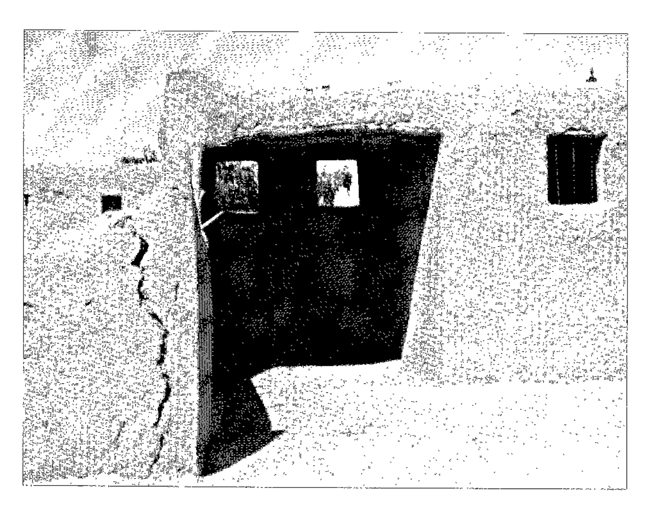
القبة العلوية عنصر آخر يمثل التعامل مع الطقس الصحراوي، وذلك لجذب الهواء إلى الرواشن (غرف النوم).

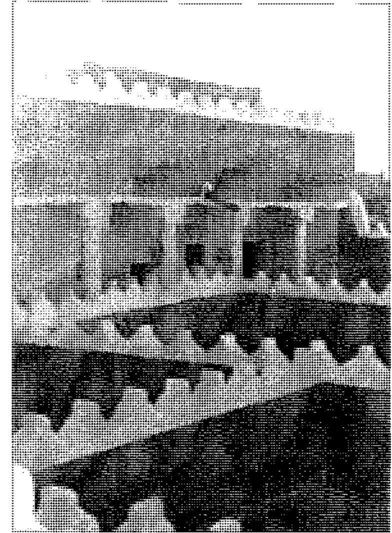
ويبرز من قبة الدور الأول إلى الخارج عنصر يُسمى (الطرمة) وهو فراغ صغير يشابه المشربيات في المنطقة الغربية ويكون مرتفعاً عن أرضية الدور العلوي بمقدار متر وعشرين سنتيمتر، يسمح بدخول الجزء العلوي من الإنسان. كما يحتوي على فتحات أفقية صغيرة بأرضية الطرمة للنظر لما يحدث في الخارج نظراً لخصوصيتها، ومن وظائفها المهمة أيضاً مراقبة صاحب المنزل ومعرفة من عند بابه؛ لأن الطرمة تقع فوق الباب مباشرة (راجع شكل ٢٦) .

## ٦ - ٣ - ١١-السطـــــح

يتصل الطابقان الأرضي والأول (والثاني إن وجد) بالسطح عن طريق الدرج. ويُقسم السطح إلى عدة أجزاء ذات أبواب مفتوحة لكل منها، وهذه عبارة عن

غرف نوم صيفية توفر الخصوصية لأفراد العائلة، بحيث يكون هناك قسم للزوجين، وآخر للبنات، والبقية للأولاد. ويوجد بالسطح غرفة ذات سقف بسيط توضع فيها فرش النوم لحمايتها من الحر والغبار . (شكل ٧٣) .





**شكل (٧٣):**

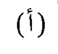
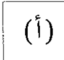
يستخدم السطح العلوي كغرف نوم صيفية وذلك عن طريق تقسيمه بحوائط، وتكوين غرف مفتوحة على الفضاء والنسيم، وسقفها السماء والنجوم.

ايضاً يُستخدم السطح لتجفيف بعض المواد الغذائية كالتمور وكذلك الجراد، حيث إن الجراد كان وما زال في بعض المناطق، من المواد الغذائية الصحية. فخلال موسم الجراد وهو في آخر الشتاء تقوم مجموعات صغيرة من السكان بالذهاب إلى مناطق وجود الجراد وجمعه في أكياس كبيرة (خيش)، بعد ذلك يقوم سكان المنزل مع الجيران بطبخ الجراد بالماء والملح في حجاري (قدور حديدية كبيرة جداً)، ويتخلل ذلك نوع من الاحتفالية، حيث إن ذلك يشابه عادة

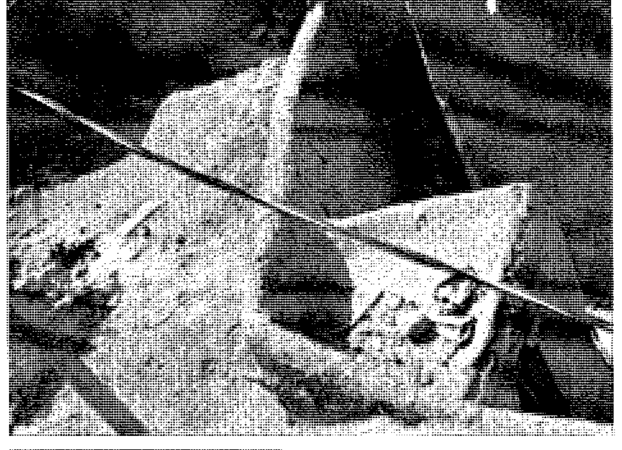
جمع الربيان بالنسبة لسكان المناطق البحرية. عندئذٍ تقوم النساء بنشر الجراد في السطح لتجفيفه، ومن ثَم خزنه كمادة غذائية بالإضافة إلى التمور والحبوب . وللنوم في السطح عادة نكهة وإحساس خاص ينتاب شعور الساكن بالراحة والمسرّة من جراء الإبحار في الفضاء المحيط به، حيث صفاء السماء، وتعدد النجوم وتنوعها وتحركها، وضوء القمر.

## ٦ - ٤-القسم الخلفي

يحتوي هذا القسم من المنزل على العناصر ذات الوظائف الضرورية التي لها نتائج جانبية غير مرغوبة ، كالصهروج (الحمام)، وحظائر الحيوانات، بالإضافة إلى حديقة الخضار المنزلية، والبئر وكلها تحيط بالحوش الخلفي للمنزل (شكل٧٤) .

(أ)



(ب)



**شكل (٧٤):**

يبنى الصهروج (غرفة الصرف الصحي) في أبعد جزء ممكن من المسكن، لعدم وجود الوسائل الحديثة للتصريف(أ)، ويشاهد هنا القرو وهو حوض ماء منحوت من الصخر، ويخترق قاعدته بعض الصنابير للوضوء والغسل، ويقع بالقرب من الحمام وبئر الماء(ب).

### ٦ - ٤ - ١-الصهــــــــروج

هـو حمـام بدائــي تقليـدي عبـارة عن غرفـة صغيـرة مرتفعـة عن سطـح الأرض بحوالـي ٦٠سم ذات فتحـة صغيـرة على سطحها، تتصـل بالخارج بغرفـة تصريـف خارجيـة تحـت الأرض تُسمـى بلاّعـة. أيضـاً يتصـل بهـا درج قليـل الارتفـاع، ويحيط بعلوها سـاتر جداري وتقـع غالبـاً بأقصـى ركن من الحـوش. بالإضافـة إلى الصهـروج، يوجد القرو وهو مكان خزن مـاء الوضوء للصـلاة والاغتسـال، وهـو عبـارة عن صخـرة مجوفـة على شكل إنـاء كبيـر سبق تعريفهـا (شكل٣٩،٧٤) .

### ٦ - ٤ - ٢-حظائــر الحيوانـــــات

يُشكل وجـود الحيوانـات والدواجـن جزءاً مهمـاً من دورة حيـاة الإنسـان في البيئـة السـكنيـة التقليـديـة، حيـث إنـهـا تسـاعـد علـى الاكتفـاء الـذاتي للسـاكن مـن بعض المنتجات الغذائيـة الأساسيـة والنقـل، فهـي تُكوِّن مصـدراً للحـوم والحليـب واللبـن والزبـدة والزبـادي والجبـن والبيـض. ويستفـاد من مخلفـاتهـا أيضـاً السمـاد العضـوي في زراعـة الخضـار والفواكـه المنزليـة. ولهـا دور ترفيهـي للسكان خاصـة الأطفـال الذيـن يتمتعون باللعب معهـا والمشاركـة في تربيـة صغارهـا؛ لهـذا يلحـظ تخصيـص جـزءٍ يتـراوح بيـن ١٥ – ٢٥ في المائـة من المساحـة الكليـة للمسكـن للحيوانـات الداجنـة، وهـي تشمـل: الأغنـام والأرانـب والأبقـار والدجـاج والحمـام وبعض دواب النقـل كالحميـر. ويكون هـذا الجـزء خلف المنـزل بجانـب الصهـروج وخزانـات الميـاه والحديقـة .

وعادة ما تُعمل حظائـر الحيوانات من سعف النخيل وتظلل بالأشجار أو بأسقف بسيطة. بينمـا يعمل للدجـاج (شرشع) وهـو مسطـح مرتفـع عن الأرض لتنـام فيـه ويحميهـا من وصـول القطـط إليهـا ليلاً. كمـا تُعمل أبـراج للحمـام وتكون في السطـح، وأحيانـاً في حوش الحيوانـات، وبداخل شبك كبيـر. (شكل ٣٨،٦١) .

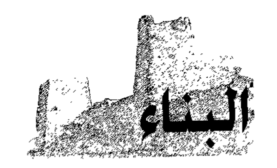
## ٦ - ٥-الزخـــــارف

تُعبر الزخارف والنقوش التقليدية عن أحاسيس السكان وتصوراتهم وترمز إلى العناصر والأبعاد المحيطة بهم والنابعة من البيئة الصحراوية التي تتمثل في السماء الصافية وقوة سطوع الشمس والقمر والنجوم وصمود النخلة ووفرة عطائها الغذائي؛ لذا نلحظ تمثيل ذلك بأشكال غالباً ما تكون مجردة لهذه العناصر على مسطحات المبنى، خاصة المواجهة منها للضيوف: كالواجهات والأبواب والفتحات المختلفة وفوق السواتر كحائط الحوش والسطح، حيث يلحظ سلاسل من الفتحات الصغيرة والنقوش المثلثة، وكذلك الشرفات على المسطحات الخارجية من الطين. وتتنوع الشرفات من منطقة إلى أخرى، وأحياناً داخل المنطقة. وتشمل المثلثات الهرمية والمربعات والمدرجات السهمية. بينما تعمل النقوش الجبسية المحفورة أو البارزة على مسطحات مجالس الضيوف، وكمر أواني القهوة والشاي والأبواب والدرايش (الشبابيك) الخشبية الملونة. والمادة الرئيسة المستخدمة في هذه النقوش هي الجص أو الجبس الناصع البياض، الذي يستخدم أحياناً لعمل البراويز حول الفتحات وعلى الشرفات، وكذلك تغطية كامل المسطحات الداخلية خاصة القهوة. أيضاً يلحظ النقوش الزخرفية الرائعة الدقيقة وذات الألوان الزاهية والجذابة على المواد الخشبية كالشبابيك والأبواب والمخازن والرفوف والتي أيضاً تُعبِّر عن العناصر السابقة من البيئة المحيطة (شكل٤٥، ٦٥، ٦٦) .

# ٧

# البناء

البناء
مواد وأساليب البناء
التشييد باللبن
التشييد بالعروق
اللياسة
مراحل بناء المسكن




## ٧ - ١-البنـــــــــاؤون

لم يكن هناك أشخاص متخصصون في تصميم المساكن في ذلك الوقت، بل كان التصميم والبناء يتمان بالتعاون إما بين المالك والبنائين التقليديين المحترفين، أو بالتعاون بين المالك وبعض الجيران الذين لديهم خبرة سابقة في البناء .

ويُعرّف البنَّاء المحترف شعبياً باسم «أستاد» أو «ستاد» اشتقاقاً من أستاذ، وهناك تخصصات متنوعة للأستاذ منها ستاد بناء الطين، وستاد الجص والنقوش وغيرها. ويأتي بعد رتبة الأساتذة الحرفيون أو الشواغيل، وهؤلاء الحرفيون هم الطَيَّان الذي يخلط الطين، واللبَّان الذي يلبن أي يصنع اللَّبنات، والنقَّال الذي ينقل الطين، وقاطع الطين ومناولو الطين واللبن والنجارون، وهناك أيضاً طبقة ثالثة وهم المساعدون أو العمال الذين يساعدون الحرفيين .

وينتقي الأستاذ أحياناً أحد مساعديه ممّن يتوسم فيه الكفاءة، فيتعهده بالتدريب الخاص، فمثلاً يوكل إليه بناء القواطع الداخلية، وهذا يُصبح فيما بعد أستاداً إذا اجتاز مراحل معينة في البناء حسب تزكية معلمه .

ويختلف عدد الطاقم المطلوب لعملية بناء المنزل وفقاً لحجم مساحته ويتراوح بين ٥ –٣٠ بناءً تقريباً. ويتقاضى الأستاذ ثلاثة ريالات يومياً، بينما يتقاضى الشواغيل نصف ريال لكل منهم .

تتم الاستعانة بأساتذة البناء والحرفيين من قبل القادرين مادياً على دفع تكاليف ذلك، لكن في حالات أخرى كحالات ذوي الدخل المحدود فإن المالك يقوم بعملية البناء بنفسه وبتعاون بعض الجيران والأقارب من ذوي الخبرة. وفي هذه الحالة يكون هناك تعاون متبادل بين الجيران والأقارب، وهذا الأسلوب يُسمى (الفزعة)، فمتى ما نوى شخص البناء فإنه يطلب المساعدة من الأشخاص أنفسهم الذين ساعدهم في الماضي [1] .

---

(١) العبيدي، ١٩٨٢م، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٤٠٨هـ، AL herbish 1992, Alnowaiser 1977, 1984, 1985.

## ٧ - ٢ مـــواد وأساليـب البنــــــاء

تعكس البيوت، بشكل عام وفي أي منطقة جغرافية، الموارد البيئية المحيطة، فالناس في مناطق الغابات مثلاً يشيدون مساكنهم من الخشب، بينما يبني الناس في المناطق الجبلية بيوتهم من الحجر، وفي المناطق الجليدية يشيدونها من الثلج، وفي المناطق الرملية والطينية تُبنى البيوت من الطين. ويُؤثر اختيار مواد البناء،كما يحددها المناخ والطبيعة الجيولوجية، في التصميم النهائي وشكل كل نوع من البيوت .

وتحيط بالبيئات التقليدية عادة التلال الرملية والأماكن الطينية والمناطق الجبلية والأودية، التي تكون مصادر لمواد البناء يتم الحصول عليها مباشرة من البيئة المحلية لأغراض التشييد المختلفة.

ويُعتبر الطين أكثر المواد ملاءمة لتشييد الجدران في معظم البيوت، كما تستخدم الأحجار في بناء الأساسات والأعمدة والأسوار، ولكنها لا تستخدم بكثافة في أغراض أخرى بسبب ما ينتج عن استخدامها من ارتفاع في تكلفة العمالة، وكذلك بسبب عزلها السيئ للحرارة مقارنة بالطين. وكذلك يُستعمل الجبس وهو مادة دقيقة بيضاء في طلاء بعض مسطحات المنزل، ويُجلب الجبس من مواقع خاصة. وقد تميزت الأرض هنا في نجد بوجود أعداد غير محدودة من أشجار الأثل والنخيل التي تستخدم بكفاءة في الأسقف والأبواب وإطارات النوافذ. وبذلك نجد أن جميع المباني القديمة وبعض المباني اللاحقة قد بنيت أساساتها وأعمدتها من الحجر، والجدران من الطين، والأسقف والنوافذ والأبواب من جذوع أشجار الأثل وسعف النخيل.

تُصنع مادة الطين من التربة والتي تُجلب عادة من مواقع قريبة، ويُطلق على هذه المواقع اسم (القيعان[١] ) التي تتعرض لإبعاد الأملاح من التربة بواسطة الأمطار. وتمتاز التربة غير الملحية في القيعان بأنها أقوى من الطين العادي، مما يجعلها مناسبة للاستخدام كمادة رئيسة في صنع الطوب أو الملاط .

(١) القيعان: جمع قاع وهي منخفضات طينية تستقر بها مياه السيول أو تمر بها.

انتشر البناء بالطين، في المنطقة الوسطى؛ لكثرة الأودية التي تُتيح وجوده، ولندرة الأحجار الصالحة للبناء في هذه البيئات، ولأن الطين مادة مرنة لها قابلية التشكيل، إضافة إلى سهولة الحصول عليه وقلة تكاليفه، إلى جانب قدرته على العزل الحراري، والعزل الحراري كما هو معروف من الأمور المرغوبة في المناطق الصحراوية القارية المناخ، حيث ترتفع درجة الحرارة صيفاً ونهاراً، وتقل شتاءً وليلاً ويزيد المدى الحراري اليومي والسنوي .

وإذا كان البناء بالطين قد انتشر في المنطقة الوسطى بالمملكة، فإنه أيضاً قد مورس في كثير من مناطق المملكة فيما عدا المناطق الساحلية التي تكثُر بها الرمال، ويظهر البناء بالطين في المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل في المنطقة الشرقية (منطقة الأحساء)، وفي المنطقة الشمالية، وبعض أجزاء من المنطقة الجنوبية. ولما كان الطين من المواد قليلة المقاومة للرطوبة فإن استخدامه في المناطق المطيرة يتطلب حلولاً لهذه المشكلة، وبالفعل استطاع سكان المنطقة الجنوبية الغربية بالمملكة (عسير) من استخدام تقنية محلية تتمثل في تظليل سطوح الجدران الخارجية بصفائح من الحجر تغرز في الطين بميول معينة إلى أسفل للتخلص من تأثير مياه الأمطار .

يتوافر الطين الذي يستخدم في البناء حول المدن في الأودية، وفي بعض المناطق المنخفضة التي تنصرف إليها مياه الأمطار وتبقى فيها فترات طويلة، والطين عبارة عن صخور صغيرة فتَّتتها عوامل التعرية واختلطت بها بقايا عضوية من نباتات أو حيوانات. فالطين نتاج عوامل هدم مثل: التجوية والتحلل الميكروبي والإذابة، وعوامل أخرى مثل تكوين المعادن الجديدة والأملاح المعدنية. وإذا لم يتوافر الطين في الأودية والمناطق المنخفضة التي تتجمع فيها المياه، فإنه يتم إعداده عن طريق جلب الأتربة السوداء النقية وتخليصها من الشوائب، وذلك من أماكن معروفة يختارها البناء بدقة بناء على تجاربه أو يختارها (الطيان). وتحمل الأتربة في زنابيل أو أكياس كبيرة على ظهور الجمال والحمير أو العربات الخشبية، ثم تجمع الأتربة على هيئة أكوام هرمية ذات قاعدة متسعة، ثم تنثر قطع التبن الصغيرة على الكومة وتخلط جيداً مع التراب، ويُصنع تجويف أعلى الكومة ليصب الماء فيه ويتخلل جزيئات

الخلطة، ثم تقلَّب الخلطة جيداً بالأرجل والمساحي وتُترك يوماً أو يومين حتى تتخمر جيداً، ثم يتم بعد ذلك دعسها بالأقدام أو بأخفاف الجمال إذا كانت كمية الخلطة كبيرة .

وحينما يجف الطين تزيد كثافته ويُصبح كعجينة اللدائن ( البلاستيك ) ، وبسبب مرونة الطين فإنه يمكن تشكيله إلى أشكال عديدة، وينحصر استخدام الطين في المنطقة الوسطى في ثلاث طرق رئيسة هي: طريقة التشييد باللَّبِن، وطريقة التشييد بالعروق، واستخدام الطين في اللياسة .

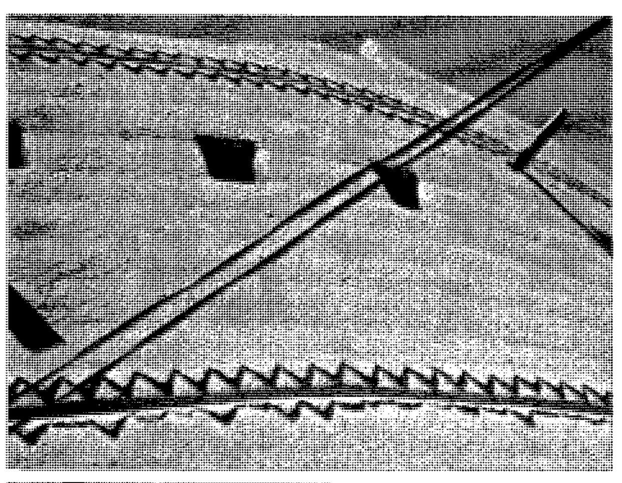
## ٧ - ٢ - ١-التشييد باللَّبِن

سادت طريقة التشييد باللبن في المنطقة الوسطى في بناء المساكن، أما الأسوار السميكة والحصون والقلاع فكانت تتطلب استخدام طريقة العروق لارتفاعها وسمكها .

وتتلخص طريقة البناء باللبن في تجميع الطين مع إضافة الماء بالمقدار المطلوب ثم إضافة قليل من التبن وخلطه جيداً ودهسه بالأقدام وتقليبه. ولإعداد اللبن بأحجام معينة يُستخدم «الملبن» وهو عبارة عن قالب خشبي مستطيل ليس له قاع، أي مفتوح من الوجهين، ويُصنع غالباً من خشب الأثل، وقد يُصنع من خشب جذوع النخيل. يوضع الملبن على الأرض ثم يملأ بالطين المخلوط جيدا، ثم يُرفع الملبن فتبقى كتلة الطين، ويرص اللبن في صفوف حتى يجف ويُقلب على جانبه الآخر، وغالباً ما تختار منطقة أو مكان مناسب لصنع اللبن وتجفيفه، وقد يجف بعد ثلاثة أيام أو بعد يومين في معظم المناطق وذلك في أيام الصيف، وخمسة أسابيع في الشتاء. وفصل الصيف هو الفصل المرغوب للبناء باللبن لسرعة جفاف مواد البناء. ويختلف حجم ( اللبنة ) ، وتختلف أبعادها فتتراوح بين ( ٢٥ × ٣٠سم ) إلى ( ٣٠ × ٤٠سم ) ، وينقل اللبن بعد جفافه إلى مكان البناء على ظهور الحمير أو الإبل، ومتوسط ما يحمله الحمار نحو ٢٠ لبنة .

## ٧ - ٢ - ٢-التشييد بالعروق

وتتلخص طريقة البناء بالعروق في إعداد خلطة الطين مع القش وخلطها جيداً وتركها حتى تتخمر في خلال أربعة أيام، ويُنقل الطين المخمر إلى مكان غير مكشوف، ويؤخذ الطين على هيئة كتل يتناولها البنَّاء من «المُلَقّف» وهو العامل الذي يناول الطين للبنّاء، ويرصها البنَّاء واحدة تلو الأخرى بحيث تكوّن عرقاً كاملاً على طول الجدار بمسار متصل وبسماكة ٣٠سم، وتُسمى هذه الطريقة بطريقة (العروق) ويُترك العرق حتى يجف (غالباً بعد يومين)، ثم يُبنى أو يوضع عرق آخر. وبعد يوم من بناء العرق يقوم (الملِّس) بتسوية جوانب العرق وتنعيمها ويستخدم في ذلك أداة خشبية تُسمى (المبيمة)، وغالباً ما يستغرق بناء جدران البيت المكون من ثلاثة أدوار مدة تقارب الشهرين (شكل٧٥).



**شكل (٧٥):**

البناء بالعروق المداميك بدلاً من اللبن أحد الطرق التقليدية التي كانت متبعة في البناء وهي الأقوى، لكنها تستغرق وقتاً طويلاً ومكلفة.

وطريقـة البنـاء باللبـن أسـرع من البنـاء بالعـروق؛ لأن العـرق يأخذ وقتـاً طويـلاً (ثلاثـة أيـام) حتـى يجـف ليُبنـى عليـه عـرق آخـر، وتُبنـى أعمـدة الجـدران من الحجـر الجيـري، ويصـل ارتفـاع الحائـط المبنـي من اللبـن إلى ما بيـن ٣ و ٥ر٤ متـر .

## ٧ - ٢ - ٣-اللياســــــة

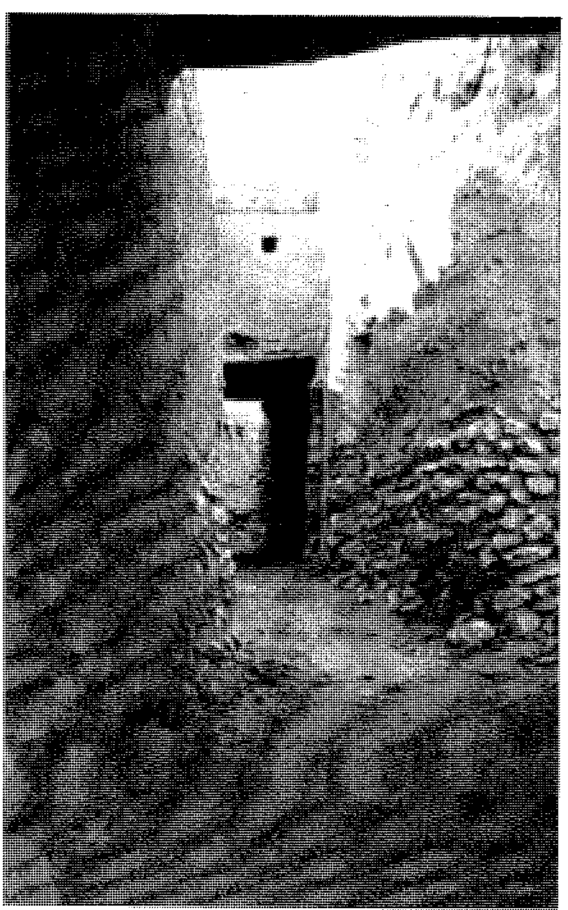
وبعـد بنـاء الجـدران فإنهـا تُبطَّـن (تُلَيَّـس) من الـداخـل والخـارج بالطيـن المخمـر والمخلوط بالتبـن، وتستغرق عمليـة التخمير بالماء ما بيـن أسبوعين إلى نحـو شهـر، وذلـك بالنسبـة للجدران الداخليـة. أمـا بالنسبـة للجـدران الخارجيـة فإن الطيـن الـذي يُعتمـد عليـه في ذلـك يُخمـر عـدة شهـور حتـى يتحـلل ما بـه من تبـن ويسـوَدّ لونـه ويكون نـاعمـاً وتظهـر رائحـة عفونتـه من عمليـة التخميـر التي تكسبـه خاصيـة مقاومـة الأمطـار إلى جانـب العـزل الحـراري الجيـد. كما يُستعمـل الطيـن كذلـك في تغطيـة أرضيـات الغُـرف والممـرات، ويُطلـق على هـذه العمليـة «الشباعـة» أي تشبيـع الأرض بالطيـن النـاعـم .

وتُكسـى جـدران الغـرف من الداخل بالجص الأبيض فـوق الطيـن، وفي الغالـب لا يصـل طـلاء الجـص إلى نهايـة الجـدران وربمـا وصـل إلى ثلثيـه أو إلى نصفـه، ويُطلـق اسـم «الوزرة» على إطـار الجـص أسفـل الجـدار إذا كـان بارتفـاع متـر تقريبـاً، وإذا ارتفـع الجـص إلى قامـة الرجـل فيُعـرف (بالسروال). وللجـص أهميـة كبـرى في بنـاء المبانـي وزخرفتهـا لسهولـة تصنيعـه ولتوافـره، ولقـوة تماسكـه وقدرتـه الهائلـة على امـتصـاص الـرطـوبـة والاحـتـفـاظ بـهـا في المنـاطق الحـارة وتـلـطـيـف الأجـواء داخـل الغــرف .

ويتكون «الجص» كيميائياً من الأملاح الآتية: كبريتات الكالسيوم ٦٠ر٣٢٪، أكسيد السلفات ٥ر٤٦٪، مـاء ٩ر٢٠٪، ويلحظ أن «الجص» إذا فقد كمية الماء التي بـه نهائيـاً أصبـح عديـم الجـدوى .

## ٧ - ٣ -مراحـــل بنـــاء المسكـــن

يبـدأ البنّــاء الرئيس للبيت التقليدي بتحويل تصميم البيت المنشود مباشرة إلى موقع البنـاء، ويتم التوصل إلى تفاهم واع بين البنّـاء والمالك على طبيعة البيـت. وتُرسم خطوط الأساسات بعد ذلك بحبال مطلية بالجص، تعلّق على دعائم، ثم بعد رسم الخطوط العريضة تحفر الأساسات بعمق ١٫٢٥متر تقريباً على المحيط الخارجي، ويتم تشييد الأساسات بحجارة محلية بأحجام مختلفة تقطع بحواف مربعة، وتثبّت الحجـارة في أماكنها بملاط من الطين أو الجص، وذلك بالنسبة للطريقة القديمة، أو بالأسمنت حسب الطريقة الحديثة. وتصل الأساسات الحجرية إلى ارتفاع نصف متر فوق الأرض. وتُعمل الأساسات، إضافة لحملها المبنى، على حمايته من الرطوبة أو الليونة مما يؤدي إلى سقوطه عند هطول الأمطار (شكل٧٦) .



**شكل(٧٦):**

تشكل الأساسات الحجرية الأساس الإنشائي للمسكن، لحمايته من الأمطار والمياه الأخرى التي تجري بجانبه.

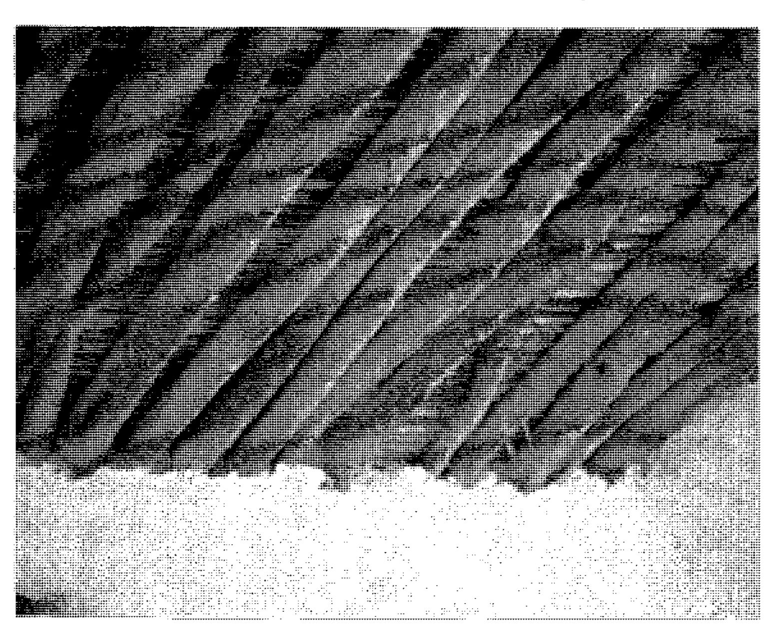
وتُبنى طبقة من الطين تُسمى (طمام) تُصنع بالطريقة نفسها التي يصنع بها الطين للطوب أو الملاط فوق الأساسات الحجرية إلى سمك ٣٠سم تقريباً، وتُشكل طبقة الطمام هذه سطحاً مستوياً لتشييد بقية الجدار .

وتُستخدم طريقة نظام العروق لبناء بقية الجدار، وفيما بعد أصبح يستخدم الطوب الطيني أو يجمع ما بين الطوب الطيني وطريقة العروق (راجع شكل٤٦). وتُنتج هذه الطريقة -على كل حال- جدراناً قوية جداً تدوم وقتاً طويلاً، وعلى الرغم من ذلك فقد توقف استخدام نظام العروق خلال الـ ٢٥ - ٣٠ سنة الماضية، بسبب تكلفة العمالة المصحوبة بالوقت الطويل الذي تستغرقه العملية. وقد استخدم مؤخراً الطوب المجفف بالشمس بتنظيم متداخل ويرصف بطريقة تبادلية. وتفحص اللبنة قبل استخدامها للتأكد من مدى صلابتها وفي حالة تفتتها بسهولة فإنها لا تستخدم وتكون طبقات العروق ٤٠ - ٧٠سم وعرض الجدار ٢٥ - ٤٠سم، ويثبت بملاط من الطين، وذلك بالطريقة نفسها التي يوضع بها الطوب الأسمنتي العادي تقريباً .

يتم تنفيذ إطارات النوافذ والأبواب عندما يتقدم العمل في بناء المنزل، وتثبّت إطارات النوافذ عندما تصل الجدران إلى الارتفاع المطلوب لفتحات النوافذ .

عندما تبلغ الجدران الارتفاع المناسب للغرف تبدأ عملية (التحنيك) أو بناء السقف، حيث تصفّ أعمدة من جذوع أشجار الأثل فوق الجدران بأبعاد تبلغ ٣٠سم، (استخدمت مؤخراً بعض الألواح الخشبية المستوردة المصنّعة المستقيمة للدعم بدلاً من خشب الأثل). ثم يضع العمال بعد ذلك أغصان النخيل بتعامد فوق جذوع أشجار الأثل ، وتُرص في شكل حزم متلاصقة، ويضاف فوق هذه الطبقة سعف النخيل. توضع بعد ذلك طبقة من الطين النقي فوق سعف النخيل بسُمك ١٠سم تقريباً، وعند هذه المرحلة يُشيد جدار ممتد بارتفاع يتراوح من ٢-٣ أمتار فوق السقف. ويُزيّن الجدار ببعض الزخارف في أعلاه على شكل مشرفات، وتترك في أسفله بعض الفجوات لتصريف مياه الأمطار بمساعدة مثعب (مرزام) الخشب أو الحديد. تتبع هذه الخطوة عملية (التنعيل) وهي عبارة عن بسط طبقة من

الطين وتبن القمح وكثير من الماء فوق السقف، يُجمع هذا الخليط الطيني فوق السقف ويُضغط بالأقدام وتتم تسويته بالمجارف بواسطة البنائين الذين عادة ما يؤدون بعض الأهازيج أثناء قيامهم بهذا العمل. وتجف الطبقة الأخيرة لتصبح صلبة جداً وعازلة للماء وبميول لتصريف المياه باتجاه المثعب. كما أمكن حديثاً تضمين خطوة إضافية وهي بسط طبقة رقيقة من الأسمنت فوق السطح ، وكذلك في أرضيات الغرف وعلى أسطح الجدران بارتفاع متر واحد تقريباً (شكل٧٧) .



**شكل(٧٧):**

التسقيف من أهم عناصر البناء ومراحله، وهو يتكون من طبقات متعددة، عازلة للمياه والحرارة.

تشَّيد الأعمدة الحجرية عادة لدعم بعض أحمال المنشأ، وتُبنى هذه الأعمدة من أحجار مستديرة تُثبت في مكانها بملاط من الطين أو الجص -في الماضي- وبالأسمنت في الآونة الأخيرة، وتُستعمل هذه الأعمدة الحجرية في الأسياب (الأروقة) والمصابيح .

وتحتاج جدران الطوب الطيني إلى حوالي شهرين لتجف تماماً، ثم تضاف بعد ذلك طبقة من الطين تُسمى «وقا» إلى أسطح الجدران الخارجية لحمايتها ووقايتها من عوامل التعرية .

تُضاف أحياناً فوق طبقة «الوقا» طبقة أخرى على الجدران الخارجية والسقف وهي الشباعة، لمزيد من الحماية من الشمس والرياح والأمطار. والشباعة عبارة عن خليط من الطين النقي (يُطلق عليه الطين الحر بسبب عدم احتوائه على أي أملاح أو رمل) والتبن والماء. وعادة ما يُخلط ويُعد في برك مياه بأسلوب يختلف عن طبقة الوقا، ويخلط الطين بالتبن مع كثير من الماء، ثم يُترك ليستقر ويُضاف إليه الماء بشكل دوري. وبعد حوالي أسبوع أو عشرة أيام يُضاف المزيد من الماء والتبن. وتستمر هذه العملية حوالي ٤٥ يوماً تتحقق بعدها مرونة متماسكة للخلطة، وعندما يُصبح الطين جاهزاً للنقل يكون لونه داكناً وله رائحة نتنة، فتُكسى به بعد ذلك الجدران الخارجية والسقف بسمك ٢سم. وتشكل هذه الطبقة حماية وقوة ومتانة للمبنى الطيني مما يطيل عمره وصموده أمام العوامل الجوية وغيرها .

تتبخر رطوبة المبنى بعد حوالي سنة من اكتمال البيت، وفي هذا الوقت تُغطى بعض الجدران أو أحياناً كل المسطحات الداخلية والخارجية بالجص (الجبس العربي)، ولقد ظل الجص يُستخدم منذ أمد قديم كملاط للأساسات والأعمدة، وأيضاً لتغطية أسطح الجدران لأغراض زخرفية. وتجمع مادة الجص من الجبال القريبة ، وتحرق في أفران خاصة، وتُدق بالعصي حتى تُصبح مسحوقاً أبيض، ويضاف الماء إلى المسحوق حتى يُصبح له قوام قابل للنشر، ومن ثم يتم استعماله حسب الطلب في أسطح الجدران. وبعد جفاف الجص يمكن نقشه بتصاميم زخرفية أو طلاؤه .

وكانت هناك أهازيج يتغنى بها العمال والأستاد خلال البناء وتُعرف بـ (الهنمة) وهذه الأهازيج وسيلة للتسلية أثناء العمل ولدفع الملل، ومن أمثلة هذه الأغاني [1] :

الأستاذ : هيا هما لبنة طينة .

العمال : جتك اللبنة جتك الطينة .

أو أهازيج أخرى مثال:

الأستاذ : هنما يا هنما

العمال : هنما يا هنما

الأستاذ : لبنة يا لبنة

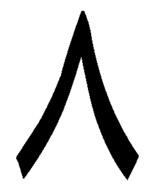
العمال : هنما يا هنما

البناء : شيلو يا اشيلو

العمال : هنما يا هنما

بعد بناء السقف يُبنى الجدار الذي يحيط بالسقف ويُسمى (السترة)؛ لأنه يستر السقف، ويُعرف كذلك (بالحجا)، وتزين السترة (بالشرف) عند الأركان أو على طول السترة .

(١) الأستاذ (المعلم) عبدالله بن حامد.



# السمات العامة للمساكن

# السمات العامة للمساكن

التجانس هو الميزة الثابتة والملازمة لعمران المنطقة الوسطى التقليدية، حيث إن تجانسها أكثر تماسكاً من عمران أي إقليم تقليدي في المملكة العربية السعودية. إن الخصائص البارزة لهذا النوع من المنازل هي الاستقلالية والفصل التام بين حياة الأسرة وأماكن استقبال الضيوف. وطرق البناء متشابهة دائماً، فالجدران مبنية من اللبن، والخلطات الطينية المختلفة وحوائط بعض الغرف الداخلية مجصصة بطبقة ملساء وبيضاء من الجبس. وتتكتل مباني المساكن المختلفة وتكتنز لتصبح جزءاً واحداً ومتحداً .

هذا الانتظام في التصميم العمراني ليس رتيباً وليس متكرراً، فبإمكان المرء ملاحظة عدد غير محدود من الاختلافات في نماذج متماثلة تستخدم تقنية متماثلة يتم تجديدها دائماً باتباع براعة فنية فائقة، بواسطتها يتم توحيد وتجميع العناصر نفسها لإحداث وإنتاج نموذج مختلف. والمنزل النجدي يظهر واجهة قوية ومتحدة مع واجهات المنازل الأخرى وهو مغلق بإحكام تجاه العالم الخارجي، ومنظره الداخلي جميل وجذاب وبسيط بصورة ملحوظة، خاصة تنوع الفراغات الداخلية وتشكيلها، أو بالتحديد الأنماط المتنوعة للمناظر التي يمكن من خلالها مشاهدة هذه المساحات. هذا وحتى في المنازل الأكثر تواضعاً، هنالك شعور بالراحة والخصوصية المنزلية التي تتأتى من التناسق التام للفراغات الداخلية ومقاييسها الإنسانية .

لذا فإن السمات الأساسية للمنزل في المنطقة الوسطى تتضح على النحو التالي:

١- حجم كلي متكتل ومتضام ومكتنز، ونظام وظيفي ازدواجي الغرض، وكذلك استخدام مكثف للفراغات الانتقالية والحركية .

٢- يتخذ الفناء في المنزل في منطقة نجد شكلاً هندسياً صرفاً مربعاً أو مستطيلاً، ومع ذلك يلحظ تطوّر نحو التركيب الهندسي المتناظر في بعض المنازل والقصور التي شُيدت في الرياض قبل فترات زمنية وجيزة.

٣- التقسيم الرأسي للمنزل يحاكيه فصل أفقي للمناطق المخصصة للاستقبال، وتلك المخصصة لمعيشة الأسرة والتي يُحدد لها فراغات معينة.

هذا التقسيم للوظائف الداخلية بالمنزل له علاقة بتعاليم الإسلام التي تستوجب الفصل بين الرجال والنساء، وقد تم ترجمة هذه الحقيقة بوضوح هنا في المنطقة الوسطى بالمنازل المبنية فيها، حيث تنعكس عليها الازدواجية بين عناصر الرجال والنساء الفراغية من مداخل ومجالس وأفنية وغيرها.

٤- قد تحدث تغيرات واختلافات في نمط تقسيم المنزل ويتوقف ذلك على حجمه، كلما كان ممكناً فإنه يتم الفصل التام بين مدخل الأسرة الخاص، ومدخل الزوار شبه الخاص. لكن أحياناً يؤدي باب واحد إلى ممرين مميزين: أحدهما ممر للضيوف، والآخر مخصص للأسرة. وعندما تكون أرض المنزل صغيرة المساحة فإن ممرات الحركة قد تُفصل عند الدرج .

٥- في النسيج العمراني التقليدي الأحدث، تتيح قطع الأراضي الأوسع إمكانية تقسيم المنزل إلى ثلاثة أجزاء متجاورة، وتحيط بثلاثة أفنية، تشمل: فناء يستخدم كمنطقة خدمات، وفناء لقطعان الماشية، ولهذا الفناء مدخل خاص. أيضاً يوجد في بعضها خلوة (قبو) تحت المبنى الرئيس .

٦- يُشكل الفناء والقهوة (المجلس) قطبين أساسين للمنزل، حيث تعطي المعالجة المعمارية الأكثر تميزاً، فالحوش كثيراً ما يكون محاطاً برواق ذي أعمدة أو شرفات على جانب واحد أو عدة جوانب، ويُعبر عن أبعاد الحياة العائلية وتمازجها مع العادات والتقاليد والبيئة الصحراوية. بينما يكون المجلس دائماً -تقريباً- مزخرفاً بتصاميم جميلة من الجص ليعطي جاذبية وتعبيراً عن الترحيب والكرم. هذا التركيز المحدد على الفناء والمجلس يؤكد بالمعالجة الأقل تطوراً للغرف الأخرى التي تبدو كأنها صُمّمت كفراغات ملحقة وتدعم وظيفياً الفناء والمجلس .

٧- أجزاء معيشة الأسرة الخاصة -بصفة عامة- تتمركز حول فراغ مكشوف هو الفناء العائلي، ومنطقة استقبال الضيوف وتتمركز في فراغ مُغطى هو القهوة. وفي منازل الأغنياء والمنازل الفخمة يستطيع المالك أن يكرر فراغين آخرين لكلتا الوظيفتين. في مثل هذه الحالات، بالإمكان إضافة فناء ضيوف ضخم يحاكي فناء العائلة كما يحدث بالرياض وعنيزة وبريدة والمجمعة. وبعض

المنازل الفخمة بالإمكان أيضاً أن تحتوي على مجلس للنساء، وهو صورة مصغرة لمجلس الرجال، ويوجد مثل هذه المنازل في عنيزة وشقراء مثلاً .

٨- تُعدّ مساحات الحركة ذات أهمية للعديد من الأسباب، أهمها أن الغرض المزدوج للرجال والنساء والذي تم بناءً عليه تصميم المنزل ينطبق على هذه المناطق أيضاً. كذلك الفناء نفسه الواقع في قلب المنزل يُحاط أحياناً بمناطق مغطاة (أروقة) وهذه تستعمل للجلوس، وصد ضوء الشمس، ولحركة الاتصال بين الغرف .

٩- التركيز الشديد على الخصوصية في التراث السعودي كثيراً ما شجع على استخدام مداخل غير مباشرة بالمنزل، وأفنية وفتحات داخلية، وشوارع غير نافذة وغيرها .

١٠- تنسّق بنية المسكن بين وظيفتين مهمتين، وهما: الخصوصية وحماية حرمة الدار، والعمومية والاتصال مع الجيران .

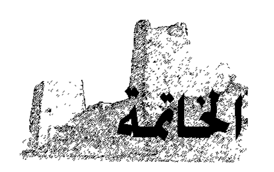
١١- إن أهمية الفناء في البيت تُسهم في تلطيف الفراغات الداخلية التي حوله، وتتخلل واجهاته شبابيك كبيرة ومتنوعة نقيض لأسلوب الواجهات الخارجية التي تتسم بفتحات صغيرة وقليلة وبالجفاف والصلابة. أيضاً هناك علاقات داخلية عادة ما تُتيح حركة مطردة من الفراغات الداخلية المغطاة والشبه مغطاة إلى الفراغ المكشوف الخاص بالفناء .

١٢- توجد الشرفات في كل منزل، ويكون موقعها غالباً فوق حوائط السطح الخارجية .

هذه المبادئ والأنظمة الفراغية المتطورة تُسهّل عملية التحكم في أداء الفراغات، استجابة للمتطلبات الاجتماعية والحضارية والبيئة الصحراوية لسكانها .

# ٩

# الخاتمة



# الخاتمة

إن الدين والعادات والتقاليد تحضُّ أفراد المجتمع على التقارب والتكاتف والاتصال الاجتماعي واحترام الجيرة والخصوصية والكرم، فكان جديراً بالبيئة الفراغية تدعيم هذه المبادئ وترسيخها. هذه المفاهيم ما زالت موجودة لدى أفراد المجتمع تحت حماية الدين والأعراف في الوقت الحاضر مع أنها تعرضت لبعض التموجات، بسبب ظواهر مؤقتة، لكنها بدأت تدريجياً تعود إلى طبيعتها .

ويلحظ أن الفراغات التقليدية تكوّن نظاماً أيكولوجياً يؤمن البيئات المختلفة التي تدعم دورة الحياة عند الإنسان، ابتداءً بعمر الرضاعة وانتهاءً بعمر الكهولة. كذلك تُعطي فرصة الاحتكاك والتدرج في العمر والتعلم من الأقران مما يساعد على النمو الفكري والعاطفي والاجتماعي .

بناءً على التحاليل السابقة يتضح أمامنا أهمية فهم واستيعاب مزايا البيئات العمرانية التقليدية لتكون مرشداً لتحسين المخططات الحديثة القائمة والمستقبلية، وأسساً للتخطيط الحديث في سبيل الاستمرارية والتكامل والتطوير المناسب، فمثلاً بإمكاننا توظيف الصيغ والنظم الفراغية وعناصرها لتبنِّي سلوكيات معينة حسب أهداف محددة، بهدف إيجاد المجتمع الذي تصبو إلى تكوينه بناءً على مبادئ التوجيهات الدينية والعادات والتقاليد المكتسبة ومتطلبات البيئة الطبيعية. فالتراث العمراني التقليدي في المنطقة الوسطى يحوي كثيراً من المبادئ الفراغية الجوهرية، ويمكن الاقتداء بالتوجيه الفراغي لعناصر المخططات لنستطيع أن نؤثر في سير الوضع الأمني، والتقليل من الجريمة، وتقوية الاتصالات الاجتماعية، مع المحافظة على خصوصية السكان في الأحياء المستقبلية. كذلك بإمكاننا إيجاد وتشجيع أنواع من الأنشطة مع المحافظة على خصوصية السكان . كذلك بإمكاننا إيجاد وتشجيع أنواع من الأنشطة مع المحافظة على العدالة الفراغية للذكور والإناث والأطفال وكبار السن والتنسيق بينها، والحد من السلوكيات غير المرغوبة. لقد كان هناك كثير من السلوكيات والعادات الأصيلة بين الرجال والنساء والأطفال والتي عاشت بالتوارث بين الأجيال والحضارات المختلفة وترعرعت؛ بسبب احتضان النسيج العمراني التقليدي لها، لكنها اندثرت وفُقدت عندما انتقل السكان إلى

المخططات الحديثة التي جردت مستوطنيها من كل ذلك، مما تسبب في التغرب عن شخصيتهم التقليدية، وكثرة المشاكل الاجتماعية والأمنية. وبالطبع فإن هذا التغيير البيئي ليس المؤثر الرئيس لما حدث، إنما شارك في ذلك مع المؤثرات الحضارية الأخرى.

وخلاصة القول: أن خصائص التركيب المكاني تلتصق بالقيم الاجتماعية للأفراد وسلوكهم في تفاعل متبادل. والمكان يكتسب هويته وشخصيته من حيث تكوينه العمراني والطبيعي، وبما يؤديه من وظائف دنيوية ودينية، وبما يحمل من رموز ودلالات في أحاسيس الناس ومخيلاتهم، غير أن الخصائص المجردة للمكان تشيع عادة في البيئات التقليدية، حيث يكون الالتزام بالنظام الاجتماعي والتقاليد في انضباط شديد، ويكون نمط العمران وتصميمه في هذه البيئات مكرساً للنظام والتقاليد .

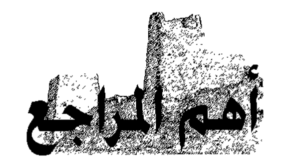
إن التراث العمراني يُعبر عن تجربة إنسانية في التصميم والتشييد الذي تطّور عبر أجيال متعاقبة بتعبير جماعي وفطري؛ لذا فإن استمرارية إزالتها ستزيد من غربة الإنسان السعودي عن بيئته على المدى البعيد، ولن يشعر بها هؤلاء السكان إلا بعد فوات الأوان .

هذه الأنسجة العمرانية التقليدية تحكي قصة تاريخنا وطبيعتنا وتطور حياتنا وشخصيتنا واتصالاتنا، وتحتفظ بقيم ودروس اكتسبتها من تجربة وخبرة ومعرفة وفلسفة جماعية نابعة من عادات وتقاليد مستوطنيها، فمثلاً يوجد استمرارية وتطور للصيغ العمرانية والمعمارية منذ أمد طويل في الجزيرة العربية، كما نرى ذلك في مخططات وتصاميم أقدم القرى مثل: الفاو، والربذة، وما تبعها إلى وقتنا الحاضر، كالأحواش، ونمط الشوارع، ومواد البناء وغيرها .

إن حوالي ٣٠٪ من سكان العالم يعيشون اليوم في بيوت طينية، بما في ذلك الصين، وأمريكا الجنوبية، والشمالية، وإفريقيا، وبعض دول آسيا، والشرق الأوسط ... إلخ. إن من أكثر البيوت المرغوبة في بعض مناطق فرنسا وغرب أمريكا المباني الطينية.

إن المباني والأحياء التقليدية ذات مزايا وعمر طويل لا يقارن بالمباني الحديثة، حيث ثبت أن مباني الطين مثلاً تعيش لآلاف السنين، بينما الثابت أن المباني الخرسانية الحديثة تعيش بمعدل خمس عشرة سنة، ثم تبدأ بالتخلخل والتصدع؛ لذا يجب أن ننظر إلى هذا الوضع على المدى البعيد، حيث إن المناطق التقليدية تُمثل الجذور والتربة التي نستطيع أن نستنبت منها الحلقة المفقودة في العمران الحديث من حيث المواد وعلاقة النسيج العمراني بالعادات والتقاليد والنسيج الاجتماعي.

# المراجع
# العربية والأجنبية



# أهم المراجع

## أولاً : المراجـع العربيـــة


( ١ ) البيني، ماركو (١٤١١هـ) العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المنطقة الوسطى، ترجمة أسامة محمد الجوهري، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف السعودية.

( ٢ ) جامعة الملك سعود، لجنة الأطلس الوطني (١٩٨١م)، أطلس السكان للمملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، الرياض .

( ٣ ) الإمام الجعفي، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري «كتاب المديات - صحيح البخاري»، طبعة فريدة ... ومأخوذة من أصح النسخ ....، دار السلام، ١٩٩٨م .

( ٤ ) الإمام الأزدي، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ( ٢٠٢ - ٢٧٥هـ) «كتاب الأدب - سنن أبي داود»، دار ابن حزم، ١٩٩٨م .

( ٥ ) الحصين، محمد بن عبدالرحمن «البنية العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري» فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ .

( ٦ ) دوكسيادس، مؤسسة عالمية (١٣٩٠هـ) الوضع الراهن لمدينة الرياض، تقرير نهائي مقدم لوكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات .

(٧) الربدي، محمد بن صالح العبدالله (١٩٨٦م)، بريدة، دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية، الجزء الأول، دار الكتاب السعودي، الرياض .

(٨) الريحاني، أمين (١٩٨٩م)، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت .

(٩) الزنيدي، عبدالعزيز، مخططات ومعلومات عن مسكن البسام، عُنيزة، ١٤١٨هـ .

(١٠) السبيت، عبدالرحمن، محمد محمود التوبة، طه عثمان الفرا، د.ت، المصمك رمز من التراث، من مطبوعات المهرجان الوطني للتراث والثقافة.

(١١) ست أنترناشونال (١٤٠١هـ)، المناطق ذات القيمة الثقافية والحضارية، تقرير رقم ١٧ .

(١٢) السلمان، محمد بن عبدالله (١٩٨٩م)، عُنيزة، وكالة شؤون الشباب، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، سلسلة هذه بلادنا .

(١٣) السليمان، خالد (١٤٠٤هـ)، معجم مدينة الرياض، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

(١٤) الشريف، عبدالرحمن صادق (١٩٦٩م)، منطقة عُنيزة دراسة إقليمية، مطبعة النهضة العربية، القاهرة.

(١٥) عبدالعزيز وصلاح العبيدي، وأحمد قاسم (١٩٨٢م)، بغداد، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد .

(١٦) النويصر، محمد عبدالله «مراكز المدن السعودية المتوسطة» مجلة جامعة الملك سعود - كلية العمارة والتخطيط العدد٥، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) .

(١٧) عثمان، محمد عبدالستار (١٩٨٨م)، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت .

(١٨) وافي، علي عبدالواحد «المدينة الفاضلة-للفارابي» نهضة مصر، ١٩٧٣م.

(١٩) العضيبي، عثمان «العمارة التقليدية في مدينة عنيزة» ١٤١٨هـ .

(٢٠) العمارة، محمد بن إبراهيم (١٩٨٨م)، شقراء، وكالة شؤون الشباب، الرئاسة العامة لرعاية الشباب (سلسلة هذه بلادنا) .

(٢١) فتحي، حسن (١٩٨٨م)، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت .

(٢٢) فيسي، وليام وغرانت جيليان «المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين» مؤسسة التراث، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .

(٢٣) اللجنة السعودية الأمريكية المشتركة (١٩٨٨م)، أطلس المناخ في المملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة والمياه، مطبعة السفير .

( ٢٤) الوشمي، أحمد مساعد، (١٤٠٦) الرياض مدينة وسكاناً كيف كانت وكيف عاشوا، الناشر الوكالة العامة للإعلام نبراس .

(٢٥) وكالة تخطيط المدن، وزارة الشؤون البلدية والقروية (١٤٠٧هـ)، أطلس المدن السعودية .

(٢٦) العريفي، فهد العلي (١٤٠٨هـ) حائل، سلسلة هذه بلادنا .

(٢٧) عيسى، صلاح عبدالجابر (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، مدينة حريملاء، بحث ضمن كتاب إمارة حريملاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إعداد قسم الجغرافيا .

(٢٨) الإدارة العامة للآثار والمتاحف (١٤٠٨هـ)، عاصمة الأمجاد الدرعية في طور الترميم، البناء، العدد ٣٩، السنة الرابعة، الناشر المهندس إبراهيم ابن عبدالله آل الشيخ .

(٢٩) الإدارة العامة للآثار والمتاحف/ وزارة المعارف «منزل الربيعةبالمجمعة» المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ .

(٣٠) الإدارة العامة للآثار والمتاحف/ وزارة المعارف «قصر المربع (الرياض)» المملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ.

(٣١) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض «المصمك» -الرياض- المملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ .

(٣٢) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، برنامج التنمية الثقافية والحفاظ على التراث، التراث المعماري لمدينة الرياض، القصور الطينية .

(٣٣) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض «الرياض .... الأمس» ١٤١٣هـ .

## ثانياً: المراجع الأجنبية


(33) Al-Hathloul S. (1981),: Tradition, Continuity and Change in the Physical Environment. Ph.D. Diss. MIT,Camb.

(34) Al Herbish,M., Soliman (1412/1992). An Exploratory and Experimental Study of Certain Aspects of A Dobe Brick as A Building Material and its Architectural Application in the Central Region in Saudi Arabia, Ma., King Saudi Univ.

(35) Al-Nowaiser, M. "The Indigeneus Architecure of Unyzeh - Saudi Arabia". Unpulslished Master theirs, Kansas state university, 1977.

(36) Al-Nowaiser, M. (1984): Behavioral Research Methology in Rural Saudi Arabia, Environment Design Research Association News (EDRA), Vol. XV-3, June 1984.

(37) Al-Nowaiser, M. (1985) : Traditional and modern settlements in Saudi Arabia, Habitat International, Vol.9:1.

(38) Al-Nowaiser, M.,"A Conceptual Base of the Role of the Built Environment on Environment Experience in Central Saudi Arabia, "Journal of Architectural and Planning Research",1987.

(39) Al- Nowaiser, M., "Rural Traditional Settlements social Domains and Spatial Systems" Urban Profile of Saudi Arabia, Dr. Khalid Al-Angari et. al (eds), 1989, Ministry of Minicipal and Rural Affairs Riyadh, S.A. (Book), 1989.

(40) Al-Nowaiser, M., " Toward a Residential Zoning Regulation Approach for Saudi Arabia", Journal of Architectural and Planning Research" Summer 1996.

(41) Altman, I. (1975), The Environment and Social Behavior: Privacy, Personal Space, Territory, Crowding, Montery, Ca., Brooks/cole Pub.,Co.

(42) Berlyne, D.E. (1958), The Influence of Complexity and Novelty in Visual Figuers in Orienting Responses, Journal of Experimental Psychology 55.

(43) Cullen, G. "The Concise Townscape", London: The Architectural Press, 1971.

(44) Facey, William "Back To Earth: Adobe Building in Saudi Arabia" Al-Turath in association with the London Center of Arch studies, Riyadh,1977.

(45) Facey, W. "Riyadh the old city: From its origins until 1950 S", Immel Publishing, London 1992.

(46) Gans H (1968) People and Plans: Essays on Urban Problems and Solutions. New York: Basic Books.

(47) Palgrave Weliam, G. "Narrative of a years jaurney through Central and Eastern Arabia 1862-1863, Macmillan Co. London 1865.

(48) Philby, H. St. J.B. (1943). Apilgrim in Arabia, London.

(49) Shamekh, Ahmed (1975). Spatial Patterns of Bedouim Settlement in Al Qasim Region, Saudi Arabia, Sousyille, Kentucky, U.S.A.

# فهرس الأشكال

# فهرس الأشكال

# فهرس الأعلام

# فهرس الأعلام

# فهرس الأماكن

# فهرس الأماكن

# فهرس المحتويات

الإخراج و التنفيذ الطباعي
مؤسسة مرينا لخدمات الطباعة - الرياض - هاتف: ٤٧٦١٥٥١ - فاكس: ٤٧٣٠٧٦٧